وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د/ يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

جدليّة الشّرق والغرب

وإشكاليّة الممكن والمستحيل في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الزّجبي و*Boussole* de Mathias Enard

-دراسة مقارنة-

أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه في الأدب العربي

تخصّص: الخطاب السّردي المعاصر

إعداد الطّالب:

لشمط بلال

إشراف الدكتور:

بسرة شهاب

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
أ.د علي حميداتو	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة البليدة 2
د. شهاب بسرة	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقرّرًا	جامعة المدية
د. فطيمة بن ربيعي	أستاذة محاضر أ	عضوًا مناقشًا	جامعة المدية
د. فيروز بن رمضان	أستاذة محاضر أ	عضوًا مناقشًا	جامعة المدية
د. مولاي متقدم	أستاذ محاضر أ	عضوًا مناقشًا	جامعة المدية
د. محمد بلعزوقي	أستاذ محاضر أ	عضوًا مناقشًا	جامعة البليدة 2

(2020-2021م) - (1441-1442هـ)

شكر وعرفان

الشكر لله الذي وفقني أن أسير بخطى ثابتة لبلوغ غايتي فللّه الحمد والشّكر دائمًا.

أتقدّم بأسمى آيات الشّكر والامتنان والتقدير إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة و مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى كل كافّة أفراد الطّاقم التّربوي لكليّة اللّغات والآداب لجامعة الدكتور يحي فارس-المدية-

وأخصّ بالتّقدير والشّكر **الدكتور: بسرة شهاب**. الذي نقول له بشراك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:" إنّ الله وملائكته وأهل السّموات والأرضين، حتّى النّملة في جحرها، وحتّى الحوت في البحر، ليصلّون على معلمي النّاس خيرًا". صحّحه التّرميذي.

كما أتقدّم بجزيل الشّكر إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدّموا لنا التسهيلات والأفكار والمعلومات وأخصّ بالذّكر طيّبة القلب **داليا خورشيد- الأردن-**

إهداء

إلى صاحبة الصّوت الحاني لتلك النداءات الصّباحيّة، إلى تلك الرّوح المقدّسة التي تسمع أنين الألم بين الشّجون دون همس، إلى أمّي التي يعود لها الفضل في كل نجاح.

إلى قدوتي في الحياة، إلى القمر الذي يشعّ نهجي صبرا وحكمة على مرّ الليالي الحالكات، إلى الذي أغدقني بالنصائح وما أدركت عتبه حتى نال مني الدّهر حين إلى أبي.

إلى عائلتيْ لشمط وعبدو

مقدّمة

أهمية البحث:

تشكّل قضية الشّرق والغرب إحدى أبرز المقتضيات التي يشتغل عليها الروائيون في عصرنا الرّاهن، والتي أخذت حيّزا واسعا من اهتماماتهم قصد التعرّف على الآخر المختلف، وإيجاد سبل التلاقح الحضاري من خلال تفعيل القواسم المشتركة بين بني البشر، فاهتمامهم لم يكن وليد العهد بل انطلاقا من القرن الماضي، لاسيما في التجارب الروائيّة الرّائدة، كرواية "موسم الهجرة إلى الشّمال" للطيّب صالح، ورواية "قنديل أم هاشم" ليحي حقّي.

وتعدّ دراسة صور الجدل القائم بين الشرق والغرب من الدراسات الأدبية المقارنة التي راجت في السنوات الأخيرة، لأهميتها في محاولة تجسيد العلاقات بين الشعوب، بتصحيح التّاريخ المزيّف عن الشّرق بفعل الاستشراق السالب لهويّته وحضوره في أحيان كثيرة، وتضييق الخناق عليها وردم الهوّة بإقصاء الصّور النمطيّة التحقيريّة. في المقابل تدعو الشّرق للانفتاح على الغرب وطي زمن الحرمان، في خطوة للتعارف والتآزر، بتجديد لغة الحوار، والبحث عن الأسباب التي تحول بين ذلك، بدراسات موضوعيّة جادّة متخلّصة من قيود الخلفيات الإيديولوجية. ولاختلاف صور الشّرق في المخيال الغربي، وصور الغرب في المخيال الشّرقي، فقد اتّسم هذا الموضوع بطابع التجدّد والتحوّل من فترة لأخرى.

وبعد اطّلاعنا على عدد لابأس به من الرّوايات العربيّة والأجنبيّة التي هي في خضم هذا المجال الواسع ارتئينا اختيار رواية" **لن أموت سدى "لجهاد الرّجبي**، والتي تتطرّق لعلاقة الشّرق والغرب بشكل ملفت للانتباه، حيث فازت بجائزة الرابطة الإسلاميّة لعام 2015.

كما جاء اختيارنا لإحدى الرّوايات الأجنبيّة العالميّة والموسومة **ب *Boussole*** للرّوائي **Mathias Enard**، والتي تميّزت عن الكثير من الرّوايات السّابقة انطلاقا من عنوانها، إلى جانب ما تحتويه بجرد جملة من الأسباب والمبرّرات التي أجّجت العلاقة بين الشّرق والغرب،

وقد فازت هذه الرّواية بجائزة جونكور2015، والتي اطلق عليها لقب ألف ليلة وليلة؛ لما تحمله من قصص كثيرة، ومن اعترافات عن حقيقة الشّرق.

حيث وقفنا في اختيارنا لعنوان مناسب على جدليّة الشرق والغرب وإشكاليّة الممكن والمستحيل في روايتي **"لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.و *Boussole* de Mathias Enard**

أمّا **الأسباب** التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، فيمكن رصدها بين **أسباب ذاتية**، تتجلّى في الإثارة العلميّة التي يحفل بها الأدب المقارن، إضافة للرغبة في اكتشاف الآخر، والتعرّف على خصائصه ومقوّماته العقائديّة والفكريّة، وتفعيل التاريخ الحضاري المشترك. وبين **أسباب موضوعيّة**، تكمن في محاولة المساهمة في بلورة سبل التواصل الحضاري برؤى مختلفة عن سابقيها من الشّرقيين أو الغربيين أنفسهم، إضافة لأهمية دراسة علاقة الشّرق والغرب ضمن أهم المواضيع التي تشغل مساحات كبيرة في الرّوايات العربيّة والعالميّة المعاصرة، كما لاحظنا كثرة الدّراسات الغربيّة عن الشّرق يقابله شحّ في الدراسات الشّرقية، التي تكاد تكون منعدمة.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ موضوعنا لا يدّعي الشّمولية والكمال والتّفرد، فهو لا يعدو كونه جدليًا يكاد يكون الحسم فيه مستحيلًا منذ الأزل.

ويهدف البحث إلى جملة من الاجراءات من بينها:

ـ التّعريف بالشّرق والغرب في المفهوم المعاصر.

ـ معرفة الآليات والصّور التي تشكّل جدلية الشّرق والغرب في الوقت الرّاهن.

ـ الاعتراف بشرعيّة الاختلاف بين البشر، وهو أحد روافد تشريع العلاقة مع الآخر على قاعدة التواصل والحوار والتعارف.

ـ توسيع أفق الثقافة والتعريف بالملامح الإنسانية والاجتماعية... لكل من الشّرق والغرب.

ـ معرفة المصادر التي اعتمدها الرّوائي في رسم صورة الآخر، كالتّجربة والسماع والقراءة، والمعايشة المباشرة... من خلال التّشكيل اللّغوي للمفردات.

ـ الكشف عن سمات القيم" الإنسانية، الحضاريّة "...القائمة بين الشّرق والغرب.

وهذا البحث الموسوم ب"جدليّة الشّرق والغرب وإشكاليّة الممكن والمستحيل في روايتي"لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي و *Boussol* de Mathias Enard يحاول الإجابة عن الإشكاليّة التّالية: كيف جسّد الروائيان صورتي الشّرق والغرب؟ وما مدى وضوح التقابل الحضاري بينهما؟

وهذه الإشكاليّة تفرّع عنها مجموعة من التساؤلات أهمّها:

– ما مفهوم الشّرق والغرب؟ وهل المفهومان ثابتان أم يتغيّران من عصر لآخر؟

- كيف تجلّت صورة الشّرق والغرب؟ هل هي نظرة ذاتيّة أم موضوعيّة؟

– ما الأسباب التي أهّلت الغرب لبلوغ غايته؟ وما الأسباب التي أنهكت الشّرق وجرّته إلى القعود؟ وما مبرّرات ذلك؟

- ما خصائص كلّ من الشّرق والغرب؟ ولما وسم الشّرق بالرّوحاني والغرب بالمادّي؟

– كيف قدّم الروائيان العلاقة التي تجمع الشّرق بالغرب؟ ما سبل تجسير العلاقة بينهما؟ وماهي أهم عوائق الحوار والتلاقح الحضاري؟ وكيف شخّصت الرّوايتان العربية والغربية صور الصّراع بين الشرق والغرب؟

وعليه فقد حاولنا اقتراح عدّة **فرضيات**، تعدّ بمثابة إجابة أوّلية، وتخمين مبدئي لجملة الإشكاليات المقترحة، تمثّلت فيمايلي:

- الشّرق مشرق الشّمس يقصد به البلدان الذي تقع في هذا النطاق، كما هو عليه الحال لمصطلح الغرب. إلاّ أنّ بعض الدّول لا تنتمي لمجالي الشّرق والغرب، لكن عدّت ضمن هذا الحيّز الجغرافي.
- سيطرة الرّؤى الذّاتية في تناول مواضيع الآخر لحقب كثيرة، إلاّ أنّ عنواني الروايتين يحيلان لأمر آخر.
- وسم الشّرق بالرّوحاني لممارسته بعض الشعائر الدّينية، أو إلى انتشار قصص الأساطير والخرافة. ووسم الغرب بالمادّي لتحسين حياته المادّية على حساب القيم الرّوحيّة، أو لاهتمامه بالعلم والتكنولوجيا.
- هناك العديد من سبل التلاقح والتثاقف الحضاري بين الشّرق والغرب كحوار الأديان، الملتقيات والتجمعات الدّولية، ومن أهمّ معيقات الحوار اختلاف الرؤى بين الطرفين نظرًا للنزاع التّاريخي والدّيني.

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع الجدلي دراسة مقارنة، لذا سنحاول تطبيق **المنهج الوصفي، التحليلي**، إضافة إلى **المنهج المقارن والمنهج الصورائي**؛ قصد استنباط أهم الصّور المتقابلة بين قطبي الشّرق والغرب، كما سنعمد **المنهج النفسي الاجتماعي**؛ لتحليل الأحكام والانعكاسات السّلوكية في التّعامل مع الآخر، وإلى ربط الأدب بالمجتمع والبيئة.

يحتوي البحث على مقدّمة وأربعة فصول- فصل نظري وثلاثة فصول تطبيقيّة -وخاتمة، كما قسّمنا الفصل الأوّل والمعنون ب"الشّرق والغرب وملامح تشكّلهما" إلى مبحثين، المبحث الأوّل عن مفهوم كل من": الجدل، الشّرق، الغرب"، وأخيرا إلى مفهوم الأنا والآخر، وفي المبحث الثاني تطرّقنا إلى صورة الشّرق والغرب في الدّراسات الشّرقيّة والغربيّة على حد سواء.

أمّا الفصل الثاني الموسوم ب"صورة الشّرق". والفصل الثّالث الموسوم ب"صورة الغرب" يضمّان ثلاثة مباحث، المبحث الأوّل عن الصّورة البشريّة، المبحث الثاني عن الصّورة الدّينيّة، أمّا المبحث الثالث فعن الصورة الاجتماعيّة.

وجاء الفصل الرّابع تحت عنوان "الحوار الحضاري بين الشّرق والغرب"، والذي يضمّ ثلاثة مباحث، فقد خصّصنا المبحث الأوّل للحديث عن روحانيّة الشّرق، أمّا المبحث الثاني عن مادّية الغرب، وفي المبحث الثالث تعرضنا للقيم الإنسانيّة بين الشّرق والغرب.

وانتهى البحث إلى خاتمة تضمّنت أبرز النتائج المتوصّل إليها.

أمّا المراجع التي كانت داعمًا لنا في الجانب النظري نذكر منها: سالم المعوش: **صورة الغرب في الرواية العربية**، إدوارد سعيد: **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة: صبعي حديدي، مجموعة من الباحثين: **صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسيّة حول العالم**، تفريقيتان تودودوف، ميخائيل باختين: **المبدأ الحواري**، تر: فخري صالح، ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر)** نماذج روائية عربية، (أحمد منور: **الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين**، زيغريد هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب** " **أثر الحضارة العربية في أوروبا**"، محمد الغزالي: **حقيقة القومية العربية**.

شكّلت قلّة المصادر والمراجع عائقًا لموضوعنا الجدلي القائم على تغيّر أنماط الرؤى من فترة لأخرى، وإلى تعدّد مرجعياته الفكريّة واتّساع مجال بحثه، الذي يحمل طابعًا جدليًا، ومن بين أهم التحدّيات التي واجهتنا فقد تمثّلت في صعوبة الحصول على الرّواية المترجمة إذ لم يكن ذلك ممكنًا إلاّ أواخر التسجيل الرّابع.

الفصل الأوّل:

الشّرق والغرب وملامح تشكّلهما

– المبحث الأوّل: مفهوم الشّرق والغرب وعلاقة الجدل القائم بينهما

– المبحث الثاني: صورة الشّرق والغرب في الدّراسات الحديثة والمعاصرة

المبحث الأوّل: مفهوم الشّرق والغرب وعلاقة الجدل القائم بينهم

إنّ من أهم القضايا الفكرية التي تشغل عقول الصّفوة من العلماء والباحثين، وتستدعي تجنيد كافة الوسائل والطرق، قصد تحقيق السّلام العالمي، قضيّة الشّرق والغرب وطبيعة العلاقة بينهما، فالعالم يتأرجح بين **شرق** حالم واهن أنهكه طول الأمل، بعد أن أسدى للبشريّة قيمًا وعلومًا لا تكاد تسعها الصّفحات، ليكتفي بالرّوح له مؤنسا، وبين **غرب** استفاد من مستحثّات الأوّل مادّيا وأحدث طفرة في ميادين كثيرة منسلخًا من قيمه الرّوحيّة، ليعيش النعيم المادّي...

فلا يستقيم لنا الأمر في بحث العلاقة بين الشّرق والغرب، ما لم نحدّد بدقّة مفهومي الشّرق والغرب، باعتبار الجدل القائم بينهما المحور الرّئيس للقضية وموضوع الدراسة بِرمَّتِهَا.

1. مفهوم الجدل

يعدّ الجدل أو الجدليّة أكثر المصطلحات توظيفًا في المجال الفلسفي والمعرفي، لذا سنحاول التطرّق إليه بصورة مقتضبة.

1.1. لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور عن الجدل فيما ملخصه: "الجدْل: شدّة الفتل، وجدلت الحبل أَجْدِلُهُ جدلًا إذا أشددت فَتْلَهُ وفتلته فتلًا محكمًا... وغلامٌ جادلٌ مشتدٌّ... وجادل ولد الناقة والظّبية يجدل جُدُولًا: قويَ وتبعَ أمه... والأجدل: الصّقر، صفة غالبةٌ وأصله من الجدل الذي هو الشِّدّة،... والجَدَلَةُ، الأرض لشّدّتها، قال ابن الأعرابي: الجدالة فوق البلحية، وذلك إذا جدلت نواتها أي اشتدّت... وجدلَ الحبُّ في السنبل يجدُلُ: وقع فيه، عن أبي حنيفة؛ وقيل: قوي. والمِجْدَلْ: القصر المشرق لوثاقة بنائه وجمعه مجادل، والاجتدالُ البنيان، وأصل **الجدْل** الفتل، قال الأعشى:

في مِجْدلِ شدِّد بنيانُهُ يزُّل عنهُ ظُفرُ الطائرِ

ودرع جدلًا ومجدولُهُ: محكمة النسج... والجدلُ: اللّددُ في الخصومة والقدرة عليها وقد جادله مجادلةً وجدلًا، ورجلٌ جدلٌ ومجادل: شديد الجدل، ويقال: جادلت الرّجل فجدلته جدلًا أي غلبته. ورجل جَدِلٌ إذا كان أقوى في الخصام... وجادله أي خاصمه مجادلةً وجدلًا، واسم الجدل، وهو شدّة الخصومة، وفي الحديث ما أتى الجدل قومٌ إلاّ ضلّوا؛ الجدل مقابلة الحجّة بالحجّة؛ والمجادلة: المناظرةُ المخاصمةُ والمرادُ به في الحديث الجدل إلى الباطل، وطلب المغالبة به لإظهار الحقّ فإنّ ذلك صمودٌ لقوله تعالى عزّ وجّل:﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ ويقال إنّه لجدل إذا كان شديد الخصام...

وقوله تعالى: ﴿**لا جدال في الحجّ**﴾ قال أبو إسحاق، قالوا: معناه لا ينبغي للرّجل أن يجادل أخاه فيخرجه إلى ما لا ينبغي..." [1]

وجاء في **معجم اللّغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر** لفظة **"الجدل"**على النحو التالي" **جدَل:** يجدُل ويجدِل جَدْلًا، فهو جادل وجدِل، والمفعول مَجْدول وجديل.

- جدلت شعرها: ضفرته.
- **جدل الرجل:** «صرعه»، بالغ في خصومته، غلبه في الجدل، قال تعالى: ﴿**قالوا يا نوح قد جدلتنا**﴾ **[ق]**
- **تجادل المجتمعون:** تخاصموا وناقش بعضهم بعضًا، تبادلوا وجهات النّظر "تجادل الشريكان– تجادل مع أستاذه".
- **جادل الشّخصُ:** ناقش وخاصم "مجادِلٌ صعب المراس قال تعالى: ﴿**ولا جدال في الحجِّ**﴾.

---

[1]– ابن منظور(أبو الفضل جمال الدّين)، لسان العرب، مادة (الجدل)، دار صادر، بيروت، ط1، 1374هـ–1955م، باب الجيم، ج8، ص ص 571–569.

وردت مادة (جدل) و مشتقاتها في كتب اللغة قدمًا وحديثًا على معاني منها: 1– الغلبة والظّهور على الخصم.

2– الإحكام و الإتقان. 3– اللدد في الخصومة والقدرة عليها 4– قوة الحجّة والبصر بمواضع الحق، ص 569.

- جادل معلمه في مسألة: ناظره، ناقشه وخاصمه "جادل ملحدًا، وقد جادلها في ذلك ناسٌ [مدينةٌ] قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.
- جدَل الرجل خصمه "صرعه" ترك خصمه طريق جدلًا".[1]
- وربّما سمي الوشاح جديلًا: قال عبد الله بن عجلان النهديُّ:
- كأنّ دِمَقْسًا أو فُروعَ غَمامةٍ على متنها حيث استَقَرَّ جَديلُها
- **الجديلةُ:** القبيلة والناحية".[2]
- **جَدَلٌ:** [مفرد]، جدال، شدّة الخصومة بالباطل، قال تعالى: ﴿**وكان الإنسان أكثر شيءٍ جَدَلا**﴾ لا يقبل الجدل: مسلَّمٌ به.
- **جَدلِيّ:** اسم منسوب إلى جَدَل: شديد الجدال، مثير للجدل "قضية جدلية تثير خلافًا أو جدلًا عامًا".
- **موضوع جدلي:** موضوع نقاش وخلاف.
- **المنطق الجدلية:** أسلوب استخدمه الإغريق بشكل عام للدلالة على العمليات التي تحكم الجدل والتّفكير.
- **جدليّة:** [مفرد]1. اسم مؤنث منسوب إلى جدل، 2. مصدر صناعي من جدل (سن) دايكتيكية، دايلكتيكية، ديالكتيكية: مصطلح فلسفي يقترن استعماله بتيارين بارزين يمثلان فلسفة هيجل المثالية وفلسفة ماركس المادّية وهي في الأفلاطونية علميّة فكريّة منطقيّة تنتقل من المحسوس إلى المعقول.
- **المادية الجدلية:** الفلسفة الماركسيّة وتتلخّص في اعتبار العالم كلا مكوّنًا من مادّة متحرّكة وحركة المادّة فيه تصاعديّة متطوّرة تموت فيها ظاهرة لتحيى أخرى.

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 351.

[2]- أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي "لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته"، سطور، الرياض، السّعودية، ط1، 2002، ص 169.

المجادلة: اسم سورة من سور القرآن الكرم، وهي السورة رقم 5 في ترتيب المصحف مدينة، عدد آياتها اثنان وعشرون آية."[1]

كما جاءت لفظة الجدل بمعان كثيرة منها "جَدَلَ: الغلام وولد الظبية وغيرها– جدولًا: قويَ وتبع أُمّه.

- **جادله:** مجادلةً، وجدَالاً في الأمر: ناقشه وخاصمهُ.
- **جدّله:** صَرَعَهُ.
- **اجتدّله:** الغلام: قوي و مشى مع أمه.
- **انجدل وتجدّل:** الجمل: الفرع.
- **تجادلا في الأمر:** تخاصما فيه.
- **الأجدل:** الصقر.
- **الجَدَالُ:** البلحُ إذا اخضَرَّ واستدار قبل أن يشتّد.
- **الجدالة:** الأرض.
- **الجَدَلُ:** الجدل: شدّة الخصومة.
- **الجدليّون:** من اشتهر بالجدل.
- **الجدل:** العضو.
- **الجَدْلَةُ:** مِدقة الهوان أو المهراس.
- **الجديلُ:** الزمان المفتول.
- **جديل وشدقم:** فحلان من الإبل.
- **المجادلة:** هي المناظرة.
- **المجدل:** الشديد الخصومة".[2]

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 352.

[2]– و. صلاح الدين الهواري ،المعجم الوجيز المدرسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 13.

- ويضيف **جبران مسعود** في معجمه " **الرّائد**": "**جَدَلٌ**: 1- مص. جَدِل. 2- مناقشة على سبيل المخاصمة، مقابلة الحجّة بالحجّة. 3- شدّة الخصومة والقدرة عليها. 4- في المنطق: قياس مؤلف من مقدمات معروفة أو مسلمة.
- **جَدِلٌ**: 1- قويٌّ، صلبٌ. 2- شديد الجدال والمناقشة".[1]

ويقول الأعشى:

- "في مجْدَلٍ شُيِّدَ بنيانه يَزِلُّ عنه ظُفُرُ الطائرِ
- **مِجْدَلُ**: القصر.
- وقال نصيف نخلة:
- وسارت إلى يَبْرينَ خمساً فأصبحت يخِرُّ على أيدي السقاة جَدالها"[2]

[1]- جبران مسعود، الرائد "معجم القباني في اللّغة والأعلام"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص 307.

[2]- أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي "لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته"، مرجع سابق، ص 168.

2.1. اصطلاحًا

يعدّ مصطلح **الجدل** من أكثر المفاهيم المستعصية الفصل معنى، ذات الصيت الذائع في مجالات وحقول الفلسفة ومختلف العلوم الإنسانيّة، كما كان ولا يزال من أكثر المواضيع اهتماما لدى جموع العلماء والمفكّرين، فالكثير من القضايا بقيت عالقة لغموضها على مرّ السّنين، تحت أَسْر أفكار ورؤى ظلّت مسيطرة عليها، ومن ثمة فلا بدّ من رصد معالم ذات أفق جديدة للبشريّة جمعاء، من خلال تفكيك وتحليل المفاهيم القديمة، وإعادة صياغة التصوّرات النمطيّة عن الآخر.

وعليه فوظيفة **الجدل** كما يقول **شوبنهور** أنّه: "يعالج التّفاعل بين كائنين عقليين هما لأنّهما عقليان يجب أن يفكّر بشكل مشترك، ولكنّهما بمجرّد أن يكفا عن الاتّفاق مثل ساعتين تحافظان بالضّبط على الوقت نفسه يخلقان منازعة أو منافسة عقلية".[1] أي تفعيل الرّابط المشترك بين الطرفين المتقابلين، بطرائق ومناهج تلغي الصّراع الأزلي الذي لا مناص منه في عصرنا الرّاهن.

كما جاء **الجدل** بمعان كثيرة منها:- **الحوار** البنّاء المتّسم بالفن واللّباقة في مناقشة الطرف الآخر، قصد الخروج بآراء ونتائج ترضي الطرفين بعد إزالة الصور المغلوطة وتحيينها في صور تقريبيّة للحقيقة الثّابتة.

- **المناظرة** والتي عُرفت أيضا في العصر الجاهلي بين الشّعراء لتمتدّ إلى أشكال أخرى كالمناظرات الدّينية بين مختلف المذاهب والملل، وهو ما شهده العالم الإسلامي؛ بعد كثرة التوجّهات والفرق، كما هو أحد سبل التلاقح الحضاري بين البشر.
- **المحاجّة** بالأدلّة والبراهين بتوظيف النّصوص الشرعيّة والعلميّة وحتّى التاريخيّة في إجهاض وإبطال الشّبهات المنسوبة لطرف ما، بالإضافة إلى معاني **المِراء** و**الخصومة**

[1]- مجاهد عبد المنعم مجاهد، رحلة في أعماق العقل الجدلي، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، د ت، ص 12.

قصد دحض رأي الآخر وإيقاعه في الخطأ، وهو من الأمور المذمومة حسب رأي الكثير من العلماء والفلاسفة.

أمّا **الجدل** في المنظور **الفلسفي** فينتقل إلى مفهوم **الديالكتيك**، فقد اختزل الفيلسوف اليوناني "**هيرا قليطس**" هذا المفهوم بأنّه: "كل شيء موجود ولكنّه غير موجود" في المقابل جعل "أرسطو" الديالكتيك أسلوباً للبرهنة على الموضوعات المقتبسة من الآخرين، ليأخذ هذا المصطلح مدلولاً مغايراً في القرون الوسطى كأداة التّمييز بين الحقيقة والكذب".[1] فمفهوم **الجدل** في الفكر الغربي ينطوي تحت تناقضات متعدّدة من حقبة لأخرى، ليغدو **منهجًا للمعرفة**، بسبر أغوار الحقيقة واجتثاث الأنساق المعرفيّة السّائدة، كالمغالطات التّاريخيّة التي ظلّت لعقود مرسومة في ذهن الإنسان على أنّها الحقيقة المطلقة لا نقاش ولا مراء فيها. وقوانين **الديالكتيك المادي** حسب **فردريك أنجلز** ***Frederick Engels** ثلاثة منها:

"1- **قانون وحدة المتناقضات** وصراعها، فهناك نوعان من التناقضات: تناقضات داخلية وتناقضات خارجية".[2] أي أنّ لكل نقيض نقيض آخر في حدّ ذاته. كما اطلق عليه "قانون صراع الأضداد"، فالطبيعة في نظره نفسها ديناميكيّة.

2- " **قانون تحوّل الكم إلى الكيف**":[3]، لا يمكن الجزم في قضيّة ما دون اللّجوء للثنائيات المتقابلة، والتي تستمر في التغيّر والتحوّل من الكمّي إلى النّوعي –أي تحوّل الكميّة إلى كيفيّة أو العكس– في إحداث **طفرة** وليدة العهد.

---

[1]- عبد الرزاق المسلم الماجد، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 51.

[2]- جميل حمداوي، مناهج علم النّفس وعلم النّفس التّربوي، المغرب، ط1، 2017، ص 62.

* **فردريك أنجلز**: كان فيلسوفا وكاتبا ومنظرا سياسيا يعدّ أبو النظرية الماركسية Frederick Engels 1820-1895

[3]- جميل حمداوي، مناهج علم النّفس وعلم النّفس التّربوي، المرجع السّابق، ص 63.

3- " **قانون نفي النّفي:** يقصد بنفي النفي نقيض الأطروحة وتقييمها، بمعنى أنّ الشّيء له أطروحة (Thèse)، ونقيض(Antithèse)، وتركيب (synthèse)" [1] أي عمليّة تفكيك القديم وإعادة بناء صياغة جديدة منه.

كما أنّ هناك مناهج جدليّة أخرى نالت نصيبها من الاهتمام، منها المنهج الجدلي لكل من **لهيجل** و**كارل ماكس**.

وقد جاءت المعاجم والقواميس **العربيّة** مجتمعة على مفهوم **الجدل** بمجموعة من المرادفات من بينها: الإحكام، والقوّة، والشدّة، والصّلابة... وعرّفه **الجرجاني** بأنّه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة".[2] فالجدل في جوهره يُضَمِّن الحجاج البلاغي في مخاطبة الطرف الآخر، قصد تأييد أو نفي رأي ما مخالف لأمر الواقع.

ويعود الفضل لفرقة **المعتزلة** في وضع قواعد البلاغة النّثريّة، حيث يعتبر **ابن سينا** المفكر العَزلي أنّ للجدل: "شرف على المنطق، ذلك أنّه يشتغل على المسائل السياسيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة للإنسان، ومن ثم فهو يشتغل على أرض الواقع".[3] أي امتداد الجدل وتعميمه إلى مجالات عديدة، تمسّ جميع مناحي الحياة البشريّة.

وقد ورد لفظ **الجدل** في **القرآن الكريم** (تسع عشرة مرة) كلّها في سياق **الذّم**، إلاّ في ثلاثة مواضع، أحدها في سورة النّحل :﴿ **ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة** (5)﴾ والموضع الثاني في سورة العنكبوت :﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن وأقوم**

[1]- جميل حمداوي، مناهج علم النفس وعلم النفس التربوي، المرجع السّابق، ص 64.

[2]- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الغربي بيروت، ط1، 1405هـ، ص 101.

[3]- مجاهد عبد المنعم مجاهد، رحلة في أعماق العقل الجدلي، مرجع سابق، ص 16.

'6'﴾ والموضع الثالث في سورة المجادلة :﴿**قد سمع الله قول التّي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله '7'**﴾

– سورة الكهف الآية 56/ الحج (8) /الزخرف (58) / الأنعام (121).

الآيات التي ذكرت فيها كلمة (الجَدَلُ):

جَادلَ: جادلتم (النساء 109)/ **جادلتنا:**(هود 32)/ **جادلوا:**(غافرة 45)/ **جادلوك:**(الحج 6)

يجادل: يجادل (النساء 109) (الكهف 56) (الحج 8/3) (لقمان 20) (غافر 24)

يجادلنا: (هود 374)/– **يُجادِلُوكم:** (الأنعام 21/ 41)/– **يجادلون:** (الرّعد 13) (غافر 69/56/35) (الشورى 535) /– **يجادلونك:** (الأنعام 25) (الأنفال 6)

– **تجادل:** (النحل 111)/– تجادلك: (المجادلة 1)/– **تجادل:** (النساء 107)/– **تجادلوا:** (العنكبوت 46)/– **تجادلونني:** (الأعراف 71)

– **جادِل:** جادِلهم (النحل 125)

– **جِدال:** جِدَال (البقرة 197)/– **جدالنا:** (هود 32)"[1]

ولمّا كان هدف الجدل هو خلق الإنسان الشامل أو الكامل أو المطلق، فإنّ **الجدل** يهدف إلى هدم الحاضر والماضي معًا أو بإظهار تباينهما واختلافهما "بمعنى أن تفقد الأشياء والأوضاع قدسيّتها وضمنيّتها وثباتها... وهذه هي رسالة الأنبياء رسالة الجدليين: هدم الأصنام وخلق الجديد... وهذه رسالة الشعراء رسالة جدليّة: هدم الأوثان والتجنيح نحو المستحيل... وهذه رسالة المفكرين رسالة الجدليين: هدم محدودية الإنسان الفكرية والإطلال

[1]– أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي "ألفاظ القرآن الكريم وقراءاته"، سطور، الرياض السّعودية، ط1، 2002، ص 554.

على خصب الإمكانيات الإنسانية... وهذه رسالة الثّوريين رسالة الجدليّين: هدم الرّوتين والسير النمطي والاندفاع بالفعل الحاد للنفاذ سريعاً إلى المستقبل..."[1]

وممّا تقدّم يمكن القول إنّ **الجدل** رغم تعدّد مفاهيمه سواء أكان عند الغرب أو الشّرق، إلّا أنّه يكتسي أهميّة بالغة؛ تكمن في محاولة إيضاح المفاهيم المتنازع عليها، وتقريبها بين الطرفين المختلفين إمّا فكريّا، أو عقائديّا، أو جغرافيّا... ضمن قواعد وشروط معتمدة بأدلّة وبراهين؛ قصد محاورة ومناظرة الآخر بطريقة حضاريّة، تنمّ عن الاحترام وقبول الرأي المناقض، ومن ثمّة تجديد الرؤى الكلاسيكية عنه، وهذا ما سنحاول التركيز عليه في بحثنا.

[1]– مجاهد عبد المنعم مجاهد، رحلة في أعماق العقل الجدلي، مرجع سابق، ص15.

2. مفهوم الشّرق

1.2. لغة

جاء في معجم **اللّغة العربية لأحمد مختار عمر** بأنّ **الشّرق:**" جهة شروق الشّمس".[1]

كما يضيف جبران مسعود في معجمه " الرّائد" :" الشّرق: ج: أشراق. 1- مص. شَرق. 2- الجهة تشرق منها الشمس. 3- الشّمس. 4- ضوء دخل من شقة الباب. 5- شقّ. 6- في المفهوم الجغرافي: قسم من المناطق الواقعة شرقي "البحر الأبيض المتوسط" وشرقي "أوروبا". وهو أقسام: الشرق الأدنى، الشرق الأوسط والشرق الأقصى. 7- في المفهوم السّياسي: معسكر الدول ذات الأنشطة الاشتراكية أو الشيوعيّة".[2]

وبالرّجوع إلى الدّلالة اللّغوية للشّرق، التي تعدّ الأصل في اشتقاق الاصطلاح نجد في **(معجم الصّحاح "تاج اللّغة وصِحاح العربيّة)** أنّ مصطلح الشّرق جاء بمعانٍ كثيرة منها :"المشرق والشّرق: الشّمس، يقال: طلع الشّرقُ، ولا آتيك ما ذرَّ شارق، والمشرقان: مشرق الصّيف والشّتاء. والمشرقة موضع القعود في الشّمس، وفيه أربع لغات... وفي الحديث ﴿**يؤخّرون الصّلاة إلى شَرق الموتى**﴾ أي: إلى أن يبقى من الشّمس مقدار من حياة من شَرِقَ بَرِيقِهِ عند الموت، ولهم شَرِقٌ أيضًا: الاسم عليه".[3]

---

[1]- أحمد مختار عمر، اللّغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص1193.

[2]- جبران مسعود، الرّائد" معجم ألفبائي في اللغة والأعلام"، مرجع سابق، ص 521.

[3]- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح "تاج اللّغة وصِحاح العربيّة"، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2009، ص ص، 593- 594.

2.2. اصطلاحًا

إذا دقّقنا في مدلولات مصطلح **الشّرق** الذي شاع في هذا العصر أكثر، نجد أنّ البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملة من المعاني المحمّلة بمفاهيم تتضارب فيما بينها، والتي سنحاول تصنيفها إلى مستويات:

أ. مفهوم الشّرق الجغرافي

من المسلّمات أنّ مصطلح الشّرق يعنى به **مشرق الشّمس**، وهذه الكلمة أخذت عبر التاريخ مدلولًا متغيّرا، اختلف فيها من حقبة إلى أخرى، **فالشّرق** في القديم كان يعنى به تلك البقعة الممتدّة على مساحة واسعة من آسيا، وقسمًا من إفريقيا، بما فيها البلاد العربيّة (التي لم تكن تحمل هذا الاسم). وبالتالي فهو: "ما كان شرقي للبحر الأبيض المتوسّط وامتداده شمالًا وجنوبًا، فيشمل ذلك الهند، الصّين، اليابان، الاتّحاد السّوفيتي، إيران والعالم العربي بأجمله بما فيه مصر، كما يشمل أستراليا، وشمل الغرب وأوروبا وأمريكا..."[1]

وما يعنينا من هذا الامتداد هو أنّنا عند استعمال كلمة شرق فإنّ المقصود بها العالم الإسلامي، بالإضافة إلى دول **"العرب بشكل عام منذ ما قبل الفتح الإسلامي"**.[2] فعلى سبيل المثال، فإنّ البلدان العربيّة التي تقع في شمال أفريقيا عدّت عند الكثير من المؤرّخين الغربيين في القرون الماضيّة ضمن الحيّز الغربي، وذلك لسيطرة المركزيّات الغربيّة عليها، في خطوة لتفكيك عالم الشّرق، في حين تقوم هذه البلدان على دعامتين من مقوّمات الشّرق، هما: اللّغة العربيّة والمعتقد الإسلامي.

[1]– أحمد أمين، الشّرق والغرب، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنشر، القاهرة، 1955، ص 8.

[2]– سالم المعوش، صورة الغرب في الرّواية العربية، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، لبنان، ط1، 1998، ص 70.

وارتبط مصطلح الشّرق جغرافيا بعدّة مفاهيم من بينها:

"**الشّرق الأدنى:** اسم يطلق على مناطق آسيا الغربية الواقعة على البحر الأبي المتوسط، شمال تركا، قبرص، سوريّة، لبنان، فلسطين وحتى مصر" ومنهم من يحصر هذا المصطلح قائلًا: "فقد اقتصر معناه على تركيا ودول البلقان".[1]

الشّرق الأقصى:"اسم يطلق على بلدان آسيا الشّرقية، اليابان، كوريا، الصين، فرموزا، الهند، الفيليبين، فيتنام، تايلاند، بورما، ماليزيا، أندونسيا.

الشّرق الأوسط: اسم يطلق على بعض مناطق آسيا الجنوبية الغربية، شبه الجزيرة العربية، الأردن، سورية، لبنان، العراق، تركيا، إيران، مصر، السودان وحتّى أفغانستان وباكستان أحيانًا".[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ **المفهوم الجغرافي للشّرق** لا وجود له على أرض الواقع بل هي على حد قول إدوارد سعيد: "حقيقة من صنع البشر أسمّيها الجغرافيا المتخيّلة، أكثر من كونه حقيقة طبيعية..."[3]

والملاحظ أنّ **البعد الجّغرافي** للشّرق اليوم الذي كان في بادئ الأمر قد أقصي، ليغدوا الشّرق مرتبطا بمعاني ومفاهيم ذات دلالات تتعدّى التّحديد الجغرافي.

---

[1]– مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدّراسية حول العالم في أمريكا–بريطانيا–فرنسا–إيطاليا–ألمانيا–إسبانيا– روسيا– الهند– كوريا– البرازيل–إسرائيل، مجلة الموفة، الرياض، السّعودية، ط1، 2003، 66.

[2]– أحمد مختار عمر، اللّغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 1193.

[3]– إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، تر: صبعي حديدي، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1996، ص 34.

ب. مفهوم الشّرق السياسي: (الشرق الأوسط وشمال إفريقيا)

شهد العالم أزمات سياسيّة كثيرة، راح الشّرق فيها ضحيّة للنهب والاستغلال بأبشع الطرق، حيث عاش ويلات الحروب والاستدمار؛ قصد الغزو على ثرواته الطبيعيّة، من بترول وغاز... ما نتج عنه شرق واهن راضخ للغرب، بعد أن كان هذا الأخير القلب النابض للعالم ماديّا وروحيّا، يقصده الحكيم والتاجر والعالِم، ليقبع في غياهب التخلّف والحرمان،...أضحى تابعًا للغرب الذي يملك المادّة والتكنولوجيا، والمدجّج بمنظومة فكريّة انسلخت عن القيم الدينيّة، لينقسم العالم إلى شقّين من الثنائيات المتقابلة المشحونة بالدّلالات. ومن بين الصّفات المتباينة التي تلازم **الشّرق** اليوم أنّه: متديّن، متخلّف، خرافي، ثابت في قيمه وأخلاقه، مسالم من خلال كرمه وجوده، روحاني، بدائي، بسيط، منطوي، متشدّد، إرهابي) ما انعكس على السّاحة الأدبيّة بين رافض للغرب محمّلًا إيّاه سبب تأخر الشّرق عن ركب الدّول المتقدّمة، وبين مؤيّد لطي صفحات الماضي الأليم والسّير جنبا إلى جنب، بتفعيل الرّوابط المشتركة بين البشر.

وجاء في **كتاب سعيد إدوارد "تعقيبات على الإشراق"**: أنّ "الشّرق" و"الغرب" حقيقتان أنتجهما البشر ويتوجّب بالتّالي أن يُدرسا كعناصر مكوّنة للعالم الاجتماعي..."[1]

فقد كانت صناعة "**شرق**" مغاير للغرب، بخصائص تتقابل تارة وتتناقض تارة أخرى، ضمن مخططات الغرب العنصريّة، ف"بيولوجيا الاستشراقية التي كشف عنها إدوارد سعيد الذي انطلق في نقده من فكرة ميشيل فوكو حول علاقة شرعية المعترفة بالقوّة، مبرزاً خطر مفاهيم شاسعة مثل، «العقل العربي» و«النفسيّة العربيّة» و«العقلية العربية» وغير ذلك من المصطلحات العنصرية ذات الطابع الجوهري، الذي يصطنع نقاط المغايرة اصطناعيًا،

[1]- إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، تر: صبعي حديدي، المرجع السّابق، ص 34.

فيفسد البحث الذي يزعم لنفسه نشدان الموضوعية"[1]؛ قصد شحذ قريحة المجتمع الغربي بصور نمطيّة عنصريّة، تجعل من الإنسان الشرقي مرادفًا للإرهاب، والتوحّش، الانطواء على الذات، والعصبية... كلّها صور تخييليّة تصوّر العقل الغربي بتفوّقه المادي والعلمي بأنّه سيّد ومركزٌ على الآخر.

في حين يؤكّد **إدوارد سعيد** أنّ مصطلح **الشّرق** ما هو إلاّ: "شبه اختراع أوروبّي بالتّحديد، وكان منذ الزمن الغابر مكانًا للرّومانيين، أي قصص حب ومغامرات، والكائنات الغريبة والذكريات والمشاهد التي لا تُنسى والخَبرات الفريدة الرائعة..."[2] ما يدلّ على التغيّرات التي حظي بها مصطلح الشّرق، وجاء مصطلح **الشّرق** ليدلّ على" كل ما ليس غربًا وعلى بعض ما رغب فيه الغرب حقًا."[3] قصد تحقيق مآربه الشّيطانيّة في التوسّع بإحكام قبضته على الشّرق، والنّيل من كنوزه الكامنة في الطبيعة، واستغلال الكفاءات البشريّة لصالحه؛ حيث يصوّر للعالم بأنّه يمثّل أرض السّلام والعدل، ينعم بالرّفاهية التي حققها من المستعمرات القديمة والحديثة، ما خوّله قيادة العالم حاليا.

ج. الشرق الحضاري

يذهب الكثير من المفكّرين والمؤرّخين إلى أنّ **الشّرق** ذو فضل عظيم على البشريّة، خاصّة في العصور التي اطلق عليها **العصور الذّهبيّة** مع بداية العصر العباسي الأوّل، في حين كان الغرب يسبح في الخرافات تحت سلطة الكنيسة، التي كانت تعارض العلم،

[1]– مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا–بريطانيا–فرنسا–إيطاليا–ألمانيا–إسبانيا– روسيا– الهند– كوريا– البرازيل–إسرائيل، مرجع سابق، ص 68.

[2]– إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشّرق، تر: محمد عناني، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط 1، 2006، ص 42.

[3]– ضياء الدّين ساردار، الاستشراق، "صورة الشّرق في الآداب والمعارف الغربية"، تر: فخري صالح، مينة أبوظبي للسّياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2012، ص 24.

لتمجيدها الرّوح فقط، حيث اصطلح على تلك الفترة **بالعصور المظلمة**، فقد وازن الشّرق بين المادّة والرّوح، فنال بذلك شرف تسيّد العالم، وأسّس دولة بلغ صداها مشارق الأرض ومغاربها، بعلوم أسّست مناهج ونظريات في حقول عديدة، **كالطب** الذي بزغ فجره بفضل ابن سينا وابن الهيثم والقزويني... ورياضيّات أعلى كعبها الخوارزمي برؤى محدثة، وفي محاولة فكّ سرّ الجاذبيّة من طرف عبّاس بن فرناس الذي جرّب أوّل محاولة طيران.

كما عاشت الحضارة المصرية "أكثر من أربعة آلاف عام مع أنّ الحضارة اليونانيّة لم تعش أكثر من ألف عام. وعاشت الحضارة العربيّة أكثر من ألف ومائتي عام بينما لم تدم الحضارة الغربيّة أكثر من سبعمائة عام... ولذلك نقول إنَّ: مدّة تحضّر الشّرق أطول من مدة تحضّر الغرب... [الحروب بين الشرق والغرب كانت باسم الإنسانية]"[1]

وجاء في كتاب "**الاستشراق**" **لإدوارد سعيد** أنّ مفهوم الشّرق ليس مجاورًا لأوروبا وحسب: "بل إنّه أيضًا موقع أعظم وأغنى وأقدم المستعمرات الأوروبيّة، وهو مصدر حضاراتها ولغاتها، ومنافسها الثقافي، وهو يمثّل صورة من أعمق صور الآخر وأكثرها تواتراً لدى الأوروبيّين، أضف إلى ذلك أنّ الشّرق قد ساعد في تحديد صورة أوروبا (أو الغرب) باعتباره الصّورة المضادّة والفكرة والشّهية والخبرة المضادّة..."[2]

إذن فقد سبق **الشرقُ الغربَ** في حضارته، بل وعاش أطول مدّة منه، وأضحى منبعًا له أثناء تقدّمه العلمي والتكنولوجي، وبالتالي حسب **إدوارد سعيد** فقد أصبح: "يمثل فكرة لها تاريخ وتقاليد فكريّة، صور بلاغيّة ومفردات جعلتها واقعاً له حضوره الخاص في الغرب وأمام الغرب".[3]

---

[1]– أحمد أمين، الشّرق والغرب، مرجع سابق، ص ص، 17– 18.

[2]– إدوارد سعيد، الاستشراق "المفاهيم الغربية للشّرق"، تر: محمد عناني، مرجع سابق، ص 43–44.

[3]– المرجع نفسه، ص 48.

فرغم الكبوات التي ألمّت بالشّرق إلاّ أنّ العالم يشهد بتفوّق منظومته الأخلاقيّة والاجتماعيّة على نظيره الغربي، الذي حسّن وسائل الحياة لا روحها، وتبقى مشكلة الشّرق في احتياجه المستمر للمادّة، رغم الثروة الباطنية والطاقات الشّبانيّة الهائلة التي يحوزها إلاّ أنّه فريسة سهلة للآخر؛ قصد الانقضاض على موارده الطبيعيّة، وهذا ما أكّده الغربيّون أنفسهم على لسان أحد دارسيهم، يقول **بَيْتْس: "فالشّرق والغرب يظهران كضدّين، الشّرق مستقلٌ روحيًا، ومستعدٌّ للخضوع للغزاة".**[1]

فلكلّ شقّ خصوصياته ومقوّماته، وتبقى أوجه **التماثل أبلغ** من أوجه **الاختلاف**، حيث جاء في كتاب **"الاستشراق" لإدوارد سعيد** أنّ: "الشّرق هو الشّرق والغرب هو الغرب وأبدًا لن يلتقيا".[2] في صورة استطراديّة لقبول الآخر. في المقابل الاختلاف بين البشر من تدبير الخالق؛ الغاية منه التّعارف والتآخي، ومدّ يد العون، فأصل بني البشر واحد.

واستنادًا لما تقدّم فإنّ **الشّرق** كان سبّاقًا لاحتضان أوّل اجتماع إنساني، بمعتقدات، وحضارات، وعلوم لم تشهدها رقعة أخرى من أصقاع الأرض، وكما هو معلوم لم تعمّر حضارة وتدم إلاّ وكان وراءها انضمحلال خلقي، وهو ما شهده العالم الإسلامي الذي سار في نهجه على شريعة تقوم على حفظ التوازن والانسجام بين الرّوح والمادّة، مؤسّسًا دولة عظيمة، لم تلبث أن اندثرت؛ بسبب البذخ والثراء الفاحش في العصر العباسي الثاني، إضافة لتردّي القيم الخلقيّة والاجتماعيّة، وهو ما حدث لأمم كثيرة منها ما ذُكر في القرآن، كقوم عاد وثمود ولوط، ليبني الشّرق اليوم حياته على أنقاض الموروث لا العلم الحديث.

[1]– سعد البازعي، مقاربة الآخر "مقارنات أدبيّة"، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص 37.

[2]– سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 8.

3. مفهوم الغرب

1.3. لغة

غَرْبٌ: جهة غروب الشمس، تقابله: شرق:"هبَّت الرِّيح من الغرب".

الغرب: البلدان الغربية، ويقصد بها أوروبا الغربية والبلدان الأمريكية، يقابله الشّرق "العلاقات متّصلة بين الشّرق والغرب من قديم الزمان".[1]

وأيضًا **الغربٌ:** "ج. غروب. 1- مص. غربَ. 2- مكان غروب الشمس. 3- بلاد موقها في جهة الغرب بالنسبة إلى غيرها، " كأوروبا بالنسبة إلى البلاد العربية. 4- دمعٌ. 5-مسيل للدمع. 6- عرقٌ في العين يبقى و لا ينقطع. 7- مقدّم العين. 8- مؤخّر العين. 9- بثرة العين. 10- ورمٌ في المآقي. 11- كثرة الرِّيق. 12- دلوٌ عظيمة. 13- بُعْدٌ. 14- أوّل كل شيء. 15- مدّ كل شيء. 16- نشاط وحدّة: «غرب الشباب». 17- فرس كثير الجري. 18- دلو عظيمة. 19- " سهمُ غَربٍ أو سهمٌ غربٌ»: لا يعرف راميه".[2]

الغَرْبُ: الدّلو العظيمة، ويقال لحدّ السَّيفِ غرب، وغرب كل شيء حدّه، يقال في لسانه غربٌ أي حدّه، وغرب الفرس حدّته وأوّل جريه.

وللعين غربان: مقدّمها ومؤخّرها: قال الأصمعيُّ: يقال: لعينِهِ غَرْبٌ إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها".[3]

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 1603.

[2]- جبران مسعود، الرّائد "معجم القباني في اللغة والأعلام"، دار العلم للملايين، ط3، 2005، ص 639.

[2] - أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح "تاج اللّغة وصِحاح العربيّة"، مرجع سابق، ص 841.

2.3. اصطلاحًا

ظلّ مصطلح الغرب مقابلاً لمفهوم **العالم المسيحي**، ليتطوّر مدلوله إلى التّحديث **الجغرافي السياسي** إلى **الثّقافي الحضاري**...

أ. الغرب الجغرافي

فإذا حاولنا ضبط مصطلح "**الغرب**" لا بدّ من الإشارة إلى جذوره الأولى، انطلاقًا من التّحديد الجغرافي له: "وهو ما ترسمه الخطوط الجغرافية والخرائط العالمية لما يقع في جهة الغرب من آسيا وإفريقيا وأمريكا وكندا".[1]

والملاحظ من خلال هذا التحديد التباين الكبير في آراء الكثير من الباحثين مبرّرين ذلك كون أنّ: "في أوروبا ما يعدّ شرقياً كجزء كبير من تركيا وفي الشّرق ما يعدّ غربيًا كإفريقيا الجنوبية وأستراليا..."[2]

ورغم هذا التباين والتضارب في الآراء فمنهم من أضاف بعض الدّول: "بفعل تاريخ قسري (أستراليا)، أو طوعي (اليابان)"[3] إلى العالم الغربي، وهذا راجع للتغيّرات التي طرأت حديثًا في اتّباعهما النّمط الغربي. وهذا ما يمثّل اليوم **النظام العالمي الجديد**.

ب. الغرب السياسي

بعد سقوط حضارة الشّرق على يد المغول والتّتار، إضافة إلى الصراعات الدّاخليّة بين مختلف المذاهب الإسلاميّة، يأتي الدّور على الحملات الصليبيّة، التي شقّت طريقها؛ فقيّدت العالم عامة والبلدان الإسلامية خاصّة، نهبت وعاثت فسادا، وعليه سلب تاريخ الشرّق التّليد،

---

[1]– عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، المركز الإسلامي للدّراسات الإستراتيجية، ط1، 2017، ص 15.

[2]– أحمد أمين، الشّرق والغرب، مرجع سابق، ص 8.

[3]– محمد حافظ دياب، ذاكرة الإسلام والغرب، المجلس الأعلى للّثقافة، القاهرة، ط1، 2016، ص 29.

إذ جمعت ما تبقى من الكتب، عكس المغول والتّتار، اللّذان قصدا التخلّص من الكم الهائل من المكتبات، ليجعل الغرب من الدّول المستضعفة تابعة لإرادته، يقتات على موارد الشّرق الطبيعيّة، لتضمن المركزيات الغربيّة بذلك لشعوبها الرّفاهية، والعيش الرّغيد، والأمن والسّلام على حساب جثث الملايين من الأرواح البريئة، لترتسم عن ذلك عدّة صفات مقابلة لمفهوم الغرب منها:(علماني، متقدّم، واقعي، متغيّر، متوحّش، مادّي، متحضّر، إباحي، منفتح، مغامر، العدل والمساواة...) بعد أنْ تأثّر بنظريات داعية لفصل الدّين عن الدّولة، بل والتخلّص من فكرة الدّين أساسا، فسعوا صوب المادّة دون النظر لتبعاتها على الجانب الرّوحي.

فالغرب، بوصفه كينونة سياسيّة "تعود إلى القرن التاسع عشر، قبل ذلك كان هناك العالم المسيحي..."[1] يقصد به: "مجموعة الدّول التي تكون أوروبا بشكل عام وأمريكا الشمالية وما يدور في فلك هذه الدّول وينهج نهجًا في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتّعامل الخارجي..."[2] وهو ذو تركيب حضاري ثقافي محكم أيضًا، تطوّر بفعل "عوامل خارجيّة وداخليّة من المجموعة الدينيّة المسيحيّة كقوّة تضامن إلى مجموعة حضاريّة ابتداءً من القرن السادس عشر، وكانت نواته أوروبا الغربية، مهد نهضة ثقافيّة، فإصلاحًا دينيًا، فحركة تنويريّة، فثورة سياسيّة، فثورة صناعيّة".[3]

هذه المنظومة السياسيّة والاقتصاديّة المتكاملة شكّلت تحالفات بين عديد الدّول الغربيّة، تنتهج فكرة إقصاء الآخر، وطمس هويّته، قصد إدماجه لصالحها، و"التي ولدت في الغرب

[1]– ضياء الدين ساردار، الاستشراق، "صورة الشّرق في الآداب والمعارف الغربية"، تر: فخري صالح، مرجع سابق، ص23.

[2]– سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 70.

[3]– المناعي، الأنا والآخر ومقتضيات العبارة: الشّرق والغرب في مؤلفات الشّابي، مرجع سابق، ص 82.

الجغرافي إبان عصر التنوير واستمرت إلى يومنا هذا، وتحاول أن تبسط سيطرتها على العالم كلّه وتلغي باقي الحضارات، وتمتد جغرافيّا أيضًا كندا ونيوزيلندا".[1]

والملاحظ من هذا التعريف أنّ مفهوم **الغرب** أخذ تحديثات مستمرة من فترة إلى أخرى، انتقل من حصره في كل من البعد **الدّيني** إلى **الجّغرافي**، ومن ثمّة إلى البعد **السياسي**...

ج. الغرب الحضاري

إنّ التقدّم الحضاري الذي أحرزه الغرب كان نتاج تجديد ذاته علميّا وعمليّا، ما أحدث طفرة نوعيّة في مناحي الحياة الماديّة من أدب وصناعة وزراعة... بعدما استفاد من الموروث الشّرقي، ممّا خوّله التربّع على عرش البشريّة بالقوّة، وباحتكار المعلومة، كان لزاما عليه محاولة فرض أفكاره على الآخر، حتّى تتصاع له الأمم، وتنقاد إليه العقول المهاجرة، ليصبح ملاذ دول العالم الثالث، وقبلة لتفجير مواهبها وإبداعاتها، حتّى الأدبيّة منها، بعدما ظهر في أبهى صور الحياة الرّغيدة، متشبعًا بأفكار المندّدين بخرافة وجود حياة أخرى، فسعى أن تكون الحياة الدّنيا نعيمه الفاني، بداية من السير في نهج العلمانيّة، متشرّبًا سموما، عصفت بالقيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة.

لذا علينا أن نفرّق بين الغرب السّلبي **(الاستدماري)** "والغرب الذي يحمل عدداً من المناهج وطرائق البحث والتقنيّة، التي يمكن الإفادة منها".[2]

وللحديث أكثر عن الغرب، لابدّ من التّنويه بأنّ: "حضارته قديمًا كانت محصورة في الحضارة اليونانية، أمّا حاليًا فقد أصبح يعنى به أوروبا وأمريكا الشمالية وبعض الدّول كاليابان وأستراليا، وقد تمّ تصنيف وتمييز مصطلح الغرب في المعاجم الأوروبية المعاصرة "

[1]– عامر عبد ريد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، مرجع سابق، ص 15.
[2]– مصطفى عبد الغني، الاتّجاه القومي في الرّواية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1994، ص 92.

بين الغرب**occident** كجهة جغرافيّة وبين الغرب **Occident** بحرف **O** الكبير للدلالة على العلميّة".[1]

ويضيف **محمد راتب الحلاّق** عن الغرب:" هو الاسم الطبيعي لمواجهة الشّرق، وهو اسم لا يعبّر عن وضع جغرافي حقيقي بقدر ما يعني كيانا ثقافيّا، ودينيّا، واجتماعيّا، وسياسيّا، وعسكريّا".[2]

والغرب بمنظار **علم المعرفة** "نمط تفكير تحقّق في إطار تاريخي معيّن في نطاق جغرافي خاص..." [3] وبالتالي لم يعد الشّرق والغرب مجرّد: "اتّجاهين على الأرض، بل أصبحا بالضّبط تحديدين ميتافيزيقيّين".[4]

ومنهم من خصّ مصطلح **الغرب:** "بالتقدّم الميكانيكي والحركات الصناعيّة الديمقراطيّة وتلوين أدبه وفنّه بلون خاص– لون **علمي** أكثر منه نظري– وتقدير النّساء ومنحهنّ كثيرا من الحريّة."[5] على نقيض الشّرق **نظري** أكثر منه علمي.

أمّا **الغرب الثقافي،** فهو: "ما أنتجه الغرب من ثقافة في عصوره المختلفة إلى أنْ انتهت إلى ثقافة العلمانيّة والليبراليّة والفردانيّة والرأسماليّة في جميع المجالات".[6] وهذا تكملة لما خلّفته الحضارة اليونانيّة، من نظريات وعلوم سار الغرب على خطاها اليوم، وأفكارها الفلسفيّة.

---

[1]– عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، مرجع سابق، ص 31.

[2]– محمد راتب الحلاق نحن والآخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، اتّحاد الكتاب العرب، (د ط)، دمشق، سوريا، 1997، ص13.

[3]– عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النّقدي الإسلامي"، مرجع سابق، ص 95.

[4]– عبد الله العروي، الإيديولوجية العربيّة المعاصرة، دار الحقيقة، ط4، بيروت، لبنان، 1981، ص 8.

[5]– أحمد أمين، الشّرق والغرب، مرجع سابق، ص 8.

[6]– عامر عبد ريد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، مرجع سابق، ص15.

من خلال ما تقدّم يمكن القول إنّ الغرب اليوم "ليس حيّزاً جغرافيّاً مُحدَّداً، ولكنّه بالدرجة الأولى مرجعيّة ثقافيّة و حضاريّة".[1]

ويرى **صمويل هنتغتون** في كتابه "**الغرب متكرر وليس منفردًا**" أن الغرب مصطلح ذو بعد: "تاريخي يدلّ على الوحدة النسبية بين سكان أوروبا خاصّة ومن انحدروا منها وتوزّعوا في العالم،" حيث يشتركون في الخلفيّة التاريخيّة ذات الأصول الإغريقيّة والرومانيّة والجرمانيّة أساسا، إضافة لبعض الأثينيّات الصغيرة وأعرافها من الفلسفة اليونانية والقانون الرّوماني، والدّيانتين المسيحيّة واليهوديّة، والتي تقطن جميعها منطقة غربيّة من الأرض، وانفتحت على العالم الجديد(**جديد حسبهم وهو من أقدم العوالم والأمم**) أي الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتبادلت بينها وأوروبا القيادة التّاريخيّة للمجموع المنعوت بالغرب".[2]

والملاحظ من هذه التعريفات إقصاؤهم للتّحديد **الجغرافي**، و**السياسي**، بالنسبة لمصطلح الغرب، ليصبح كيانًا **ثقافيًا**.

وعليه نستنتج أن مصطلح **الغرب** يتغيّر ويتجدّد مفهومه من عصر لآخر، كما ندرك الأشواط الكبيرة التي قطعها الغرب في سبيل بلوغ غايته المادّية، محقّقا بذلك الاكتفاء الذّاتي، بعد انتقاله من الهيمنة السياسيّة إلى الهيمنة الحضاريّة الثقافيّة، بالتقنية والعلميّة، ما رجّح كفّته لاستلام المشعل من سابقته الحضارة الشّرقية الإسلاميّة، ضاربًا عرض الحائط قيود سلطة الكنيسة، التي كانت عائقا يحول دون انفتاحه على العالم ماديا؛ بسبب النظرة الضيّقة للحياة من خلال التركيز على الرّوح لا المادّة.

[1]– أحمد جبرون، تجربة الحوار الثقافي مع الغرب "قراءة تقويمية ونموذج مقترح"، مركز نماء للبحوث والدّراسات، بيروت، ط1، 2014، ص 17.

[2]– عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب"مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، مرجع سابق، ص 190.

نظرًا لتشعّب موضوع "الشّرق والغرب" من حيث المفهوم الاصطلاحي، سنقتصر على التعرّض له في بعض العلوم الإنسانيّة، كعلم الاجتماع، وعلم النفس.

4. مفهوم الأنا والآخر

1.4. مفهوم الأنا والآخر في علم الاجتماع

تعدّدت مفاهيم "**الشرق والغرب**" بتعدّد موضوعات الدّراسة، لكنّها تحتلّ الطابع الفلسفي المعرفي على وجه الخصوص، حيث تتشكّل صورة الأنا والآخر من مفهومنا المعاصر وفق عدّة اعتبارات، ضمن ثنائيات متقابلة، بين متقدّم ومتخلّف، ثابت ومتغيّر، الانغلاق والانفتاح، الحرب والسّلم، الخضوع والهيمنة...يقول **ماركس: "**ليس وعي النّاس هو الذي يحدّد وجودهم، بل على العكس من ذلك، إنّ وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدّد وعيهم".[1]

كما تُعدّ قضيّة "**الأنا**" و"**الآخر**" وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات من أهمّ المواضيع الّتي تطرّقت إليها النّصوص الروائيّة، والتي اتّخذت من الشّرق والغرب حيّزًا كبيرًا لما لها من أهميّة بالغة. وصورة " **الأنا** " و"**الآخر** " أيضا من أهم مباحث **علم الصورة المقارن،** هذا المجال المعرفي الذي يُعنى بدراسة صورة الآخر على مائدة الأعمال الأدبيّة رغبة في استجلاء سماته المتباينة مع الأنا.

و**علم الاجتماع** يدرس الأنا من خلال علاقاته بمحيطه، فلا وجود للأنا بمعزل عن الآخر، حيث إنّ الأنا يتشكّل ويتكوّن من خلال تشابك وتفاعل العلاقات داخل المجتمع، حيث لا يحقّق الأنا ذاته إلّا من خلال تواجد الآخر، ف: "الحياة حواريّة بطبيعتها، أن نعيش يعني أن ننخرط في حوار، أن نسأل، نستمع، نجيب ونوافق..."[2]

---

[1]– جميل حمداوي، مناهج علم النّفس وعلم النّفس التّربوي، مرجع سابق، ص 60.

[2]– تفريفيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 179.

فعلاقة **الأنا** و**الآخر** في **علم الاجتماع** هي علاقة وطيدة، علاقة تكافؤ وتلازم، وترابطهما بهذا الشكل حتمي وضروري، وإلاّ فلا معنى لهذا العلم، ذلك أنّ الأنا والآخر من بين أهمّ أسسه. وفي هذا الصّدد يؤكد **ميخائيل باختين** عن تأثير الآخر في الأنا الواعية بقوله: "إنّنا نتفحّص تأمّلاتنا وتَفكّراتنا بحياتنا الخاصّة ونتفهّمها عبر وعي الأشخاص الآخرين".[1]

وبداية نتطرّق **لمفهوم الأنا** وعلاقته بالآخر، حيث كتب **جاكوبي** عام 1985 "إنَّ **الأنا** مستحيلة دون **أنت**". ويضيف **فيخته** عام 1997 " إنّ وعي الفرد هو بالضرورة مصحوب بوعي الآخر، مصحوب بأنت، وهو ممكن فقط بتحقق هذا الشرط. كما يكتب **دبليو.قُون.همبولت** عام 1827: ولكي يحقّق الإنسان فكره يتوق إلى أنت تطابق أَناهُ" أمّا **لودفيع فيورناخ** فيكتب عام 1843 "إنّ **الأنا** الحقيقيّة هي تلك **الأنا** التي تحقّق وجودها بحضور **أنت** والتي هي نفسها **أنت** [أخرى] بحضور **أنا** [**أخرى**] ".[2] إذ لا مناص من تجنّب تأثير **الآخر** في رسم معالم **الأنا**، ولا وجود **للأنا** بمنأى عن حضور **الآخر**.

وجاء في كتاب **ميخائيل باختين:** المبدأ الحواري لـ **تودوروف** إنّ من المستحيل "أن ندرك وجود أي كائن بصورة منظّمة عن العلاقات التي تربطه بالآخر".[3]

ويضيف **سارتر** قائلًا: "**أنا** أحتاج الآخرين لكي أقبض بامتلاء على بنيات وجودي... إنَّ **ميد** يقول: توجد الذّوات فقط في علاقات تحدّدها **الذّوات الأخرى**".[4] فالآخر من يحدّد طبيعة الذّات، ويشارك في شحنها بدلالات تكوّن الشخصيّة المقابلة له.

ويقول **باختين:** "إنّ انقطاع الذّات عن الآخرين وعزلها لنفسها وانغلاقها هي الأسباب الرئيسيّة لضياع الذّات...لا أستطيع أن أفعل شيئاً دون الآخر، لا أستطيع أن أكون ذاتي أو

[1]– تفريقيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، مرجع سابق، ص 176.

[2]– المرجع نفسه، ص 206.

[3]– نفسه، ص 175.

[4]– جميل حمداوي، مناهج علم النّفس وعلم النّفس التّربوي، مرجع سابق، ص 207.

دون الآخرين، ينبغي أن أجد نفسي في الآخر واجداً للآخر فيَّ... إنّني أتعلق اسمي من الآخر..."[1] فالانفتاح على الآخر من ضروريّات ضروب تفعيل الذّات وتشخيصها.

أمّا **الآخر** فيقصد به **المختلف** في: " الجنس، أو الانتماء الديني، أو الفكري، أو العرقي، وتتّضح إشكاليّة الأنا (العربية، الإسلامية) والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسيّة والعسكريّة، أمّا علاقة الذات به من الناحيّة الثقافيّة والاقتصاديّة والتقنيّة، فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها".[2]

والآخر بهذا هو الكليّة المزدوجة للكينونة الذّاتية: " وتعويضها في الآن نفسه، وهو يتداخل ويستمر أي في سلسلة غير منتهية، تبدأ من أدقّ الانشطارات الذّاتيّة في علاقة الذات بالذات، عبر تسديد الضّالة، ولا تنتهي إلاّ بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان، فالفرد يمكن آخر حتّى بالنسبة إلى نفسه قبل مدّة قصيرة، ويمكن أن يتحوّل إلى آخر بعد مدّة قصيرة أيضاً، وكل شخص هو آخر بالنسبة لأيّ شخص على وجه الأرض".[3]

كما أنّ **الآخر** يعلم ويدرس أبعاد الزمن الثلاث للأنا، ومن ثمّة يقارنها بمنظومته الاجتماعيّة الثقافيّة، والتي يحاول سبر أغوارها، إمّا بالتناقض معه ورفضه، أو التشابه معه وقبوله؛ وهذا بهدف تحديد لغة الحوار، فالاختلاف لا يعني بالضرورة الصّراع والتّصادم، حيث يقول **دريدا:** "ضرورة احترام ثقافة الاختلاف، ودراسة المهمّشين والأقلّيات، فقد لاحظ أنّ الفكر الغربي يقوم على الاهتمام بالمماثلة وإقصاء المختلف".[4]

---

[1]– تفريقيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، مرجع سابق، ص 179.

[2]– ماجدة حمود، إشكاليّة الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2013، ص 17.

[3]– صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص 10.

[4]– ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائيّة عربيّة)، مرجع سابق، ص 24

وتفكيك ظاهرة **الاختلاف** بين **الأنا** و**الآخر** القصد منه هو: "السّعي إلى فهم **الأنا** في علاقتها **بالآخر** والغيريّة... فأكّدت الدراسات البنيويّة وما بعد البنيويّة أنّ الاختلاف الدّيني والعرقي واللّوني "والحسني" والمذهبي وغيرها من صور الاختلاف ليست ظواهر معزولة بعضها عن بعض، بل هي وليدة البنية الثقافيّة والإيديولوجيا، والسّياق التّاريخي الاجتماعي..."[1]

حيث يقول **باختين:** إنّ **الأنا** تختبئ في **الآخر** "إنّها ترغب أن تكون أنا أخرى للآخرين، أن تخترق عالم الآخرين كآخر وأن تطرح عنها ثقل الأنا المتفردة في كلمة الأنا الموجودة لذاتها... إنّ **الآخر** وحده هو الذي يمتلك قيم وجود شخص معين".[2]

إنّ الاهتمام المتعاظم حاليًا على المستوى العالمي بفكرة **الآخر** نوعًا ما من الصّحوة الجمعية المتأخّرة "لمراجعة التّاريخ الإنساني وتأمّل ما اكتظّ به تاريخ البشريّة من فضائح وإبادات جماعيّة انطلقت شرارتها الأولى من الاعتقاد الرّاسخ بمدى التّغاير والتّضاد الذي نفس الجماعات المقصودة بالإبادة المتبادلة إلى الدرك الأسفل من حيِّز الآخرية، أيّة كانت الأسس التي يقوم عليها مبدأ التّغاير "عرقيّة، أو قوميّة، أو دينيّة، أو مذهبيّة، أو سياسيّة، أو اجتماعيّة طبقيّة، أو غير ذلك..."[3]

ويضيف **تودوروف** قائلًا: "لا أستطيع أن أدرك نفسي بمظهري الخارجي، وأشعر أنّ هذا المظهر الخارجي يطوّقني ويمنحني التعبير الخاص بي... بهذا المعنى يمكن للمرء أن يتحدَّث عن حاجة الإنسان الجداليّة المطلقة للآخر لفاعليّة الآخر في الرؤية ومواصلة الرؤية والتّأليف والتّركيب، وتصوّر الآخرين كوحدة، وهذه العمليات التي يمكن لها وحدها أن توجد

[1]– آمال قرامي، الاختلاف في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة " دراسة جذرية"، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 10.

[2]– تفريقيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، مرجع سابق، ص 182.

[3]– صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية، مرجع سابق، ص 10.

الهويّة الشخصيّة الخارجيّة النهائي، وإن لم يفعل أي شخص ذلك فإنّ الهويّة الشخصيّة لن توجد".[1]

في حين يرى **إدوارد سعيد** أنّ الأفضل ألا نفكّر في أنفسنا فقط، بل أيضًا في الآخرين فنتعاطف معهم: "ونبتعد عن تصنيفهم وفق ترتيبات، ممّا يعني أنّ الأهم ألاّ نكرّر باستمرار أنّ ثقافتنا أو بلادنا هي الأولى.... حتّى وجدنا اليوم الكثير من الشباب الغربي يغامر بالسّفر إلى الشرق ليعيش ثقافته وتفاصيل حياته اليومية، بعيداً عن النظرة الوهمية الغرائية التي شدّت آبائه وأجداده، فيتعرف من كتب على بعض حقائقه، بعيداً عن الأوهام التي تربى عليها، مما يسهم في إزالة سوء التفاهم و ثقافة الكراهية بين الشرق والغرب".[2] إذن فقد بيّن لنا **إدوارد سعيد** أنّ ثمّة فريقين من الباحثين: الأول **منغلق على ذاته** والثاني **منفتح على الآخر**. في حين أنّ غاية الكمال كما يرى "**هوسيرل**" أن يكون الآخر غريبا".[3]

وقد حاولت **الدّراسات الاستشراقيّة** جعل **الشّرق (الأنا)** يعيش ضمنًا لأفكار منه، لهذا حاصرته في ثلاثة أطر **"الهويّة** (التي تختلط فيها القبيلة بالدّين، والعرق، والموقع الجغرافي) ثمّ **ثقافة الممانعة** بمختلف أنواع العقلانية أو بصورة أوضح للمنطق الغربي الكّوني، وأخيرًا **نظامه السّياسي** القائم على استلاب الحرية".[4]

افتقد الكثير من المستشرقين الموضوعية، حين وظّف بعضهم دراسته لخدمة الفكر الاستعماري، بدأً بإضعاف أهم روابط الهويّة في الشرق (اللغة والّدين). حيث ينتقد **إدوارد سعيد** افتقاد الباحث الغربي: "الإحساس بالمسؤولية تّجاه الثّقافة أو الشّعب موضوع الدّراسة،

[1]– تفريقيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، مرجع سابق، ص 177.
[2]– ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربيّة)، مرجع سابق، ص 23.
[3]– عبد الله ابراهيم، المركزيّة الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 23.
[4]– ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربيّة)، مرجع سابق، ص ص، 20-21.

والثاني الموضوعية فهو يتأثر بما هو علمي كالعواطف والعادات والتقاليد والقيم".[1] كما **شوّهت** صورة الأنا والآخر بتأثير الحروب، وتأثير وسائل الإعلام، التي يتحكّم في أغلبها الآخر االغربي. لهذا تكثر فيه الصّور **النمطيّة** المشوّهة للأنا العربيّة المسلمة.

في حين لم يعد هناك منفذ لتجنّب **الاتّصال بالآخر**: "وخاصة ذلك الآخر الأقوى، وكلّ اتّصال هو بالضّرورة نموذج، وتركيب لغويّ، وشِفرة وسياق، ومازلنا نفتقر في عالمنا العربي الرّاهن إلى رؤية موضوعيّة دقيقة للآخر، وإلى اعتماد منهجيّة خاصّة في التّعامل معه، وقد سعى شطر من الطبيعة الثقافية..."[2]

في المقابل إنّ **الشرق** عامّة و**العرب** خاصّة حين ينغلقون على ذواتهم بدعوى الهويّة "يغلقون أبواب الحياة الحديثة، التي تعتمد العلم والمناهج الحديثة، فيعيشون زماناً غير زمانهم ويبقون عالة على الآخرين..."[3] فلا سبيل للشّرق سوى الانفتاح على الآخر الغربي.

كما أصبحت صورة **الغرب (الآخر)** بفعل **الاستشراق** تتجلّى في القوي المهيمن، والشّرق **(الأنا)** الصّامت الواهن، في حين إنّ الاختلاف بين الشّقين لا يراد به فرض الهيمنة والاستبداد بدعوى الاختلاف، بقدر ما هو رسالة للتآزر، إذ يؤكّد **تودوروف** عن **الاختلاف** قائلاً: "**الأنا**" و"**الأنت**" شيئان متمايزان غير متماثلين: إنّ الاختلاف معادل للحاجة إلى الآخر..."[4]

قبول الغرب **للآخر** "الشرق" ما كان ليكون إلّا قصد تحقيق الهيمنة المطلقة في كلّ المجالات، وأبسط مثال ما قام به المستشرقون تّجاه الشّرق، رغم التباين في طرح أفكارهم عن صورة الشرق المشوّهة، لتغدوا الدراسات الاستشراقية أحد أقطاب فرض الحصار

[1]– ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربيّة)، مرجع سابق، ص 20.
[2]– صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية، مرجع سابق، ص 12.
[3]– ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، مرجع سابق، ص 18.
[4]– تفريقيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، مرجع سابق، ص 180.

الحضاري على الشّرق. فالتغني بالأنا ورسم الآخر بشتّى صور التهميش، والاحتقار؛ المغزى منه تضخّيم الأنا الغربيّة والشعور بالفوقيّة خاصة على المستوى المعيشي، في حين تطال الآخر النظرة الدّونيّة، إلزامه الشّعور بالنّقص. فنجد مثلا من يحصر الدّين الإسلامي في جدران الفكر الإرهابي، واضطهاده المرأة، وطغيان الاستبداد...

2.4. مفهوم الأنا والآخر في علم النفس

اهتمّ علماء النّفس بالنّفس الإنسانية وحالاتها السلوكيّة، وعدّت الذّات: "محور تلك الدراسات في علاقتنا بذاتنا، وعلاقتنا بالآخرين، فانكبّ هؤلاء العلماء على دراسة الأنا بكل تجليّاته اعتمادا على منهج نفسي استنباطي، والذي "يدرس الظواهر النفسيّة الشعوريّة واللاشعوريّة، باستعمال آليات السيكولوجيا الفرويدية..."[1]

والحديث عن مصطلح **"الأنا"** في علم النّفس يسوقنا إلى الدّور الذي أدّاه **الفيلسوف** "**سيغموند فرويد**" في هذا الخصوص، حيث قسَّم الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام، وهي: **الأنا، الهو، والأنا الأعلى.**

ويمثّل **الأنا: "**الكيان الذي ينشأ عن جهاز الإدراك الحسّي، والذي يصبح ما قبل الشعور".[2] أي أنّه يعكس **الوعي** لكلّ انفعال.

وقد ورد في كتاب "**الأنا و الهو" لفرويد** "يمثّل **الأنا** ما نسمّيه **الحكمة** وسلامة **العقل،** على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات..."[3]. فالأنا يصبو لترجيح كفّة السلوكات لصالح الأنا الأعلى، على حساب الهو، الذي يحاول رصد غياب الأنا الرّقيبة.

و**الأنا** هو الذي يمثّل **الشعور**، "والشعور هو ذلك القسم من الجهاز النّفسي الذي يحوي جميع العمليّات النفسيّة الشعوريّة" أمّا **الهو** فيمثّل اللّاشعور والذي يعدّ بدوره" هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية اللاشعورية".[4] أي أنّ بعض السلوكات غير الطّبيعيّة التي يقوم بها الفرد ناتجة عن انفعال لا شعوري يغيب فيها العقل.

---

[1]– جميل حمداوي، مناهج علم النفس وعلم النّفس التّربوي، مرجع سابق، ص 05.

[2]– سيجمند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشّروق، القاهرة، بيروت، ط4، 1982، ص 40.

[3]– المرجع نفسه، ص 43.

[4]– نفسه، ص 15.

فالخوف من الموت مثلا يكون عادة عندما يقوم **الأنا** بتسليم نفسه؛ لأنّه يشعر بأنّه مكروه ومضطهد من **الأنا الأعلى**، وأنّه لم سيتطع كبح الانفعالات الخارجيّة، ليجعل من النّفس صرحًا للمكبوتات.

فالأنا بذلك بهذا هو **ناتج الهو**، حيث جاء في كتاب "**معجم علم النفس والتحليل النفسي**" أنّ "الطفل عند ولادته وقبل احتكاكه بالبيئة الخارجية يكون مجرّد "**هو**" فقط، وبعد ولادة الطفل والانصياع لقيوده حتّى يتعايش معه فلا يسحقه الواقع أو غيره إن هو تجاهل، من هنا يتعدّل جزء من **الهو**، مكوّنًا "**الأنا**"، "الذي يبدأ في النّمو مع نمو خبراته وازدياد احتكاكه بالواقع...وتكون مَهمّته الأساسيّة المحافظة على الشخصية، وحمايتها ممّا يتعرض له من أخطار".[1] **فالأنا** يحمل صورة من **الهو**، ومع مرور الوقت يكتسب الفرد مجموعة من المعارف، يدرك من خلالها ما يهدّد **الأنا الأعلى**، وما يرضيه، فيعي كل المكبوتات، والغرائز، والملذات اللاشعوريّة ليتحكّم في سيرورتها.

فبعض السّلوكات قد يختلف معيارها من مجتمع لآخر، فعلى سبيل المثال نجد الطلاق **محرّم** في الدّيانة المسيحيّة، و**ممنوع** في القانون الغربي المسيحي، كما أنّه **فعل مخزٍ** في المجتمع الغربي، أمّا في الإسلام فهو **حلال**، وإن كان من أبغض الأمور، إلاّ أنّه يبقى فعلًا أكثر من عاد في المجتمع الشّرقي، في المقابل نجد الخمر **حلال** في المجتمع الغربي المسيحي، بل يحتفل بها، أمّا في الإسلام فهو **محرّم**، وفي قوانين الدّولة **ممنوع**، بل ويعاقب معاقرها، وفي الأعراف والتقاليد الشّرقيّة **سلوك مذموم**، لأنّه يُغيّب العقل، ومنه **الأنا الرّقيبة** عن عملها، ما ينتج عنه انفلات سلوكي مناقض للطبيعة النفسيّة للإنسان، وبهذا **فالأنا** تستنبط قيمها طبقا **للأنا الأعلى**، من خلال إدراك المسموح والممنوع. وبهذا فإنّ **الأنا** يقوم بفضل علاقته بجهاز الإدراك الحسي: "بتنظيم عمليات العقل في ترتيب زمني...إنّما يشبه

[1]– مجموعة من المؤلفين، معجم علم النّفس والتّحليل النّفسي، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، د.ت، ص 63.

موقف الملك الدستوري، الذي لا يمكن أن يمر أيّ قانون بدون تصديقه...أمّا **الهو** فعالم خارجي آخر بالنسبة إلى الأنا، وهو يسعى لكي يخضعه لسلطته".[1]

كما نلاحظ أنّ مهمّة **الأنا** تتجلّى في محاولته التوسّط بين **العالم** وبين **الهو**، وأن يجعل **الهو** يسلّم بمقتضيات **العالم** "وهو في الحقيقة إنّما يتصرّف كما يتصرّف الطبيب أثناء العلاج بالتحليل..."[2] فالأنا بمثابة **ضابط أخلاقي**، يرتكز على منظومة من الأفكار والمعتقدات، يعيش الإنسان طبقًا لما اعتاد عليه في المجتمع، وهذا باختلاف البيئة التي ترعرع فيها.

فالهو بمثابة **مستودع الطّاقة، والغرائز، والشّهوات**، غايته إحراز **اللّذة**، فيحاول: "طلب اللّذة العاجلة بأيّ وسيلة دون اعتبار الواقع أو تفكير في عواقب...هو لا يقيم وزناً للمنطق والتفكير العقلاني والظروف الواقعية..."[3] أي لا يخضع **الهو للأنا الأعلى** تحت منطق الدّين، والدّولة، والأعراف. عكس **الأنا** الذي يتقيّد بتنظيم ومراقبة كل سلوك.

والهو يقصد به أيضًا الجهاز الذي: "يمثّل الشّخصية عند ولادتها قبل أن تحدث لها أيّ تحويلات أو تعديلات، نتيجة لاحتكاكها بالبيئة ولتراكم خبراتها وتجاربها." [4] **فالهو** ذو سلوكات عفويّة لا إراديّة، مهمّته تلبية الحاجات البيولوجيّة من شهوات غريزيّة دون ضوابط تمنعه. ويعنى به أيضًا الجزء الآخر من العقل، ذلك "الذي يمتدّ إليه هذا الكيان، وهو يتصرّف كأنّه لاشعوري".[5]

---

[1]– سيجمند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، مرجع سابق، ص 88.

[2]– المرجع نفسه، ص 89.

[3]– مجموعة من المؤلفين، معجم علم النّفس والتّحليل النّفسي، مرجع سابق، ص 477.

[4]– المرجع نفسه ، ص 477.

[5]– سيجمند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، مرجع سابق، ص 41.

أمّا **الأنا الأعلى** فيمثّل مجموعة من السّلوكات المنطقيّة المتّزنة، والتي تنطوي على كل من **المعتقد**، و**الدّولة**، و**الأعراف الاجتماعيّة**... وهو جانب من **الأنا** "أصابه التعديل، نتيجة اعتناق الشّخص وامتصاصه للأوامر، والنواهي، والمثل العليا، والمعايير، التي تأتيه من أبويه ومن يقوم مقامهم في المجتمع".[1] **و**هو أيضا ذلك الأثر الذي يبقى في النّفس "من فترة الطّفولة الطّويلة التي يعيش فيها الطّفل معتمدًا على والديه، وخاضعاً لأوامرهما ونواهيهما، ويقوم الأنا عادة بتقمّص شخصيّة الوالدين، ومن يشبههما من المدرّسين والحرس".[2]

وبهذا يكون **فرويد** قد قسّم الجهاز النّفسي إلى ثلاثة أنواع " **'الأنا"** و**"الهو" و"الأنا الأعلى"، الأنا** بمثابة "حلقة اتّصال بين العالم الخارجي، والحاجات الغريزية. و**الهو** "هو ذلك القسم من الجهاز النّفسي الذي يحوي كل ما هو موروث، وما هو موجود منذ الولادة، وما هو ثابت في تركيب البدن، وهو يحوي الغرائز التي شبعت من البدن، كما يحوي العمليّات النفسيّة المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الأنا، ففي **الهو** إذن جزء فطري وجزء مكتسب، ويطيع الهو "**مبدأ اللّذة**" **Pleasure Principle**، وهو لا يراعي المنطق، أو الأخلاق أو الواقع".[3]

أمّا مصطلح **الأنا** في نظر **يونغ** فهو: "مركّب تمثيل يشكّل بالنسبة إلى مركز الحقل الواعي، ويبدوا أنّه يمتلك درجة عليا من الاستمراريّة والتّماهي مع نفسه...هناك مجال إذًا للتمييز بين الأنا والذّات بما أنّ الأنا هو موضوع وعي، في حين أنّ **الذّات** هي موضوع كلّية

[1]– مجموعة من المؤلفين، معجم علم النّفس والتّحليل النّفسي، المرجع السّابق، ص 63.

[2]– سيجمند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، مرجع سابق، ص 17.

[3]– المرجع نفسه، ص 16.

النّفس بما فيه اللاوعي".[1] أي أنّ **الأنا** تغيّرت دلالتها من **الأنا الفرديّة** عند **فرويد** لتشمل **الأنا الجمعيّة** وهو ما اصطلح عليه **يونغ** بمصطلح **"الذات"**.

كما قسّم **ميد** الذات "إلى الفاعل (الأنا الداخلي I) والمفعول (الأنا الخارجي Me) و**الأنا** هي الجزء الإيجابي من الذّات، أمّا المفعول فهو الجزء السّلبي، أي هو الجزء الذي يؤثّر فيه الآخرون (المهمّون والعامون) وقد **استخدم تشارلز كولي –وهو زميل ميد– مصطلح الذات العاكسة Looking –Glass Self** ليصف به كيف نكوّن انطباعاً عن أنفسنا من خلال استجابات الآخرين...وأكّد **ميد** أنّ أكثر من **كولي** على أنّ "**الأنا**" يمكن أن تتحكّم في الذّات أو توجّهها لا إلى الإيضاح فحسب".[2] وفي مجمل ما جاء أنّ لكلّ **أنا إيجابي** هناك **أنا آخر سلبي** ضمن الذات النفسيّة، بل ويقع على كاهل **الأنا الدّاخلية** (الإيجابيّة) ضبط وتعديل كل ما هو **سلبي**(شهواني غريزي) لا الاكتفاء بشرح توضيح هذا الانفعال.

وممّا جاء نستنتج أنّ **الأنا** في نظر **فرويد سيجموند** تمثّل الوعي والشعور، ويخصّ بها **الأنا الفرديّة**، وهي الرّقيب لسلوكات الإنسان، تسعى لضبطها وتعديلها بما يتناسب وأوامر **الأنا الأعلى**، والتي تعمل لصالح هذا الأخير بما يمليه عليها، فمعنى الحياة عند **الأنا** هو أن يكون محبوبًا من **الأنا الأعلى**.

أمّا **الهو** أو الأنا الآخر **اللاشعوري** فيمثّل الملذّات والشّهوات، ويسعى لمخالفة **الأنا الأعلى**، إلاّ أنّ **الأنا** تكبح مآربه، ولا يحقّق مراده إلاّ إذا غابت أو ضعفت **الأنا الواعيّة**.

[1]– ك.غ. يونغ، تر: نبيل محسن، جدلية الأنا واللّاوعي، دار الحوار للنشر والتّوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1997، ص 58.

[2]– تر: مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدّراسات الاجتماعية، القاهرة، د.ط، 2002، ص 58.

وفي نظر **يونغ** فيقصد **بالأنا** أيضًا **الذّات**، التي تشمل **الأنا الفرديّة**. إلى جانب **الأنا الجماعية**، **ممّا** يسمح للآخر في المساهمة بتشكيل الذّات. أمّا عند **كولي** و**مير** **فالذّات** تحمل في طيّاتها كل من **الأنا الداخلي(الواعيّة)** و**الأنا الخارجيّة**.

إذن فمفهوما "**الأنا**" و"**الآخر**" من أكثر المفاهيم الفكريّة المستعصيّة الضبط، ودراسته تبقى قائمة مفتوحة مادام الإنسان في طفرة التقدّم وأوجّ العطاء، في كلّ حقبة من الزمن تتغيّر الكثير من المفاهيم، خاصّة الثقافيّة منها، فهو موضوع شائك معقّد.

1. صورة الشّرق في الدّراسات الغربية المعاصرة

1.1. في الأدب

ألهم الشّرق الكثير من **شعراء الغرب**؛ فاتّجهوا نحو التّعريف والتّغني بأمجاده، نذكر منهم: **بايرون وديوانه** "**الشّرق والغرب**" **وجوته** وقصيدته "**الشّرقيون**"،"**هجير**".

حيث ينشد الشاعر **جوته** في قصيدته "**هجير**" مادحًا الشّرق الذي يعدّه مهد الإنسان فيقول:

" الشّمـال والغـرب والجنـوب تَتَـفَـتَّـتُ

والعُروش تنفجرُ والإمبراطوريّات تَرتَعِدُ

وتـطـــيـــر فـــي الشّـرق الـنـقـيِّ

!تَتَنَسَّمُ نسـائـهـم الشيـــوخ الحكمـاء

والشّرق في أعمال كل من **لامارتين، ونيرڤال، وڤلوبير**، فيعدّ "إعادة تقديم لمادة معتمدة..."[1]

و**في قصيدة** "**إسرافيل**" التي توضّح مدى اهتمام "**بو**" بالموروث الإسلامي خاصّة القرآن الكريم".[2]

إذن كان **الأديب الغربي** يعود دائمًا إلى الشّرق، وقد جاء على لسان أحد الغربيين: "فإلى هناك في نقاء وصلاح سوف أعود إلى الأصول العميقة للجنس البشري".[3]

[1]– إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشّرق، تر: محمد عناني، مرجع سابق، ص 286.

[2]– سعد البازعي، مقاربة الآخر "مقارنات أدبية"، مرجع سابق، ص 103.

[3]– إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشّرق، تر: محمد عناني، مرجع سابق، ص 272.

في حين أنّ هناك من الغربيّين من يملك نظرة ضيّقة تكاد تكون سطحيّة، تنمّ عن تعصّب وكراهيّة للآخر، فنلاحظ في بعض الأعمال الأدبيّة الغربيّة أنّ الشّرق يمثّل: "شخصيّة **مكروهة** غالبا لدى الغربيين أو باعثة على الحيرة وبعض **الإعجاب** في النّادر كشخصيّة **النبي محمد صلّى الله عليه وسلم** أو شخصية فاتنة **كشهرزاد**".[1]

إلى حدّ إلقاء التّهم والادّعاءات الباطلة، ورسمه في مخيّلة الإنسان الغربي بأبشع الصّور، خاصّة عن **العرب**، وقد عبّر **نيكولا فون هوفمان** الصحفي بجريدة "**واشنطن بوست**" عن ذلك أفضل تعبير حين قال: "إنّه لم تشوّه سمعة جماعة دينيّة أو ثقافيّة أو قوميّة ويحط من قدرها بشكل مركّز ومنظّم كما حدث للعرب".[2]

فقد اختلفت الرؤى من أديب لآخر، بين رافض ومقبل على الشّرق، حيث تبقى المصداقية المعيار الوحيد في نقل الحقائق، والسّير صوب الانفتاح والتلاقح بين الشّرق والغرب.

2.1. الصّورة البشريّة

تناولت الدّراسات والأعمال الأدبيّة والعلميّة شخصيّة الشّرق برؤى متباينة تارة، ومتناقضة تارة أخرى، فما الشّخصية حسب "**ضري جيمس**": "سوى تمثيل للأحداث، وما الحدث سوى تمثيل للشخصية".[3] في حين تذهب "**فيرجينا وولف**" إلى أبعد من ذلك بقولها: "جميع الروايات تعالج الشخصية، وأنّ الشكل الروائي –هذا الشكل الأخرق– كثير الكلام، غير الدرامي، الثري، المرن الحي إلى هذا الحد، قد خلق من أجل التعبير عن الشّخصية، وليس للتبشير بالعقائد أو التّغني بأمجاد الإمبراطورية البريطانية".[4]

---

[1]– سعد البازعي، مقاربة الآخر"مقارنات أدبية"، مرجع سابق، ص 97.

[2]– مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا–بريطانيا–فرنسا–إيطاليا– ألمانيا–إسبانيا– روسيا– الهند– كوريا– البرازيل–إسرائيل، مرجع سابق، ص 14.

[3]– صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية"، مرجع سابق، ص 103.

[4]– المرجع نفسه، ص 103.

وعليه سنحاول التطرّق لصفات الإنسان الشّرقي المعنويّة(المذمومة والممدوحة) إلى جانب الصّفات الجسديّة.

1.2.1. الصّفات المعنويّة:

1.1.2.1. المذمومة:

إنّ الصّورة النمطية للإنسان العربي في السينما الغربية أو الأعمال الأدبية اتّفقت جلّها على أنّه: **"زير نساء وثري** ينفق أمواله فيما لا يفيد، لا يفهم في التكنولوجيا، **خبيث** لا يمكن الوثوق به، إلى آخر هذه الصفات العنصرية..."[1]

وجاء في الفيلم الأمريكي **"علاء الدّين"** ليصف **الشّرق** من خلال **العربي**. فالفيلم يبدأ بأغنية تقول على لسان علاء الدين: "إنّي آتيكم من بلاد بعيدة، **بلاد تركب الجمال** التي تمرح في الشوارع، آتيكم من بلاد **يقطعون فيها أذنك لمجرّد أنّهم لا يحبّون وجهك**، إنّها **بلاد بربرية**، بلاد **يقطعون فيها ذراعك إذا سرقت** فيها **تفاحة** تعطيها لطفل جائع، إنّها بلاد بربرية، إنّها وطن ... ويصوّر العرب على أنّهم **جنس متوحش، أنوفهم طويلة مدبّبة، شواربهم ضخمة** وقذرة، تصرّفاتهم غير إنسانية بل هي **الوحشية**".[2] وهو فيلم عالمي رغم بعض الصور السلبيّة إلاّ أنّه يعرّف بحضارة الشّرق، وثقافته، وعاداته.

ولا تفرّق نصوص الكتب المدرسية في **كتب القراءة الفرنسية** في المرحلة الاستدراكية بين المفردات الثلاثة "**البدو**" و"**العرب**" و"**المورMoor** " **.** إذ يعرف "**البدوي**" مثلًا بأنّه: "عربي

[1]– عامر عبد العزيز الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب، مرجع سابق، ص 336.

[2]– محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص 108.

راحل الصحراء"، وتتّسم شخصيات "العرب" أو البدو" في القصص بطابع الدونية إذا كانوا تابعين أو بطابع **عدائي** إذا نجوا في الهرب من نطاق نفوذ الشخصيات الفرنسية..."[1]

ومن **الصّفات المعنويّة المذمومة** التي لازمت الشّرق في بعض الرّوايات الغربيّة نجد صفة **الكذب**، حيث يقف الروائي "**غي دي مو باسان**" في روايته "**علومة**" موقف دهشة بين التناقض والتّعارض بما جاء به الإسلام عن الصّدق وبين الإنسان المسلم الذي يكذب فيقول: "كما **يكذب كل العرب دائمًا**، بسبب أو بغير سبب. إنّ الكذب هو إحدى الميزات المدهشة جدًا والمستعصية على الفهم في سلوك أهل البلد، فهؤلاء النّاس الذين تجسّد فيهم الإسلام حتّى صار جزء منهم فقولب فطرتهم، وبدل حسنهم البشري تبديلا كاملا، وجعلهم يختلفون روحيا عن الآخرين..."[2] ثم يضيف " **فهل يعود ذلك إلى دينهم؟** لا أدري إنّه لا بد لك أن تعيش بينهم لكي تدرك كيف أن **الكذب** الذي هو **جزء** من **ذاتهم وقلبهم** و**روحهم**، قد تحوّل عندهم إلى **طبيعة ثانية** وإلى ضرورة **من ضرورات الحياة**".[3]

وتشكّل صورة العرب في الكتب المدرسيّة على أنّهم:"- أثرياء كبار يشترون أمر ويتسبّبون في ارتفاع الأسعار ولا سيما العقارات.

- **يكرهون الغرب** ويشكّلون خطرًا... والمسلمون يكرهون المسيحيين.
- "أوبك" مرادفة للعرب ودائماً تأتي بمضمون سلبي.
- **العرب أعداء العالم** و**مثيرو** للحروب".[4]

[1]- مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا-بريطانيا-فرنسا-إيطاليا-ألمانيا-إسبانيا- روسيا- الهند- كوريا- البرازيل-إسرائيل، مجلة الموفة، الرّياض، السّعودية، ط1، 2003، ص 81.

[2]- أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيّين في القرن التّاسع عشر، وزارة الثّقافة، الجزائر، د ط، 2007، ص99.

[3]- المرجع نفسه، ص100.

[4]- مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا-بريطانيا-فرنسا-إيطاليا-ألمانيا-إسبانيا- روسيا- الهند- كوريا- البرازيل-إسرائيل"، مرجع سابق، ص 13.

وتصف **زيغريد هونكه** بعض النصوص التي اهتمّت بالدراسة والبحث عن فتح المسلمين للأندلس ذاكرة ما جاء منها "وتدفّقت جموع **العرب المتوحشين بوجوههم السود** وخيولهم الكئيبة فوق أرض إسبانية التي تركها أهلها فزعًا. وانثنت ألمًا تحت وقع سنابك خيولهم التي خرّبت الحقول وهدمت المنازل ولم تترك نبتًا ولا زرعًا".[1]

2.1.2.1. الصّفات المحمودة

تميّز **الشّرق** بمجموعة من **الصفات المحمودة**، خلّدها التّاريخ **كالكرم**، فقد وصف "الفونس دوديه" **المسلمين** في روايته "**وسام الآغا**" بعد زيارته إلى الجزائر فعن حسن الضيافة قائلًا: "حيث يقوم فيه هؤلاء المسلمون الخيّرون المهذّبون الشّديدو الحفاوة بواجب الضّيافة المقدّس، مع الحفاظ في الوقت نفسه على حرمة الحياة العائليّة الخاصّة التي يوصي بها الدّين".[2]

إضافة إلى طاقاته البشريّة الهائلة، التي دفعت بالغربيين أنفسهم إلى الاعتراف بفضل الشّرق على البشريّة، "قليلون هم النّاس الذين يعلمون ما قام به العرب في حقل استخدام الهواء والسيطرة عليه، ففي عام 880م بنى الطبيب "ابن فرناس" في إسبانية أوّل طائرة صنعها من القماش والريش...".[3] ويضيف البروفيسور "**جورج سارتون** أنّ "ابن سينا أعظم علماء الإسلام ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين..."[4] فقد كان له الفضل الكبير في مجال الطّب خاصّة.

---

[1]– زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربيّة في أوروبة"، تر: فاروق بيضون، دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط8، 1993، ص 539.

[2]– أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين، مرجع سابق، ص79.

[3]– زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا"، تر: فاروق بيضوي، كمال دسوقي، مرجع سابق، ص 134.

[4]– أحمد محمد الشنوائي، موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، مكتبة دار الزّمان للنّشر والتّوزيع، المدينة المنورة، السّعودية، ط1، 2007، ص 65.

والعرب حسب **هونكة** اتّسموا ببراعة فائقة في مجال **الفلك**، إلى جانب اختراع **ساعات الشّمس**، فهم أوّل من أدرك مدار الشّمس والكواكب، إضافة إلى **الميكانيك** بابتكار المضخّات ورافعات الماء التي تقوم على استعمال النار، حيث أسّسوا مناهج بحثهم على العلميّة والموضوعيّة في تحري الحقائق، ف" لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس، كما إنّهم أيضاً لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب، دون مناقشة أو تحقيق. فمنذ البدء أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية... لقد كانت واقعيتهم العلمية الشديدة تدفعهم دفعًا ثابتًا إلى القيام بتجارب و اختبارات شخصية عديدة..."[1]

هذا ما جعل كتب الشّرق تلقى رواجا كبيرا في الغرب، يقول **أغريبافون نتيسهايم**:" لذلك استقبلت كتب ابن سينا والرازي وابن الرشد بالثقة نفسها التي استقبلت بها كتب أبو قراط وجالينوس، ونالت خطوة قصوى عند الناس، إلى درجة أنّه إذا ما حاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الاستناد إليها، على أهون سبيل، بالعمل على الأضرار بالملحة العامة".[2]

ويضيف "**دي فو**": "إنّ الميراث الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به، أمّا العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإنمائه حتّى تسلموه إلى العصور الحديثة..." ويذهب «**سيديو**» إلى أنّ **العرب** هم في واقع الأمر **أساتذة أوروبا** في جميع فروع المعرفة".[3]

كما **يصوّر الجاحظ نظرة العرب إلى أنفسهم** فيقول: "العرب من أدقّ الحس. وصواب الحدس. وجودة النظر. وصحة الرأي مالا يعرف غيرهم. ولهم العزم الذي لا يشبه عزم، والصبر الذي لا يشبه بر، والجّودة والأنفة والحمية التي يداينهم أحد فيها، لا يتعلّق بها رومي ولا هندي ولا فارسي"... " وليس في الأرض صبيان في عقول الرجال غير صبيانهم،

زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا"، تر: فاروق بيضوي، كمال دسوقي، مرجع سابق، ص 143.

[2]– المرجع نفسه، ص 213.

[3]– أحمد محمد الشنواني، موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، مرجع سابق، ص 182.

وكل شيء تقوله العرب هو سهل علينا أو كطبيعة فيها، وكل شيء تقوله العجم فهو تكلّف واستكراه... والعرب شعب ذكر".[1]

فقسوة البيئة العربية كان لها أثر بارز على **الشّرقي – العربيّ** –، إذ" طبعت أبناءها على آلف الصِّعَابِ، و**قلّة المبالاة بالشدائد، ومواجهة الموت ببسالة ورضا**، أو رغبة وابتسام، إنّهم **لا يعبدون الحياة** أو يقبلونها على أحوالها، كلاً، إمّا كانت لهم أو بانوا عنها، و**لن يقبلوها على ضيم وحرمان**".[2]

2.2.1. الصّورة الجسديّة

لعلّ من أهمّ الصّفات الجسديّة للشرق لون البشرة الدّاكنة (السّمراء)، الشّاربان، الشّعر الأسود ذو خصلات طويلة، واللّباس الخاص عند النّساء، الأنف الرّقيق الطّويل، الحاجب الضخم، والعيون الجميلة؛ المتزيّنة بالكحل...

فقد جاء في رواية "**السلسلة العربية**" لـ "**غي دي باسان**" في وصفه للجزائريين: **"**كان العرب يعدون من كل الجهات، ويحاصروننا، ويغلقون علينا كل المنافذ، ويصرخون. كانت لهم هيئة الطيور الجارحة **بأنوفهم المعقوفة** و**سحناتهم النحيفة البارزة** العظام **وألبستهم الفضفاضة** التي تضطرب مع حركاتهم".[3]

ويقول "**ثيوفيل كويتي**" في روايته "**رقصة الجن**" في وصفه **لأحد شباب** الجزائر، و**بعض العجائز** وصفا ماديّا "... وبعد أن تبادل مرافقي كلمات بالعربية مع **رجل طويل، أسمر**، بشكل غريب، حيث تتيح **سحنته الدّاكنة باللّمعان لصفين من الأسنان غير المنتظمة**، والبيضاء بياض الافتراس... كانت هناك حوالي **سبع أو ثماني عجائز** يقرفصن **مثل**

[1]– محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية "وأسطورة البعث العربي"، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 2005، ص 25.

[2]– المرجع نفسه، ص 26.

[3]– أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيّين، مرجع سابق، ص 152.

القردة... و**أنوفهن** التي تلمع مثل **مناقير الطيور الجارحة**، و**حواجبهن الضخمة السوداء**، و**لون بشرتهن الذي يشبه بطون الأحذية المدبوغة** بستين عاما".[1]

ويصف "**ثيوفيل كوتيي**" في روايته "**رقصة الجن**" **لباس وعيون نساء** الشّرق قائلا: "**يغطين رؤوسهن بتلك المناديل الحريرية** ذات الألوان الصارخة، المطعمة بخيوط ذهبية، هي المناديل التي تحسن النساء الموريسكيّات لفّها بشكل مغرّ حول غطاء الرأس المخملي الذي يغطي قمة رؤوسهن، أمّا **جفونهن المسودة بالكحل والأهداب المصبوغة** التي تتصل عند منبت الأنف، فإنّها تعطي لجمالهن طابعا غريبا لا يخلو من جاذبية".[2]

كما يصف "**بروسبير ميريمي**" في روايته "**جمان**" ***Djoumane*** **شيخا من الجنوب الجزائري** يمتهن السحر و الشّعوذة مستهزئا به، قائلًا:" كان مسير العرض **شيخا قبيحا مثل القرد**، نصف عار، تحت برنس مثقوب، **جلده بلون الشوكولاطة** المنقوعة في الماء، موشّم بكل أنواع الوشم، **شعره أجعد** وكثيف إلى حد أن الناظر إليه من بعيد يظنه لابسا "**قولباقا**" على رأسه. لحيته البيضاء ومدبّبة الشّعر، قيل أنّه **قديس كبير وساحر قدير**".[3]

ومن **سمات المرأة العربية** عموما **خصلات شعرها** الكثيفة الطويلة يقول "**بروسبير ميريمي**" في روايته "**جمان**" "... وبيديها الاثنين أزاحت شعرها الذي كان يغطي الأريكة، كدعوة لي لأتّخذ لي مكانا بجانبها، وخيّل إليّ أن كل عطور الجزيرة العربية كانت تفوح من **شعرها الطويل**...كان **يشبه جناح غراب**، و**طويلا** مثل معطف ملكس، فكان يتهدل على كتفيها، وعلى الأريكة، **ليبلغ البساط عند قدميها**".[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص، 21-22.

[2]- نفسه، ص 23.

[3]- أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيّين، مرجع سابق، ص37.

[4]- المرجع نفسه، ص51.

إذن فالصّورة الجسديّة الملازمة للشّرقي تتّسم ببشرة داكنة، وشعر أسود طويل عند المرأة إلى جانب سحر العينين.

3.1. المعتقد الإسلامي

تباينت آراء ورؤى الغربيين عن حقيقة الإسلام، منهم من سارع بوصفه بمختلف الصّور السّلبيّة؛ قصد تشويه جوهره، في المقابل نجد منهم من احترم هذا المعتقد، حدّ الاعتراف بأنّه رسالة سماويّة للبشريّة جمعاء.

ومن بين الصّور السلبيّة نجد أنّ **"دانتي"** في كتابه "**الكوميديا الإلهية**" قد صوّر "رسول الله محمد صلّى الله عليه وسلّم صورة تعبّر عن مدى الحقد والكراهيّة الفظّة للإسلام ورسوله..."[1]

ومنهم من يرى **الإسلام عائقا أمام الحملات التبشيريّة** في القارة السّمراء، **يقول المستر** "**بلس**" "إنّ الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا والمسلم هو العدو اللّدود لنا... بل إنّ هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في إفريقيا أكثر ممّا هو كذلك في فارس..."[2]

وجاء في أحد **الكتب الألمانية** في مادة التربية الدينية بأنّ **الإسلام** يدعو **للجهاد** و**التطرّف** **Kursbuchreligion Neu asgabe 7/8** "كلّ مسلم مكلف بمقاتلة أعداء الإسلام الذين لا ينصاعون للقرآن، تبعا لمبدأ الجهاد، حتّى تكون كلمة الله هي العليا، وحتّى يمكن تحقيق الهدف السياسي المتمثل في جمع المسلمين العرب في دولة واحدة".[3]

---

[1]– محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 53.

[2]– أ.لوشاتلييه ، الغارة على العالم الإسلامي، تر: محمد الدّين الخطيب، مساعد الباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص17.

[3]– مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا–بريطانيا–فرنسا–إيطاليا–ألمانيا–إسبانيا– روسيا– الهند– كوريا– البرازيل–إسرائيل، مرجع سابق، ص 149.

ويضيف "**وليام موير**" مؤلّف كتاب **"حياة محمد"**، وكتاب **"الخلافة"** يقول: "إنّ سيف محمد والقرآن، هما أكثر **أعداء الحضارة والحرّية** والحقيقة الدّين عرفها العالم حتى الآن عنادًا".[1]

وتتواصل صور التّشوية التي مسّت جلّ المراحل التعليميّة في **إسبانيا** منها **المرحلة الثانويّة**، فقد جاء تعريف الإسلام على أنّه "دين **العنف والحرب والتسلّط**، وهو دين **متأخّر**، ومع ذلك يسعى إلى احتلال أراضي الغير، إنّه خطر على المسيحيّة وعلى قيمتها الرّوحية".[2] وقد كان هذا التعريف في فترة زمنيّة قبل تغيير نظام الحكم.

وبعد **تغيير نظام الحكم في إسبانيا** أزيلت الشّبهات المترسّة على مفهوم الإسلام، ففي منهج الصّف الخامس الابتدائي تذكر الكتب المقرّرة عن الشّرق بأنّ: "دينهم الإسلام، كتابهم القرآن، نبيّهم محمد، وأنّ أركان الدّين الخمسة هي: الشّهادتان، الصّلاة، الزّكاة، الصّوم والحجّ مع شروحات بسيطة جدًا".[3]

في حين نجد من الغربيين **من أنصف الإسلام**، والتزم بالمصداقيّة والحياديّة في الإحاطة بهذا المعتقد، يقول الفيلسوف **جارودي**: "إنّ ما يميّز العالم الإسلامي، مأخوذاً بكليته، هو أنّه لا يفصل أبدًا بين الاستعمارين الرئيسيين للعقل: البحث عن الأسباب، والبحث عن الغايات، أي الملاحظة والاستقرار... وليس صحيحًا كذلك أنّ العلم العربي مجرّد تاريخ انتهى، قبل أن

[1]– محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 54.

[2]– مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا–بريطانيا–فرنسا–إيطاليا–ألمانيا–إسبانيا– روسيا– الهند– كوريا– البرازيل–إسرائيل، مرجع سابق، ص 105.

[3]– المرجع نفسه، ص 110.

يبدأ تاريخ علمنا... فالعلم العربي، خلافًا لتصورنا الوضعي، لا يفصل العلم عن الحكمة، إذ لا يغيب عن ناظريه: المعنى والغاية..."[1]

ويذهب "برنادشو" قائلًا: "لقد تنبّأت بأنّ دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا، وهو قد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم، لقد عمد رجال الإلكيروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في أحلك الألوان وذلك بسبب الجهل أو بسبب التعصّب الذميم، والواقع أنّهم كانوا يسرفون في كراهية محمد وكراهية دينه و يعيدونه خصما للمسيح، أمّا أنا فأرى واجبا أن يدعى **محمد منقذ الإنسانية**، وأعتقد أنّ رجلا مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حل مشكلاته، وأحل في العالم السّلام و السّعادة. و ما أشدّ حاجة العالم إليهما!"[2]

وقد فرّق **فريثجوف شيون Frithjof Schuon** في كتابه "**فهد الإسلام**" بين المسيحيّة والإسلام، أن الأولى "تقدّم الإرادة على العقل، والإسلام عنده يقدّم العقل على الإرادة".[3]

وجاء في كتاب "**القادة الدّينيين**" لمؤلّفيه **هنري توماس ودانالي توماس: "**فالإسلام لا يخالف الديانات الأخرى، بل هو دين يجمع ويؤلّف ولا يطرد أو ينفي، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره، أو يؤمن بأنّ العالم أمّة واحدة تدين لإله واحد: هو ربّ العالمين".[4]

وقف "**اللورد حلادستون** يصرّح بمجلس العلوم البريطاني وقد أمسك بنسخة من القرآن الكريم قائلا:" مادام هذا القرآن موجودا... لن تستطيع أوروبا السيطرة على الشّرق ولا أن

[1]- منصور زويد المطيري، الصّياغة الإسلامية لعلم الاجتماع "الدّواعي والإمكان"، كتاب الأمّة، قطر، ط1، 1413هـ، ص 143.

[2]- سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشّروق، بيروت، د.ط، 1995، ص 192.

[3]- عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، مجلّة 6 الإسلاميات، 1987، ص 119.

[4]- المرجع نفسه، ص 24.

تكون هي نفسها في أمان"[1] فالقرآن أقدس شيء تتمسّك به الأمّة الإسلامية تطبيقًا لوصايا نبي الإسلام.

ويقول "**ريتشارد هارتمان:** "قلّما نجد بين الأديان الكثيرة دينا ينفذ إلى حياة معتنقيه كلّها فرديّة كانت أو جماعيّة مثل الإسلام، وذلك أنّه جمع السّلطة الدينيّة في شكل الدّولة السياسي ووقي خطر التفرقة بين أمور الدّين وأمور الدولة وقد ألبس الدّين ثوب التشريع والفقه. إنّ الإسلام جعل الأمّة نظر قانوني لا أمّة خيال وتوهّم".[2]

وترى المستشرقة "**زيغريد هونكه**" أنّ **الإسلام:** "مزّق بانتصاره وحدة العالم الذي عمر أكثر من ألف سنة، فشطره شطرين: شرقاً وغربًا، وأمّا الغرب فقط أحاط نفسه إحاطة محكمة بستار حديدي لمئات من السنين خوفًا من هجوم الشرق عليه، وأمّا في الشّرق، فقد قامت الإمبراطورية العربية الجديدة لتفرض نفسها، لأوّل مرة على الإطلاق، بصفتها "**شرقًا**" في وجه "**الغرب**" مجبرة إيّاه على أن يعزل نفسه".[3]

ويعتقد المستشرق اليهودي "**لويس برنارد**" أنّ الإسلام جاء بمعنيين متميّزين: "وهي في أحد المعنيين تدلّ على **الدّين**، وهو نظام للعقيدة والعبادة وتدلّ في الآخر على **الحضارة** التّي نشأت وازدهرت في ظلّ هذا الدين، وفي العالم الإسلامي لا معنى على الإطلاق للحديث عن كيان علماني".[4] فالإسلام في جوهره شرع للحياة ككل، يواكبها ويقدّم للإنسان النهج الصحيح.

---

[1]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، دار عباد الرحمن، القاهرة، مصر، ط2، 2010، ص 19.

[2]– محمد الغزالي، حقيقة القوميّة العربية "وأسطورة البعث العربي"، مرجع سابق، ص 180.

[3]– زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب" أثر الحضارة العربية في أوروبا"، تر: فاروق بيوض، كمال دسوقي، مرجع سابق، ص 25.

[4]– عبد الحليم حمود، الإعلام التّضليلي "دور الدّعاية الإعلان الغربية في تشويه صورة الإسلام"، مركز الدّراسات والتّرجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 309.

4.1. الصّورة الاجتماعيّة

عاش **الشّرق** في العصور الإسلاميّة الأولى في أبهى صوره، تحت منطق الدّين بسماحته، حيث يسود العدل والمساواة، كان الشرقيّ ينعم بالأمن والسّلام، والرّفاهيّة، فلم تكن هناك حدود في بلدان الشّرق عامة والعرب خاصّة، **فالمؤرّخ الإنكليزي "توينبى"** يحسد العرب والمسلمين على هذه الوحدة التي نظمتهم مع تباين الّدار، واختلاف الجنس فيقول: "إنّ الإنسان العربي يستمتع بمزايا عظيمة حيثما كان، تضفيها عليه نسبته للأمة العربيّة، فهو يشعر أنّه في داره مهما تنقل بين بلاد العروبة والإسلام".[1]

ولأسباب سياسيّة غرق الشّرق في الجهل والفقر، بعدما سلبت حضارته من المغول والتتار. بالإضافة للغرب، لترتسم معالمه بحياة اجتماعية حرجة، ليأتي الدّور على النزاعات والأزمات الدّاخلية في القضاء على مادّة وروح الشّرق، فدمّرت المساجد والكنائس والمنازل، وتشرّدت ملايين العائلات، التي حاولت الهروب إلى البلدان الغربيّة، فمات الآلاف منهم غرقًا وسجن الكثير ممّن نحى البرّ لا البحر، إلاّ القلّة من نجوا بأرواحهم، كسوريا واليمن، والعراق...

1.4.1. صورة الأسرة

عرّف **الإسلام** للأسرة قدرها، وأحاطها بجملة كبيرة من "التّشريعات لتؤدي وظيفتها على الوجه الأكمل، فالأسرة هي الخليّة الأولى في جسم المجتمع، وعناصرها هي الزوجان والأولاد، وليس المجتمع في نظر الإسلام أفرادا متناثرين لا تربطهم روابط، بل هو جملة من المجموعات تؤلف بين كل منهم رابطة النسب، ثم تجمع بينها كلها الروح بالأخوة الدينيّة ثم الرابطة الإنسانية العامة".[2]

---

[1]– محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية "أسطورة البعث العربي"، مرجع سابق، ص 80.

[2]– عطيّة صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، تربية الأولاد في الإسلام، ج4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، د ط، 2006، ص11.

فالأسرة هي الحضن الطبيعي الذي: "يحمي الطفولة الغضّة وينشئها تنشئة شاملة جسمًا وعقلًا وروحًا ومشاعر نفسيّة، وبناءً متكاملًا، يتدرّج بمراحله العمرية منذ طفولته الغضّة، ثم الرّشد وحتّى الهرم "وقد خلقكم أطواراً"..."[1]

ويختلف نسيج الأسرة الشرقيّة المتماسكة التي تقوم على قوامة الذكر الأب، حيث يعيش أفراد الأسرة تحت سقف واحد من الجدّ لأصغر حفيد في الغالب، على نسيج الأسرة الغربيّة المتفكّكة التي تقوم على قوامة المرأة، والتي تلعب دور الأب الذي يعيش بعيدا عن أبنائه. في حين أنّ قوام ذلك الرّجل تقيّده بالمسؤولية الكاملة، بما في ذلك الغيرة على الشّرف والعرض، قيام الأسرة على وحدة الأسرة.

1.1.4.1.المرأة

- **المرأة في الجاهلية:**

رغم ما أذيع عن المرأة في الشّرق قبل الإسلام من وأد لها وهي في المهد، وسلب لحقوقها، إلاّ أنّها تميّزت بثلاث صفات: "**العفّة، والفصاحة وحسن التربية لبنيها**، وإنّ الرجولة الطافحة في بلاد مدينة بالشيء الكثير للمرأة إن لم تكن مدينة لها وحدها بكل صفاتها من **مروءة وشجاعة وكرم ونجدة**".[2]

- **المرأة في الإسلام:**

حفظ الإسلام شرف المرأة بنيل كامل حقوقها، وصانها بتحريم وأد البنات وقدّسها، وجعل

[1]– عابد توفيق الهاشمي، سعادة الأسرة المسلمة في جنّة الدّنيا بالحياة المطمئنّة الكريمة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص ص، 34-35.

[2]– سعيد الأفغاني، الإسلام والمرأة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 1970، ص 19.

الجنّة تحت أقدامها وهي أم لمن أطاعها من فلذات كبدها. وعليه يقول **"بول تيتو"**: "ولا تنس أنّ القرآن أصلح حال المرأة في الحياة الاجتماعية اصلاحًا عظيما".[1]

ويقول **غوستان لوبون** في كتابه "**حضارة العرب**" منصفا المرأة المسلمة وبما جاء به القرآن في حقّها: "كان الإسلام ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق، فهو قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعًا عظيمًا بدلًا من خفضها خلافا للمزاعم المكرّرة على غير هدى فالقرآن قد منح المرأة حقوقا إرثيّة بأحسن ممّا في القوانين الأوربية".[2]

عن **حقوق** المرأة المدنيّة في التّعليم والانتخاب والعمل يقول **الدكتور سميث** في كتابه "**ديانات الإنسان**" "فالقرآن يفتح لها أبواب المساواة التي تنالها كلّما تقدّمت الأمم الإسلاميّة في عاداتها ومعاملاتها، فإن كانت المرأة المسلمة لم تنل تلك الحقوق بعد القرن أو بضعة قرون كما نالتها المرأة الأوروبية فهذه أيضا لم تنل حقها منها قبل عصر الصّناعة الحديثة، وإنّما نالت هذه الحقوق من الديمقراطيّة لا من الدّين، فلم يجز– كما يقول المسلم– أن يكون الإسلام مسؤولًا عن هذه الحالة..."[3]

وفي مقال لصحفية أمريكيّة تدعى **"هيلسيان ستانسيري"** تقول: "إنّ القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة صالحة ونافعة لهذا أنصح بأن تتمسّكوا بتقاليدكم وأخلاكم (وامنعوا الاختلاط وقيّدوا حرية الفتاة) (بل ارجعوا إلى عصر الحجاب) فهذا خيرلكم من إباحيّة وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا".[4]

وقد أكّد القاضي **راجندراساشار** رئيس المحكمة العليا السابق بدلهي على المكانة المرموقة للمرأة التي أولاها لها الإسلام قائلًا: "إنّه من الناحية التاريخيّة كان الإسلام متحرّرًا جدّا

[1]– مصطفى السّباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الورّاق، الرياض، السّعودية، ط7، 1999، ص 170.

[2]– المرجع نفسه، ص172.

[3]– محمود عباس العقاد، الإسلام دعوة عالميّة، مرجع سابق، ص 128.

[4]– صالح بن ابراهيم البليهي، يا فتاة الاسلام اقرئي حتّى لا تنخدعي، مطابع السلمان، ط2، 1407هـ، ص 45.

وتقدميّا في إعطاء المرأة حقوق الملكيّة والحقيقة لم يكن للمرأة الهندوسيّة من حقوق في الملكيّة حتى سنة 1956 حين وفق على مشروع قانون الأحوال الشخصيّة الهندوسيّة، بينما أعطى الإسلام هذه الحقوق للمرأة المسلمة قبل 1400 سنة."[1]

وتقف المستشرقة **"زيغريد هونكة"** موقف اعتراف باحترام العرب للنساء، واهتمامهم به "ليظهران بوضوح عندما نرى أنّهم خصّوه بغيض من العطور وبأنواع الزّينة التي وإنْ لم تكن غير مجهولة قبلهم ..."[2] فقد كانوا سباقين في اهتمامهم بالمرأة.

في حين يشيد **"هملتن"**، وهو أحد علماء الإنجليز قائلًا: "إنّ أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في وفرة العناية بوقايتها من كل ما يؤذيها ويشين سمعتها".[3]

كما نجد أنّ بعض المستشرقين ممّن يحاولون نشر سمومهم عن الإسلام والمرأة، حيث يرى المستشرق البريطاني" **إدوارد وليام لين"** (1801-1876) "إنّ الجانب المهلك للإسلام حطّه من قيمة المرأة".[4] ويعتقد بذلك أيضًا أن الكثير من أبناء المسلمين أمامهم سببان لمواكبة الحضارة : "إمّا مجاراة الغرب في كل ما يأتي وما يذر، وإمّا التأخر والقعود".[5]

[1]- وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص 55.

[2]- زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا"، تر: فاروق بيضوي، كمال دسوقي، مرجع سابق، ص 53.

[3]- مصطفى السّباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مرجع سابق، ص 174.

[4]- وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، مرجع سابق، ص 11.

[5]- محمد أمين المصري، المجتمع الإسلامي، دار الأرقم، الكويت، ط1، 1980، ص 63.

5.1. الشّرق الرّوحاني

إنّ حقيقة وصف **الشّرق بالرّوحاني** ليست وليدة العصر، بل تمتدّ لعصور الإنسان الأولى، حيث كان يؤمن بما وراء الطّبيعة من أرواح ووحوش وحياة أخرى، إلى أن جاء الإسلام وأزال الكثير من قصص الخوارق والأساطير، كما أكّد على صحّة ما تداوله النّاس عن معجزات حدثت لأنبياء سبقوا النبي الإسلام محمد، فالآثار اليوم تشهد على أسبقيّة الشّرق في الحضارة المادّية، وأنّ لكلّ قوم سبب روحيّ لسقوط عهدهم، فالشّرق الإسلامي مادّي وروحي في جوهره، وحضارته شاهدة على قوّته، أمّا في ظاهره فروحيّ محض، فرغم ثرواته الباطنيّة الكبيرة إلاّ أنّ ماديّته قد نهبت غصبا.

فالإسلام ليس عقيدة مادّية تنطبق عليها المقاييس المادّية، وليس عقيدة روحيّة لا صلة لها بالمادة ولا بالحياة، وإنّما يعدّ حسب "**إميل در منجم**": "عقيدة ترتكز على المادّة والرّوح والدّنيا والآخرة، جسم وروح دولة ودين وحياة وغيب، والإسلام عقيدة تقدّميّة لا يوظّفه مؤيّد لنظريّات الاجتماع الحديثة بل لأنّه يدفع الإنسان دومًا إلى الأمام".[1]

كما جاء في كتاب "**صورة الغرب في الرواية العربية**" "**لسالم المعوش**": "إنّ الشّرق الإسلامي في نظره (**إدوارد سعيد**) هو دوما روحاني، سامي، قبلي غير آري وجذري في توحيده".[2] لأنّ الإنسان في حقيقة خلقه وطبيعته "طاقات ثلاث: **جسد** و**روح** و**عقل**".[3]

فالإسلام ليس دينًا فحسب، إذ يؤكّد "**جورج روبير**: "إنّه آخر الأديان التي ظهرت في التاريخ وأنّه أيضًا وصفه خاصة مجتمع روحي واجتماعي ونظام سياسي وأسلوب للعيش ولقد

[1]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 55.

[2]– سالم المعوش، صورة الغرب في الرّواية العربية، مرجع سابق، ص 88.

[3]– إبراهيم بن مبارك الجوير، أثر تطبيق الشّريعة الإسلامية في حلّ المشكلات الاجتماعيّة، مكتبة العبيكان، الرياض، السّعودية، ط1، 1994، ص 60.

أعطى الإسلام للدنيا حقّها وللآخرة حقّها فلا نرهق الرّوح على حساب البدن ولا نرهق البدن على حساب الرّوح، فالازدواج كامل بين الرّوحية والمادّية في شخصية المسلم".[1]

وبهذا **فالإسلام** قد أحيا **الشّرق** "ماديًا وأدبيًا، ورفع أقدامهم بمبادئ الحرّية العقليّة والنّفسيّة التي طلعوا بها على العالم طلوع البدر في الظلام..."[2]

كما يعتقد **توفيق الحكيم في روايته** "**عصفور من الشرق**" أنّ الشّرق: "رمز للرّوحانيات الطّاهرة والقيم الدينية الفضلى والمثلى العليا الأصيلة، والتي يصعب جدا تغييرها بالمعايير الكميّة والمبادئ الماليّة الاستكمالية".[3]

في حين يرى **سهيل إدريس** من خلال روايته "**الحي اللاتيني**" أنّ الشّرق متشبّع "بالقيم الرّوحانية الدّينية والأخلاقيّة في صراع مع الغرب المادي الذي مثّله في الإباحيّة والإلحاد.

ويعدّ **جبران خليل جبران** في كتابه "**البني**" الشرق بمثابة "حلّ روحانيّ للغرب المادّي البرجماتي (المنفعي)".[4]

الإسلام سعى إذًا لتحقيق المادّة والرّوح، حيث يقول الله تعالى: "**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدّنيا**"[5] فالكثير من آيات القرآن تدعو **لتدبّر خلق اللّه**، كما تدعو **للعلم**، حيث يشير **مالك بن نبي** إلى مصطلح جديد سمّاه **بالمناخ العقلي الجديد**. يقول مؤكدًا: "أنّ القرآن الكريم لم يأت قطعًا، وبصورة مباشرة، لا بالحساب العشري، ولا بالجبر، ولكنّه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن يتطوّر كما تطوّر بالنسبة إلى مرحلته السّابقة في العهد الإغريقي والرّوماني والأمر الجدير والملاحظ هو أنّ تطور العلم لا يناط

[1]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص ص، 55–56.

[2]– محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية "وحقيقة البعث"، مرجع سابق، ص 97.

[3]– محمد رفعت، الآخر بين الرّواية والشّاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 2015، ص 17.

[4]– المرجع نفسه، ص 17.

[5]– سورة القصص [77]

بالمعطيات العلمية فحسب، بل بكل الظّروف النّفسية الاجتماعية التي تتكوّن في مناخ معيّن..."[1] فعالمية الإسلام تجعل الثقافة والحضارة الإسلاميتين "منفتحتين على حضارات الأمم، ومتجاوبتين مع ثقافات الشعوب، مؤثرتين ومتأثرتين، إنّ الإسلام ينكر (المركزية الحضارية) التي تريد العالم حضارة واحدة، وتسلك سبل الصراع، صراع الحضارات، لقسر العالم على نمط حضاري واحد، لأنّ الإسلام يريد العالم (منتدى حضارات) متعددة ومتميزة".[2]

[1]– مالك بن بني، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص 28.

[2]– عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتّعايش بين الأديان في أفق العرب 21، منشورات المنظّمة الإسلامية للتّربية والعلوم والثّقافة، إسيسكو، الرّباط، المغرب، ط2، 2015، ص 19.

2. الغرب في الدّراسات الشّرقيّة

2.1. في الأدب

تأثّرت الرّواية العربيّة منذ نشأتها بالفكر الغربي عمومًا وبالرّواية الغربية بالخصوص شكلًا ومضمونًا.

ولا شكّ أن هذا التأثّر بالغرب قد مرّ بعدة مراحل: **المرحلة الأولى:** مثّلها كل من رفاعة الطهطاوي في "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" (134)، وعلق مبارك في "علم الدّين" (1836)، وأحمد فارس الشدياق في "الساق على الساق فيما هو الفرياق" (187)، ومحمد المويلحي في "حديث عيسى بن هاشم، أو فترة من الزمن" (1905)، وهي المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، اقتصرت منها السّرديات العربية على وصف الغرب أو لبعض جوانبه، مع بيان الرأي أو الآراء التي قد تكون في "شكل الانطباعات الشّخصية".[1]

أمّا **المرحلة الثانية** فهي المرحلة التي تأسست فيها الرواية العربية "فنيًا في جل الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى، وامتدت هذه المرحلة إلى ما بعد الحرب العالميّة الثانية، ومن سماتها الانفتاح على الغرب –إجبارًا أو اختيارًا– وتفعيل علاقة العرب بالغرب وترسيخها، ومن أهم الأعمال الروائيّة العربية في هذه الفترة "**عصفور من الشّرق**" (1938) و"**قنديل أم هاشم**" (1944) و"**الحي اللاتيني**" (1953)..."[2]

في حين أنّ **المرحلة الثالثة** فتمتد من نكسة حزيران (1967) إلى حرب الخليج الثّانية، وهذه المرحلة وإنْ كانت امتدادًا للمرحلة السابقة، فهي أكثر استيعابًا لثنائية الشّرق

[1]– عبد الله كاظم، الرّواية العربية المعاصرة والآخر، "دراسات أدبية مقارنة"، عالم الكتب الحديثة للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2007، ص 63.

[2]– عبد الله كاظم، الرّواية العربية المعاصرة والآخر، "دراسات أدبية مقارنة"، مرجع سابق، ص ص، 70–71.

والغرب، فقد بد أبطال غالبية المتن الروائي أكثر إيجابية وأنضج وعيًا في تعاملهم مع الغرب".[1]

ومن نماذج **التلاقح الثقافي** ذلك التشابه الكبير في طريقة البناء الروائي لبعض الروايات العربية مع نظيراتها الغربية، مثل روايات: "**الأشجار**"، و"**اغتيال مرزوق**"، "**زوربا اليوناني**".

و**ينقسم أدباء الشّرق** في نظرتهم إلى الغرب لقسمين، قسم معاد له نظرة معاديّة، رافض للتطبيع والانفتاح عليه، بل لأنّه: "... بنية عدوانية هجوميّة نقلت عناصرها هويّتها إلى جميع مفاصل المجتمعات وعرقها، ومن ضمنها المجالات العلميّة والمعرفيّة..."[2]

في المقابل نجد قسم آخر منبهر **بالحضارة الغربيّة**، من بينهم **طه حسين** الذي يصف **فرنسا:** "كلّ شيء في فرنسا يعجبني ويرضيني شرّ فرنسا وخيرها، حلوّها فرنسا ومرّها، نعيم فرنسا وبؤسها، كل ذلك يروقني ويلذّني، وتطمئن إليه نفسي اطمئنانا غريبًا. إنّي لأحسّ نفسي تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار..."[3]

كما يعبّر الرّوائي اللّبناني **"أمين معلوف"** عن **الحضارة الغربية** بأنّها: "تسلّمت زمام الأرض، وأصبح علمها هو العلم، وطبّها هو الطب، وفلسفتها هي الفلسفة...فمنذ خمسمائة عام، وكل ما يؤثّر تأثراً مستديمًا في أفكار البشر أو صحتهم أو بيئتهم أو حياتهم اليوميّة، هو من صنع الغرب".[4]

وعليه فقد أخذ موضوع الشّرق مساحة لا بأس بها في السّاحة الأدبيّة الغربيّة، ممّا يعكس تأثّر الأدباء بروحانيته.

---

[1]– جمال مباركي (جامعة بسكرة/الجزائر)، المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعارة "نماذج مختارة"، مجلّة القراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، العدد الخامس، 2013، ص8/7.

[2]– عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب، مرجع سابق، ص 111.

[3]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 65.

[4]– محمد حافظ دياب، ذاكرة الإسلام والغرب، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص 33.

2.2. الصّورة الجسديّة

تختلف الصورة البشرية للغرب عن الشّرق في عدّة صفات من بينها لون البشرة البيضاء، الشعر الأشقر، لون العيون الزرقاء أو الخضراء، ونستدل بوصف الروائي "**غي دي موباسان**" في روايته "**علومة**" أحد **شباب فرنسا** قائلا: **"كان فتى طويلًا أشقر**، ينتعل سباطًا، ويضع **في فمه غليونا**، له **هيئة هرقل وديع"**.[1] بالإضافة للأسماء التي نادرا ما تتقاطع مع الأسماء العربية.

3.2. المعتقد (المسيحيّة – اليهوديّة)

1.3.2. اليهوديّة

أرسل الله تعالى إلى فرعون وقومه رسولين **"**من نسل "لاوي" "ليفي Levi" أحد أبناء يعقوب هما موسى وأخوه هارون –عليهما السّلام– يدعوانهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الكواكب وأرواح الموتى والملوك والحيوان والنبات... ظلّ موسى وفرعون وقومهما في مشادات مع فرعون حتى أتيح لهما الخروج من مصر إلى سيناء".[2]

وأنزل الله تعالى التوراة على موسى، ومن كتب موسى أو بما يسمّى بالأسفار الخمسة **"سفر التكوين، سفر الخروج، سفر التثنية، سفر اللاويين، وسفر العدد**، وتشتمل هذه الأسفار على التوراة في نظر اليهود.

سفر التكوين: ويقصّ تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب في أرض مصر، مع تفصيل في قص آدم (عليه السلام)، وحوّاء ونوح والطّوفان ونسل سام أحد

[1]– أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيّين في القرن التّاسع عشر، مرجع سابق، ص91.

[2]– مصطفى حلمي، الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 116.

أبناء نوح، وهو الذي انحدر منه شعب بن إسرائيل وخاصّة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط".[1]

سفر الخروج: يعرض تاريخ بني إسرائيل في مراحل، وقصة موسى وخروجه معهم بني إسرائيل... وبجانب هذه القصص يشتمل الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات.

سفر التثنية: يشغل معظمه بأحكام الشّريعة اليهودية الخاصّة بالحروب والسّياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات.

سفر اللاّويين: يشتغل معظمه بشؤون العبادات وخاصّة ما تعلّق منها بالأضحية والقرابين والمحرّمات من الحيوانات والطيور.

سفر العدد: تضمن إحصائية عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم".[2]

وهناك أسفار أخرى منها **الأسفار التاريخية** وهي اثنتا عشرة سفرًا، إلى جانب الأسفار التاريخية هناك **أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية الدّينية**، وأخيرًا نجد **أسفار الأنبياء.**

يلاحظ أنّه لم يتعرض باحث – قديمًا أو حديثًا– في مقارنة الأديان لموضوع مصادر العهد القديم "أو التّوراة" إلاّ وأثبت أنّها ليست التّوراة الأصليّة التي تلقّاها موسى عليه السّلام بالوحي".[3] وإلى جانب التوراة أو العهد القديم هناك **التلمود** وهو "أحد مصادر العقائد والأفكار عند اليهود...ويتّخذونه "**دستورًا للعمل**" بهدف السّيطرة على البشريّة، واحتواء الأديان والأمم".[4]

[1]– مصطفى حلمي، الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، المرجع السّابق، ص 120.
[2]– المرجع نفسه، ص 121.
[3]– نفسه، ص 122.
[4]– نفسه، ص 140.

2.3.2. المسيحيّة

تعدّ **المسيحيّة** معتقد غالبية **الغرب**، وهي الرّسالة السّماوية التي وسمت بالإنجيل، وأنزلت على النبي عيسى، إلاّ أنّها لم تلبث مليّا ليطالها التزييف والتّحريف كسابقتها اليهوديّة من جهة، وتحاصر العلمانيّة والمادّية ما تبقى منها من جهة أخرى. **فالمسيحيّة** رؤيا في عالم المثال المجرّد "يلوح بها البشر في ملكوت السماء، وأنّ الإسلام هو حلم الإنسانية الخالد، محتسبًا في حقيقة تعيش على الأرض وأنّ الشيوعيّة هي حقد البشرية العارض في جيل من أجيال النّاس".[1]

فاعتقاد المسيحية في **الإله الإنسان**، أدّى إلى "رفع مكانة الإنسان، وتحويله حق القربى من الذّات الإلهية، بينما العقيدة الإسلاميّة في التوحيد وفي التنزيه الله عن صفات البشريّة..."[2]

وبهذا **فالمسيحية** تدعو إلى "ترك ما لله لله وما لقيصر لقيصر وبالتالي فإنّه في الوقت الذي تقبل فيه المسيحية العلمانية، وفصل الدّين عن الدّولة، فإنّ الإسلام يأبى ذلك، لأنّ أصوله تتعارض مع العلمانية الغربيّة أصلًا..."[3]

كما جاء في **الحديث النبوي** عن إيمان المسلمين بالنبي عيسى، "حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا أبو داود، عمر بن سعد، عن سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي

[1]– سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، مرجع سابق، ص 27.

[2]– أحمد محمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري "بين الإحياء الإسلامي واللاحدين الغربي"، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1995، ص ص، 347-348.

[3]– المرجع نفسه، ص 451.

سلمه، عن أبي هريرة قال: قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ﴿**أَنا أَوْلى النّاس بعيسى، الأنبياء أبناء علات، وليس بيني وبين عيسى نبيٌّ**﴾[1]

ويؤكّد السّيد **محمد علي** "**مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية** عن إخفاق الغرب في إحياء العاطفة الرّوحيّة والاجتماعيّة من جديد، لأنّ المسيحيّة "تعني بخلاص روح الإنسان في حياته الأخروية ولا تعرض عليه حلاً من الحلول التي تقبل التطبيق في الحياة الدّنيا وبين وحدة عالميّة من جميع العناصر والأقوام، ولو كانت مسيحية الغرب علاجًا لمشكلات الإنسان في العصر الحاضر لعالجت تلك المادّية الماركسيّة التي طغت على الرؤية الحديثة واقتلعتها من أحضان الدين والإيمان بالله".[2] فالمسيحية إذاً اهتمّت بالرّوح البشرية وأهملت الجانب المادي طبعا بعد تحريفها، عكس الإسلام الذي اهتمّ بالرّوح والمادّة .

إلاّ أنّ همّ النّصارى كان مضاعفة الحملات التبشيريّة صوب الشّرق، يقول **القسيس "لبسيوس":** "إنّ الشّرق يدعو الغرب لشدّ أزره فجعل **مانتوخان** أن نحرّر الشّرق بواسطة السيّد المسيح، ونخلّص الكنائس المسيحيّة من ظلم الإسلام، ونفتح طريقا للسيّد المسيح بإرجاع الكنائس سيرتها الأولى، هلمّوا إلى قلب العالم الإسلامي، لنحرز فوز الصّليب على الهلال".[3] فاهتمامهم بالشّرق دون سواه جعل من المسيحيّة عرضة للأفكار المعاديّة لروحانيّتها، وجدلًا لمعارضتها المادّيّة.

ويعتقد رهط كبير من **قساوسة التنصير** أنّ **الإسلام يناقض** أسس **النصرانيّة**، بل أكثر من ذلك يعترفون بأنّه "حركة دينيّة معادية للنصرانيّة، مخطّطة تخطيطًا يفوق قدرة البشر ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، تؤسّس حول العالم بواسطة النصارى للتركيز على الإسلام

[1]– الإمام الحافظ أبي الحسين المسلم بن الحجّاج القشيري الياسوري، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 1177.

[2]– عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، مرجع سابق، ص ص، 154–155.

[3]– أ.لوشاتلييه، الغارة على العالم الإسلامي، تر: محمد الدين الخطيب، مساعد الباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص80.

وتوصيل فهمه إلى المتنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء !!"[1] فالنظام الإسلامي حسبهم هو أكثر النظم الدينية تناسقًا اجتماعيّا وسياسيّا.

ومعنى ذلك القول أنّ **المسيحيّة** توجب على الإنسان الإرادة حتى يسقط ما عليه من ذنوب، فيتوجّه إلى غفران الخطيئة بالفداء. أمّا في **الإسلام** فعقل الإنسان يوجب عليه أن يدرك التبعة التي تلزمه بين يدي ربّه، فيلتمس الهداية من الله.

4.2. الصّورة الاجتماعيّة

يقصد بالمجتمع تلك المجموعة المتجانسة من الناس التي تجمعهم وحدة مكانية، وأخرى زمانيّة. "حيث يقصد بالوحدة المكانية أن يكون لهذه المجموعة أرض يحيون ويعيشون عليها، بينما يقصد بالوحدة الزمانيّة أن تكون معيشة هذه المجموعة من الناس لفترة طويلة من الزمن مع بعضهم البعض، ممّا يوجد بينهم نظما معينة ومصالح وأهدافًا مشتركة، وهكذا يرتبط حاضرهم بماضيهم بما يوحد نظراتهم إلى المستقبل".[2] وهو أيضًا تجمّع من الأفراد "توحّد بينهم روابط تضامن وتعارف، ويتّصف هذا المجتمع بطبيعته البيولوجية والسيكولوجية والثقافية".[3]

أمّا المجتمع الغربي فيتّسم بمظاهر تختلف عن مجتمع الشّرق، بعدما أصبح الغرب يشكّل بيئة إغراء جاذبيّة للآخر بسبب ما حقّقه من اقتصاد وحريّات مدنيّة لمواطنيه، إلاّ أنّ الغرب سقط في المحظور الأخلاقي، فوسّع الهوّة ومزّق الروابط الإنسانيّة، ليحصد الإباحيّة، والجرائم والعقوق والتفكّك الأسري.

---

[1]– د.محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مكتبة الإمام البخاري للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص05.

[2]– عصام توفيق قمر، سحر فتحي مبروك، محسن عبد الستار غرب، مدخل إلى دراسة المجتمع العربي، دار الفكر، الأردن، ط1، 2008، ص 12.

[3]– المرجع نفسه، ص 12.

وجاء في كتاب "**العالم من منظور غربي**" **لعبد الوهاب المسيري** أنّ الحياة الاجتماعية الغربية سيئة للغاية بعكس ما نراه في الأفلام والمسلسلات وما يبثّ من حصص عن الحياة الاجتماعية المثلى فيقول مؤكدًا أو معلقًا عن: **"**الظواهر الاجتماعيّة السلبيّة المختلفة مثل: المخدرات –الإباحية... تآكل الأسرة –طريقة التعامل مع المسنين– الوقت الذي يقضيه الإنسان مع أطفاله وزوجته – تراجع التواصل بين النّاس بسبب الكمبيوتر –الأمراض النفسيّة (الاكتئاب وعدم الاتزان) –تزايد العنف والجريمة في المجتمعات التي يقال لها متقدمة– انتشار الفلسفات العدمية وفلسفات العنف والقوّة والصّراع (الداروينية الاجتماعية والنيتشوية)".[1]

فالمراهق الذي يكبر في المدنية الحالية في الغرب "يجد نفسه محرومًا... بحيث تكون زوجته منقادة إذا أمكن أن تحمل دور الأم السحري، بحيث الرّجل غطاء الحماية الذي يقدّمه الزواج المثالي عن حماية الأم في أعمق أعماقه..."[2] بعدما سقط مفهوم الذكر المسيطر ماديًا، وضاع دور الأم الرئيس.

ويضيف **الجبرتي [1754–1822] مؤرخ العصر** عن الإباحيّة الغربيّة، والذي عاين النموذج الفرنسي في التعامل مع المرأة قائلا ومحذّرا الشّرق أن يقع ضحيّة انبهاره بالنموذج الغربي"...ومنها تبرج النساء، وخروج غالبهنّ عن الحشمة والحياء... وهو أنّه لما حضر الفرنسيون إلى مصر ومع البعض من نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهنّ حاسرات الوجوه، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملوّنة، ويسدلن على مناكبهن الطرح

[1]– عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، مصر، ط1، 2001، ص 226.

[2]– كارل غوستاف يونغ، جدلية الأنا واللاّوعي، تر: نبل محسن دار الحوار للنّشر والتّوزيع اللاّذقية، سورية، ط1، 1997، ص 125.

الكشميري والمزركشات المصنوعة، ويركبهن الخيول والحمير ويسقنها سوقا عنيفا، مع الضحك والقهقهة، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامّة".[1]

كما يؤكّد **عبد الوهاب المسيري في** كتابه "**العالم من منظور غربي**" عن مظاهر الحياة الاجتماعيّة في **الغرب** "تزايد الإحساس بالاغتراب والوحدة والغربة – تزايد إنفاق الحكومة على التسليح أدوات الفتك (يقال إنّه لأوّل مرّة في التّاريخ البشري ينفق الإنسان على السلاح أكثر مما ينفق على الطعام والملبس) –ظهور إمكانية تدمير الكرة الأرضية إمّا فجأة (من خلال الأسلحة النووية) أو بالتدريج (من خلال التلوث) – أثر السّياحة و حركة التنقل على نسيج المجتمعات وعلى تراثها – تزاد معدلات الجريمة..."[2]

1.4.2. الأسرة

تعدّ **الأسرة** الخلية الأولى للحياة الاجتماعيّة، فهي: "أولى الجماعات التي يحتك بها الطفل، إنّها مسرح التفاعل الذي يتلقّى فيه الطفل معالم التنشئة الاجتماعية: ففيها يتلقى أفرادها قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، بحيث تخلق في كل فرد كائنًا اجتماعيًا..."[3] وهي بذلك أقدم المؤسّسات البشريّة وأكثرها ثباتًا، "فقد شهدت قيام وسقوط المدنيات، والإمبراطوريات والحروب، والمجاعات وأمراض الطاعون، والانكماش، وفترات الانحسار..."[4]

وعليه **فالأسرة** هي اللّبنة الأولى في بناء المجتمع "ولا مفرّ من الاعتراف بقيمتها، وهي الميول الثّابتة في الفطرة الإنسانيّة، وعلى عواطف الرحمة والمودّة، ومقتضيات الضّرورة والمصلحة، كما أنّها العشّ الذي تنشأ فيه وحوله مجموعة الآداب والأخلاق الخاصّة بالجنس، وهي في صميمها آداب المجتمع الذي ارتفع عن الإباحيّة الحيوانيّة والفوضى

[1]– محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص 10.

[2]– عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، مرجع سابق، ص 226.

[3]– حسين مصطفى عبد المعطي، الأسرة مشكلات الأبناء، دار السحاب للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 04.

[4]– المرجع نفسه، ص09.

الهمجيّة... الأسرة نظام بيولوجي ونفسي لا نظام اجتماعي فحسب".[1] إلاّ أنّ الشيوعيّة حسب **سيّد قطب**، حاولت أن تقضي على الأسرة؛ بحجّة أنّها تنمّي أحاسيس **الأثرة الذاتيّة** و**حبّ التّملك**. أمّا **الاشتراكيّة** فلا تؤمن بالروابط الاجتماعيّة.

ويُرجع **الفيلسوف المعاصر "برتراند رسل" سبب أزمة الغرب** إلى تفكّك **الأسرة الغربيّة**. يقول: "إنّ الأسرة انحلّت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرّد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظلّ أمينة لرجل واحد إذا تحرّرت اقتصاديًا".[2] فقد أصبحت المرأة المعيل الوحيد للأسرة.

بذلك فقدت الرّابط الأسري من تآزر وودّ بين أفراد الأسرة الواحدة، فقد ذكر بعض العلماء: "أنّه في (بولينزيا) حول استراليا لا توجد بين الأبناء وآبائهم علاقة أكيدة".[3]

وفي وصف الأسرة الغربية تقول **أم شريف بعد زيارتها أوروبا** واصفة حياة التّرف والإباحيّة التي ألمّت بها والتي رأتها "ناهيك عن الانحراف، والجرائم، من السرقة والقتل، والاغتصاب والبغي، والرّشوة، والاختلاس، والانحراف الظواهر التي باتت طبيعية في العالم الغربي".[4] بسبب ما آلت إليه الأسرة الغربيّة، بعدما شهدت تحوّلًا جذريًا في منظومتها وقيمها.

وعليه تقوم الأسرة الغربيّة على **المرأة** في الغالب، كما تتميّز بالتفكّك والتناحر بين الأب والأبناء بعيدًا عن التلاحم والحميميّة.

[1]– سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشّروق، بيروت، لبنان، د.ط، 1995، ص 54.

[2]– مصطفى السّباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مرجع سابق، ص 144.

[3]– عطيّة صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، تربية الأولاد في الإسلام، ج4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، د ط، 2006، ص 10.

[4]– صالح بن ابراهيم البلهي، يا فتاة الإسلام اقرئي ولا تنخدعي، مرجع سابق، ص 51.

2.4.2. المرأة

شهد المجتمع الغربي تحوّلا كبيرا في نظرته تّجاه المرأة، بعدما عرفت شتّى أنواع الأذى، ففي الماضي عُدّت كائنا شيطانيًا، بل وجسدا للمتعة مجرّدًا من الرّوح، فروما القديمة جعلت المرأة "**خاضعة للرجل**. وكان القانون يَعتبُر المرأة **معتوهة**... ولم تبادر المسيحية إلى اتّخاذ أيّة خطوة لتحسين أوضاع المرأة".[1] وهذا كلّه راجع للخرافة المنتشرة عن المرأة، والمعتقدات التي تحط من قيمتها.

ويقول **محمد قطب:** "إنّ المرأة عند اليونان والرّومان إذا جاء عهد كرّموها فيه، فإنّ ذلك بصفتهن الشّخصية، أو لنساء العاصمة بوصفهنّ زينة المجالس وأدوات التّرف، لا لأجل احترامها كمخلوق إنساني له كرامة، ظلّ الوضع كذلك في عهود الرق والإقطاع في أوربا، والمرأة غارقة في جهالتها، تدلل حين الترف، وتهمل حينا كالحيوانات".[2] ويضيف **نيتشه:** "إذا قصدت النّساء فخذ السّوط معك...أمّا "**فريد**": " فيعتبر الرّجل يمثّل كامل الإنسانية..."[3]

كما كانت المرأة عند **اليونان** معزولة عن المجتمع حتى في العصر الذهبي، يقول "**ول ديورانت**": "يجب أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها، وكان ينظر إلى الزوجة على أنّها ولادة أطفال...يقول: "**ديموستين**" خطيبهم المشهور: إنّنا نتّخذ العاهرات للذّة، ونتّخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية، ونتّخذ الزّوجات للبلدان لنا الأولاد الشرعيين".[4] إضافة لخضوعها للرّجل لم يكن لها حقوق في التّوظيف والميراث، بل وحتّى العقد والشّهادة مراعاة لضعفها.

---

[1]– وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، تر: سيد رئيس أحمد الندوى، مرجع سابق، ص 53.

[2]– عطية صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، مرجع سابق، ص 349.

[3]– محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص 57.

[4]– عطية صقر، موسوعية الأسرة تحت رعاية الإسلام، المرجع السابق، ص 348.

عاشت المرأة الغربيّة محرومة تحت وطأة النظرة التحقيريّة لها، إلى حدّ وصفها **بالشيطان،** حيث يقول القدّيس **(بونافنيتر):** "إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنّكم شاهدتم موجودًا بشريًا ولا موجودًا موحشًا، لأنّ ما ترونه هو **الشيطان نفسه،** وإذا ما تكلّمت فإن ما تسمعونه فهو **فحيح الأفعى**...أمّا القدّيس **(توما الأكويني)** فيقول: "لا وجود في الحقيقة إلاّ لجنس واحد، هو **الجنس المذكر**، وما **المرأة** إلا **ذكر ناقص،** ولا عجب أن كانت المرأة وهي الكائن المعتوه والمرسوم **بميسم الغباء**– قد سقطت في التجربة – [الخطيئة الأولى]!".[1]

فقد اجتمع في القرن الخامس مجمع "**ماكون**" للبحث في ماهية المرأة: "هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ أم لها روح؟ وأخيرا قرّروا أنّها خلوّ من الرّوح النّاجية (من عذاب جهنم) ما عدا أم المسيح".[2]

وجاء حضور **المرأة** في **المسيحية** كالتالي: "**المرأة** عندهم **ينبوع المعاصي،** و**باب** الدخول إلى **جهنم،** وجمالها هو **سلاح إبليس**... لقد قال "**ترتوليان**" أحد أخطاب المسيحية الأولى في المرأة: إنّها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وإنّها دافعة بالمرء إلى الشّجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوّهة لصورة الله، أي الرّجل، كما قال "**كراي سوستام**" من كبار الدّينيين: هي **شره** لابد منه، ووسوسة جميلة وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتّاكة ورداء مطليّ مموّه".[3]

وفي **عصر النهضة** انتقلت المرأة من حياة كانت فيها متاعًا إلى الإباحية الدّاعرة، ف" تشجعت الفنون والكتب التي تتحدّث عن الجنس، وسادت سياسة الاحتيال والخداع التي روّج لها "**مكيافيلي**" في القرن الثلاثة الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وصوّر عصر النّهضة صورة الفكر اليوناني القديم والفن يزدهر عند حرية المرأة وإباحيتها والقوّة تسير مع

[1]– محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص59.

[2]– مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مرجع سابق، ص18.

[3]– عطية صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، مرجع سابق، ص360.

الحب للمرأة ..."[1] بل وطالبت بحقوقها كاملة، يقول "**خاكى**": "إنّ المرأة في القرن التاسع عشر في أوربا طالبت بالتحرّر كما تحرّر الرّجال وطالبت بالمساواة في الحقوق السياسيّة، لتحرّر أكثر من قوامة الرجل..."[2] وإنّ محاولة تحرير المرأة كانت "سبحًا ضد النهر ومعارضة للفطرة، إنه مثابة انحراف للمرأة عن أداء رسالتها ومعوق لعملها الطبيعي الذي يتفق مع طبيعتها وتكوينها وهو خيانة كبرى على الحياة الزوجية والبيت والأطفال والأسرة".[3]

فالاختلاط، والإباحيّة، والحريّة المفرطة في الوسط الأوربي والأمريكي هدّد التركيبة الاجتماعية لها، وهذا ما أشار إليه **صالح بن ابراهيم البليهي** في كتابه **"يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تنخدعي"**، حيث يقول: **"**فالفتاة الصّغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص وتشرب الخمر وتتعاطى المخدّرات باسم المدينة والحرّية والإباحيّة".[4] ويضيف **طه حسين:** "أمّا النّساء فلهنّ منطق معقول: هنّ متجرّدات بالنهار على الساحل، متجرّدات في اللّيل إذا أقبلن إلى الكازينو، ولكنّهن لا يظهرن من أجسامهن ما يظهرن في النّهار، وإنّما يظهرن في النهار نصفًا وفي اللّيل نصفًا آخر، للنهار الأعجاز ولليل الصّدور".[5]

وتؤكّد الكاتبة الشهيرة **"آنى رورد"** على الحالة المزريّة التي تعايشها المرأة الغربيّة قائلة: "نعم إنّه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلًا للرذائل بكثرة مخالطة الرّجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية، من القيام في البيت

[1]– عطية صقر، موسوعية الأسرة تحت رعاية الإسلام، مرجع سابق، ص 373.

[2]– المرجع نفسه، ص 375.

[3]– أنور الجندي، المرأة المسلمة في وجه التّحديات، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 15.

[4]– صالح بن ابراهيم البليهي، يا فتاة الاسلام اقرئي حتّى لا تنخدعي، مرجع سابق، ص 45.

[5]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 65.

وترك أعمال الرّجال للرجال سلامة لشرفها".[1] حيث تمنّت أن تكنّ نساء الغرب كنساء الشّرق، يعملن في بيوتهن لا المعامل، حتّى يحافظن على الحشمة والعفان والطّهارة.

5.2. الغرب المادّي

يعتقد الكثير من الأدباء أنّ الغرب أصبح صرحًا للمادّيات، وعلى رأسهم **توفيق الحكيم** في روايته "**عصفور من الشرق**"، الذي يعدّه: "فضاءً للمادّيات والتفسّح الأخلاقي والانحطاط القيمي".[2] في حين أنّ حقيقة الأديان الرّوحية وفي مقدّمتها **المسيحيّة "تنكر المادّية** الأوروبيّة الأمريكيّة، كما تنكر المادّية الشيوعيّة، لأنّهما من طبيعة واحدة تتعارض مع الفكرة الرّوحية في الحياة".[3]

فالمذهب المادي يرى أنّ الوجود قديم وأنّ المادّة هي مصدر كلّ كائن، ولا وجود لخالق للكون، بل هي مجرّد معتقدات غيبيّة متوارثة لا أصل لها منذ أن عرف الإنسان الحياة، "وأنّ لها خصائص ونواميس عامّة لا أثر للتدبير فيها. ولقد قال دعاة المادّية إنّ ما أتت به الأديان من وجود مدبّر حكيم وراء هذا العالم هو من الزخارف الكلاميّة التي ولدها الخيال وتمسّك بها الجمال".[4] في المقابل نستدل بالمنطق أنّ **الطبيعة** لم تخلق نفسها، ولم توجد بنفسها بل: "أوجدها الله. وهي تسير على سنن مطردة، وفق نظام مترابط الأجزاء، والله الذي خلقها هو المقدّر لسننها ونظامها".[5]

والإنسان بذلك في نظر المادّيين كائن مجرّد من قيمه الأخلاقية والاجتماعيّة، و"هو الحيوان الكامل **l'homme machine**، وأنّ الفرق بين الإنسان والحيوان إنّما هو فرق في الدرجة وليس في النّوع، فليس هناك جوهر إنساني متميّز، الذي يوجد فحسب فكرة تاريخيّة

[1]– مصطفى السّباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مرجع سابق، ص143.

[2]– محمد رفعت، الآخر بين الرّواية والشّاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 2015، ص 17.

[3]– سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، مرجع سابق، ص 115.

[4]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 129.

[5]– منصور زويد المطيري ، الصّياغة الإسلامية لعلم الاجتماع "الدواعي والإمكان"، مرجع سابق، ص 101.

واجتماعية محددّة على الإنسان والتّاريخ الاقتصادي والاجتماعي وحده هو تاريخ الذي يوجد على الحقيقة".[1]

كما أنّ العالم المادي يقرّ بأنّ القوانين الأخلاقية لا وجود لها. "إذ لا يوجد سوى المنفعة واللّذة وتعظيم الإنتاج بهدف تعظيم الاستهلاك، حتّى تستمر عمليّة الإنتاج في الدوران ويتصاعد الاستهلاك، وهكذا في حركة دائريّة تشبه العود الأبدي عند نيتشه أو مسرحية في مسرح العبث أو الرؤية الوثنيّة للتاريخ كدوائر لا معنى لها".[2] فالهدف من الوجود هو المنفعة واللّذة والمادّية الغربيّة تنظر للعالم على أنّه آلة مكتفية بذاتها تتحرّك بقوّة دفع ذاتيّة أو نبات توجد داخله قوى النمو.

ومن نماذج **الماديّة** المفرطة في **الغرب** قول **بلوتارخ (الكاتب الروماني):** "حينما تُطفأ الشّموع تصبح كل النساء جميلات.... هو إنسان مادي تمامًا (إباحية بالمعنى المعرفي) يرى أنّ الإنسان جسد براني بسيط وحسب، وأنّ اللّحظات السّابقة واللاّحقة التي تبدي فيها إنسانيّة الإنسان المركّبة والتي يبحث فيها المرء عن الطّمأنينة والسّكينة هي مسألة غير مهمة".[3] فكلّ النّساء في نظره مادّة استهلاكية استعماليّة لا غير، أي جعل من الإنسان جسدا مادّي مُقصيا بذلك القيم الرّوحيّة.

وتظهر هذه **الماديّة** في **الغرب** بشكل كمّي رهيب، ففي إحدى الصحف صوّرت صحفيّة مع زوجها في إحدى حدائق الحيوان المفتوحة في إثيوبيا، "وفجأة انفتحت السيّارة وسقط الزّوج من السيارة واندفعت نحوه الأسود **لالتهامه**. وحاولت زوجته (باعتبارها إنسانا وباعتبارها زوجته) أن تفعل شيئا ففشلت، (فقامت باعتبارها مصوّرة صحفيّة وحسب) بتسجيل المنظر بآلة تصوير التي معها، وفي إحدى المسابقات الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي حصلت

[1]– علي عزّت بيجو فيتش، الإسلام بين الشّرق والغرب، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 47.
[2]– عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، مرجع سابق، ص 129.
[3]– المرجع نفسه، ص 102.

الصّورة على الجائزة الأولى بسبب ندرة اللّحظة وسرعة بديهة المصورة منقطعة النظير".[1] فقد ركّزت اللّجنة المنظّمة على القيم المادّيّة لا الإنسانيّة، مستحسنة **كفاءة الأداء المادّي** في نقل الواقع في اللّحظة المناسبة دون مراعاة الجانب الشّعوري.

ويفصح مفهوم **التقدّم الغربي** عن **وجهه المادّي** من خلال مجموعة من القيم الحاكمة الكبرى، كقوانين أساسيّة في حياة الإنسان، ومن بين الأفكار المترسّخة في ذهن المادّي نجد مايلي: **"الصراع من أجل البقاء"** و**"البقاء للأصلح والأقوى"** والإيمان بأنّ: **"الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"**، و**الهجوم على أخلاق الضّعفاء** و**تمجيد الإنسان الأقوى (السوبرمان)..."**[2]

كما أنّ في الوقت ذاته لهم بعض المبادئ الحسنة كقولهم:

"عامل النّاس بما تحبّ أن يعاملوك به.."

"وأحبّ جارك كما تحبّ نفسك".[3]

ومن **آثار** و**نتائج المادية المفرطة للغرب** والذي أقصى الدّين من الحياة يرى **حسن البنا** أنّها سبب لفساد النّفوس وضعف الأخلاق والتراخي في محاربة الجرائم ممّا أدّى إلى "الالإلحاد والشّك في الله، وإنكار اليوم الآخر، والوقوف عند حدود الكون المادّي المحسوس، والإباحيّة والتهافت على اللّذة والتفنّن في الاستماع وإطلاق الغرائز والمغريات والأثرة في الأفراد، وفي الطبقات والشعوب والرّبا والتفنّن في صوره، وتعميمه بين الدّول والأفراد..."[4]

يؤمن الغرب المادّي إذًا بالعالم الحسّي فقط، بل ويسند العقل والمنطق لكلّ ظاهرة كونيّة، ولا يولي الظواهر الغيبيّة أهميّة مادام يعتبرها ضربًا من الخيال.

---

[1]– عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، المرجع السّابق، ص 103.

[2]– المرجع نفسه، ص 155.

[3]– عبد الحكيم لعبد، الفكر السياسي الغربي والقومية المحافظة في الشّرق، www.kotobarabia، ط2، 2006، ص61.

[4]– عبد الوهاب المسيري، العالم في منظور غربي، مرجع سابق، ص 290.

الفصل الثاني:

صورة الشّرق في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

و *Boussoule* de Mathias Enard

المبحث الأوّل: الصّورة البشريّة

المبجث الثاني: الصّورة النّفسية "المعتقد"

المبحث الثالث: الصّورة الاجتماعيّة

المبحث الأوّل: الصورة البشريّة للشرق

1. الصورة البشريّة للشرق في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

تعدّ الشّخصية إحدى ركائز البناء السّردي، من خلال شحنها بدلالات وإيحاءات من مظاهر خارجية وداخليّة، كاللّباس، ولون (البشرة، الشعر، اللّباس...) وشكل الجسد، أيضًا (الاسم، البلد، المستوى العلمي، الدّين...) إضافة للمظاهر الدّاخلية كالسّلوك والتصرّفات. كلّها تعبّر عن واقع ما،ن يراد بها من خلال التشكيل الحكائي لها ببثّ جملة من السّمات؛ قصد الإيحاء لظاهرة أو بلد ما. فالرّوائي حسب "رولان بارت" في تصويره للأنا أو الآخر دائمًا ما يقوم باستحداث عالم مكتف بحدّ ذاته، فيوزّع << زمانه، أماكنه، أناسه، مجموعة حوائجه وتخيّلاته>>.[1]

فالشخصية قبل كل شيء: "مقولة من مقولات القيمة، وهي تحقيق لغاية وجودية... وهي رمز على التكامل الإنساني والقيم الدّائمة، وهي شاملة إذ تستوعب الروح والنّفس والجسم جميعاً".[2]

والشّخصية مركّب إنساني اجتماعي "يحكمه اتساق ليس متجانسًا بالضرورة عضوي وبيئي وثقافي شامل، فتنطوي تحت "عضوي" الملامح الشكلية والنفسيّة، والبنية الجسديّة والجنس، وتنضوي تحت "بيئي" مجمل العناصر الجغرافيّة والتاريخيّة والانتماء القومي والعرقي، "اللّاعضوي، العضوي، ما فوق العضوي" وبتعبير آخر: يشكّل "الثقافي" كامل كتلة القيم

[1] – Roland Barthes, le degré zéro de l'écriture suivi de nouveau essaies Critique, Paris, Seuil, 1972. p 25.

[2]– صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية"، مرجع سابق، ص 99.

والمعارف والعادات والتقاليد والأعراف التي تتضافر لطبع الشّخصية بمقادير متفاوتة من كل منها".[1]

تتحدّد هويّة الإنسان بعدّة مؤشرات منها الجسد، يعدّ هذا الأخير في الأدب من ركائز تشكيل الشّخصية. ووصف منظومة قيمه ومظاهره الثقافيّة بالمعنى الإناسي (مثل: الدّين، اللّباس، والموسيقى.

فنواجه النص الصوري بوصفه شاهدا وثيقا عن الأجنبي، وبذلك تحاول دراسة الصورة فهم إشكالية كيف كتب النص؟ الذي يعدّ تطورا وصفيا وإدراكيا في الوقت نفسه، فنستطيع أن نتعرّف عمّا قيل عن ثقافة الآخر أو ما سكت عنه.

وفي الجدول الآتي نذكر بعض ملامح الشخصيات التي **تمثل الصّورة البشريّة للشّرق:**

الملمح								
الشّخصيات	**الاسم**	**العمر**	**المظهر**	**البلد**	**الديانة**	**الوظيفة**	**المستوى العلمي**	**السلوك**
	وائل	**شاب**		**فلسطين**	**الإسلام**	**بائع سمك**	**خريج جامعة**	**ضعيف الشخصية**
	سالم الفتوح	**كهل**	**أسمر ذو كرش متهدل**	**فلسطين**	**الإسلام**	**سائق سيارة أجرة**		**خائن**

[1]– صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللّغة السّردية"، المرجع السّابق، ص 100.

من خلال الجدول يتّضح لنا أنّ الأسماء عربية، وملامح الجسد صفات تخص الشرق كالسمرة. والبلدان التي تنتمي إليه الشّخصيات من الشّرق توزّعت بين **فلسطين** و**مصر**، أمّا الجانب الاجتماعي فقد أظهرت من خلاله الكاتبة أنّهم من الطبقة الكادحة طبعًا جرّاء الاحتلال اليهودي، كما تباينت سلوكاتها وتصرّفاتها بين الوفاء والخيانة للوطن، أمّا الجانب الديني فتمثّل في الإسلام بين قوي وضعيف الإيمان.

سنحاول التطرّق لبعض الصفات الرئيسة التي تمثّلت في **شخصية وائل:**

وائل: يعرّف عن نفسه قائلا: "**أنا وائل عبد الرحمان الشريف، من غزة، حاصل على شهادة جامعية في الفلسفة من جامعة (بيرزين) لكنني أعيش كأي عامل عربي في الأرض المحتلة، توفي والدي وأنا في السّنة الدراسيّة الأولى، لي أربعة أشقاء، أحدهم حكم عليه بالسّجن المؤبّد، والآخر اعتقل منذ سنتين، لم تجر له المحاكمة بعد، أمّا الثالث فأظنّه في طريقه إلى المعتقل...لي أخت واحدة أصغرنا...**"[1]

وعن **حالته الجسدية**، فهي سلبية إذ يعاني من آلام حادّة على مستوى القلب، ويحاول جاهدا البحث عن حلّ لأزمته الصحيّة، فقد وعدته صديقته **جين** بالعلاج في أمريكا إن وافق على السّفر معها فيقول: "اتّصلَت بأشهر الأطباء المتخصصين وستتمّ معالجتي فور وصولي."[2]

ديانته: كان مسلما يشوب نفسيتّه اليأس وضعف الإيمان، رغم أنّه في **صباه** كان ملازما لجدّه في الذهاب إلى المسجد. "**الوقت عند الظهيرة، والشّمس ملكة لا غيوم تحاربها لمس يد جدّه ويسير معه صوب المسجد الكبير**".[3] وتضيف: "**تبدو طيبا حين تضحك**".[4]

---

[1]- **جهاد الرّجبي، لن أموت سدًى، مكتبات ونشر العبيكان، ط1، 2015، ص 94.**

[2]- المرجع نفسه، ص 136.

[3]- نفسه، ص 103.

[4]- نفسه، ص 81.

لكن تعذيبه في معاقل الاحتلال الصهيوني وسقوط مئات الضحايا الفلسطينيين، الذين يستعملون الحجارة مقابل رصاص الاحتلال عصف بحلمه في عيش حياة كريمة، بل وأصبح في تناقض مستمر بين تأييده للجهاد ويأسه من تحرّر فلسطين، فحاول الفرار وترك أهله، رغم محاولتهم وتوسّلهم بقاءه، يقول له الأخ الأصغر علي محاولا إقناعه: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... وهنا الجهاد فرض عين".[1] إلاّ أنّه يقرّر أخيرا الهرب نحو أمريكا التي في يعتبرها أرض السّلام والعدالة وتحقيق الأحلام، وأيضًا من أجل الفتاة الأمريكية التي أحبّها.

كما تميّزت شخصيته **بقلّة الزاد الثقافي** بشأن دين الإسلام ففي حواره مع الأمريكية د.هيلين، التي تعرف الكثير عن هذا الدين رغم كونها **مسيحيّة**. فقد "**حدّق في وجهها، ضحك فجأةً، ثم قال وهو يشير إليها: أنت مسلمة أكثر مني!**"[2]. وتضيف ناصحة بأن يعود أدراجه "لا بدّ أنّ أمّك حزينة، كيف تتركها للموت وتهرب جبان؟؟"[3]

وفيما يخص الجانب الاجتماعي: يقول وائل: "أنا مواطن عادي، أعمل في بيع السّمك، منذ تخرّجت، ولا أعرف شيئًا..."[4] هذا دليل عن الحالة الميسورة التي يعيشها والتي أثّرت سلبا على حالته النفسية في الهروب من الصهاينة والفقر.

بعد وصوله إلى المطار تغلبت روحه على ماديتّه، وهو يشاهد في التلفاز بنادق جنود الاحتلال وهم يحطمون عظام أخيه علي، حرّك هذا الموقف مشاعره واستيقظ من غفلته، إلاّ

[1]- لن أموت سدّى، ص 55.
[2]- المرجع نفسه، ص 59.
[3]- نفسه، ص 117.
[4]- نفسه، ص63.

أنّ القلب المريض خانه ليلقى حتفه وهو يحاول العودة، قصد مشاركة أهله الجهاد، وترك المستقبل الوهمي.

ممّا سبق نستخلص أنّ **شخصية وائل** تمثّل اليأس وضعف الإيمان وقلّة الزاد المعرفي، بالإضافة إلى الرضوخ للآخر طوعا، وبالتالي فهي شخصية غير متّزنة، تمثّل حال الشّرق عامة. ومن جانب آخر أرغمته مرة أخرى روحانيته في التشبّث بهويته وأصالته في التغلب على ماديته، بمحاولته العودة بعد وصوله لأمريكا، رغم أنّه تأخّر كثيراً، وهذا دليل على تشبث الشرق بمقوّماته رغم كل محاولات طمسه.

سالم الفتوح: فلسطيني، كان صديقًا لوائل في الجامعة، عُرف بانضمامه للعمل في الجانب الصهيوني بصفته عميلا للكيان،

مظهره: أوردت الكاتبة بعض صفاته الجسدية فتقول: "أسرع سالم الفتوح نحو وائل **بوجهه المقيت، وبكرشه المنتفخ** راسما على وجهه ابتسامة غريبة..."[1] وتضيف: "فلمعت في عينيه صورة (سالم الفتوح) وهو يناوله الأوراق، ومن بينها تذكرة السفر، الملامح الباردة **والكرش المتهدل...**"[2] **وقد** "جلس على الكرسي المقابل، عيناه ملتصقتان بالأرض، **كرشه منتفخ قليلا...**"[3]

أمّا **الجانب الدّيني والنّفسي** فقد كان مسلمًا ضعيف الإيمان، خائنا لوطنه، ففي حواره مع وائل قاصدا إقناعه بالعمل مع الاحتلال : "لا أدري أيّ نوع من الغباء يغزو جماجمكم!!

– غباء لا يفهمه عميل إسرائيلي مثلك".[4]

[1]– لن أموت سدّى، ص18.

[2]– المرجع نفسه، ص41.

[3]– نفسه، ص77.

[4]– نفسه، ص18.

تمثّل **شخصية سالم الفتوح** نمطا سلبيا يائسا، تَمثّل في فئة باعت قضيتها وشرفها؛ مقابل الجانب المادي، جرّاء ما يتقاضوه، وتَمثّل عمل سالم الرئيسي في تجنيده الشّباب الفلسطيني لصالح الاحتلال، إلاّ أنّه قام بنصح وائل في آخر المطاف بالتراجع، وهنا ينجلي لنا تناقض سالم في خدمة الصهاينة تحت طائلة التعذيب والترهيب، وبين محاولته مساعدة وائل، الذي يعدّه صديقا رغم اختلاف قناعتهما.

وهناك بعض **الشخوص الثانوية التي مثّلت الشّرق**، ولو بشكل مقتضب مثل "الجّد، الأم، الإخوة، عميل الاحتلال عوض، المصريان اللذان تكفلا بولادة الدكتورة هيلين بمصر.

الملمح					
	الاسم	**العمر**	**المظهر**	**الديانة**	**السلوك**
			وصف الأم فيقول: –"أمسك بيدها المتجعدة".[1]	**الإسلام**	طيّبة مخلصة لوطنها
الشّخصيات	**علي**	**طفل صغير**	– "وفتح الباب بعنف وابتسم كعادته...".[2] – "نظر وائل في وجه أخيه طويلا ثم تحسّس بشعره الأشعث بخوف تحسّه في عينيه المرتجفتين ولا تفهمه !!...".[3]	**الإسلام**	مناضل

[1]– لن أموت سدّى، ص5.
[2]– المرجع نفسه، ص7.
[3]– نفسه، ص11.

			تقول هيلين عن العرب: – "... ولكني هربت من بأسها إلى الشوارع البسيطة بعمقها، والوجوه السمراء من وهج الشمس...".[1]	**الإسلام**	
	الجد			**الإسلام**	

وفي وصف أحد جنود الاحتلال اليهودي:

"...ورجل في الخمسين من عمره، توزع الشعر الأبيض على رأسه بشكل أنيق..."[2]

وتضيف هيلين عن أمها قائلة: "رغم أن أمي كانت تنتظره طويلًا، جميلة وحزينة، تسرق من أنفاسنا حرارتها، وتقسم أنها لا تشعر بالبرد رغم أنها ترتجف **!**"[3]

هربت من يأسها إلى الشوارع البسيطة بعمقها والوجوه السمراء من وهج الشمس...[4]»

ويصف "**غي دي موباسان**" في روايته "**علومة**" النساء اللّواتي ينتمين إلى الجنس الجميل في الصحراء قائلا: **"**بيضاء، رشيقة، وجهها دقيق القسمات، ومحدد بخطوط مستقيمة وبسيطة،

[1]– لن أموت سدّى، ص 47–48.
[2]– المرجع نفسه، ص127.
[3]– نفسه، ص82.
[4]– نفسه، ص 47–48.

كأنه صورة رأس في رسم هندي، عيناها جد متباعدتين، تزيدان هيئة الحلال الذي تتمتع جوابه الصحراء هذه بشيء منه".[1]

تمثّل شخصية الجد استمرار الصمود في الجهاد إذ يصفه وائل قائلًا: "لم أر في حياتي رجلاً مؤمناً بالله وموقنًا بالانتصار كجدي **!"**[2]

[1]– أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيّين، مرجع سابق، ص100.

[2]– لن أموت سدّى، ص 115.

2. الصورة البشريّة للشّرق في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

اعتمد الرّوائي ماتياس إينار في تشكيله لنسيج الشّخصيات التي مثّلت الشّرق على عدّة صفات مادّية ومعنوية، نذكر منها في الجدول التالي:

	الملمح							
	الاسم	العمر	المظهر	البلد	الدّيانة	الوظيفة	المستوى العلمي	السلوك
الشّخصيات	نديم	شاب	أسمر	إيران	الإسلام	موسيقار	مثقف	اجتماعي
	بدر شاكر السيّاب	شاب	دميم الوجه جميل	العراق	الإسلام	دون مهنة فقير شاعر	مثقف	نشيط خفيف الظل
	حسن	شاب	جميل	سوريا	الإسلام	– عامل برفقة باحث مستشرق – دليل	طالب جامعي	متعدّد المواهب

من خلال الجدول أعلاه يتّضح لنا أنّ الكاتب قد وفّق في بناء الصورة البشرية للشّرق، **فالأسماء عربية، وملامح الجسد** اتّسمت بلون البشرة السمراء، والشعر الأسود، إضافة للشاربيْن كصفة للإنسان الشّرقي، أمّا البلدان فهي تنتمي لحيّز الشرق، وعن **الديانة** فالإسلام هو معتقد غالبية الشرق، وقد تميّز **الجانب السلوكي** بمجموعة من الصّفات الإيجابية، أمّا **الجانب المادي** فمتباين بين الفقر المدقع وبين الحالة المتواضعة.

الشخصيات:

نديم: شاب موسيقي إيراني معاصر، جميل، أسمر "كان أنيقا جدا هو الآخر، يرتدي قميصا أبيض جميلا، ذا ياقة مستديرة تضفي رونقا على بشرته الدّاكنة ولحيته القصيرة السّوداء".[21]

« Lui aussi était très élégant, dans une belle chemise blanche à col rond qui éclairait son teint mat, sa courte barbe noire ».[3]

يعرف بروح الدعابة، والابتسامة لا تفارقه سواء أكان يحاور أحدا أو حتّى يعزف فيقول فرانتس: "كان نديم يبتسم أثناء عزفه وكانت لحيته القصيرة والدّاكنة تحيل وجهه أكثر إشراقا".[4]

« L'ombre de sa courte barbe donnait, par contraste, encore plus de luminosité à son visage ».[5]

أمّا عن **معتقده** فقد كان نديم مسلمًا.

---

[2]– **البوصلة، ماتياس إنار، تر: طارق أبي سمرا، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص16.**

[3]– **Mathias Enard, *Boussole*, Actes Sud, France, 1, 2015, p. 17.**

[4]– البوصلة، ص490.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.270.

الغاية من توظيف الكاتب **لشخصية نديم** المدجّجة بروح الحوار بينه وبين المستشرقين يكمن في الإيحاء لانفتاح الشرق على الغرب وقبوله، فالغرب في حاجة للشّرق رغم تفوّقه.

بدر شاكر السيّاب:

شاب عراقي ذاع صيته في مجال الشعر، متواضع، عاش أوضاعًا مزرية، أمّا عن مظهره فقد كان وسيمًا ذو بنية جسدية قوية، حيث يصف فرانتس فيقول: "كان الشاعر ذو الوجه الجميل الذي يميل إلى الطول قد قضى فترة في إيران خلال عام 1952".[1]

« Le poète à la longue figure était passé en Iran en 1952».[2]

أمّا عن **الجانب الاجتماعي** فقد كان فقيرا ذو حال ميسور، ينخر المرض جسده، والذي أثّرت حالته في فرانتس فيقول: "...شاعر البصرة المسكين الذي تاه في أغوار الأسى والمرض".[3]

« Le pauvre poète de Bassora, perdu dans la mélancolie et la maladie ».[4]

ثم يضيف مشبهًا حالته بحالة بدر شاكر السياب: "كالعراقي السياب الذي أثر في كثيرا مصيره وأنا في دمشق".[5]

« Comme Sayyab l'Irakien, Sayyab dont le sort me touchait tant à Damas».[6]

[1]– البوصلة، ص300.

[2] – Mathias Enard, *Boussole*, p.162.

[3]– البوصلة، ص.204

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.111.

[5]– البوصلة، ص204.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.111.

أمّا **الجانب النّفسي** لسلوكه فقد كان ذو أخلاق حميدة، يقول فرانتس: "في حين أن السيّاب كان متواضعًا إلى أقصى الحدود".[1]

« Là où Sayyab avait été modeste jusqu'au bout».[2]

إلاّ أنّ نهايته كانت مؤلمة، حيث يصفه فرانتس: "ذاك العراقي ذو الوجه الدّميم والأذنين العملاقتين النائيتين، الذي مات فقيرا وحيدا متألما في الكويت".[3]

« L'Irakien au visage si pauvre, les oreilles démesurées et décollées, mort dans la misère, la solitude et la douleur à Koweït ».[4]

تمثّل حالة **شخصية الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب** في بعده الدلالي، حال الشّرق الجريح المنطوي على نفسه، بعدما كان متربعا على عرش الشعوب، أصبح اليوم يعاني في صمت وحيدا، فقد استنزفت ثرواته المعرفية والباطنية من طرف الغرب، والأدهى من ذلك أمسى الشّرق محل شفقة من الغرب بتعاطفه ومواساته.

حسن:

شاب جامعي من سوريا متعدّد المواهب، جميل المظهر ذو شعر بني. حيث يصفه فرانز فيقول: "الرّجل المتعدّد الوظيفة (عشرون سنة، مضحك بعض الشيء نشيط وخفيف الظّل من أكراد القامشلي".[5]

[1]– البوصلة، ص301.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.163.

[3]– البوصلة، ص 209.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.114.

[5]– البوصلة، ص154.

« L'homme à tout faire (vingt ans, plutôt drôle, vif et agréable, kurde originaire de Qamishli».[1]

وبينما **حسن** جالس أرضا عند قدمي بيلغر، يصفه فرانز وبعض القطرات من الويسكي تسقط على "الشعر البني للشاب السّوري".[2]

« Les cheveux bruns du Syrien».[3]

حسن شاب سوري جامعي في بلده الغني بالثروات الباطنية، إذ تحمل الأرض في جوفها الكثير من الحفريات كونها مهد الحضارات، إلاّ أنّه فقير يعمل خادما عند بيلغر في منزله ومرشدا له في عمليات التنقيب، قصد توفير حاجياته في الجامعة، رغم ما حيك عنه عنه وعن بيلغر ووصفه على بأنّه الفتى المطيع.

تمثّل **شخصية حسن** الشرق المتخلّف الذي يعيش تابعا لهيمنة وسيطرة الغرب المتقدّم، والذي يتحكّم في شؤونه الداخلية، يملي عليه القيام به، كما تخلّص الكاتب من الصورة النمطية لذكورة الأنا وأنوثة الآخر، ليجعل من حسن (الشرق) الذكر الراضخ لرغبات بيلغر(الغرب) الشهوانية، وإن فنّدت بعد ذلك حسب فرانتس، وهذا التفنيد من فرانتس إشارة من الكاتب لطمس الصورة التخييلية السّلبية عن الشّرق الشّهواني.

وجاء أيضا في وصف بعض ملامح الشخصيات الثانوية التي ترمز للشرق نذكر بلدانهم:

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.85.

[2]– البوصلة، ص156.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.86.

الملمح						
	العمر	المظهر	البلد	الديانة	السلوك	المستوى العلمي
الشخصيات	شباب	قوة البنية الجسمانية	سوريا	الإسلام	طيبون متقنون للعمل	شهادات جامعية دون توظيف
	الشاب البدوي	أسمر البشرة	سوريا	الإسلام	وقح متجسس	
	مجموعة من النساء		سوريا	الإسلام	طيبات كريمات	

	الشيخ البدوي		سوريا	الإسلام	كريم حواري	

اختار الكاتب صفات بشرية لتشكّل صورة الشّرق، وتَمثّل ذلك في صورة الشّباب السّوري الذي اتّسم بالقوّة والأمانة في إتقانه العمل، فيقول فرانز ريتر عن إشرافهم "على عمّال سوريّين – مغاوير الحق فنّانون في استخدام الرّفش".[1]

« D'ouvriers syriens, véritables artistes de la pelle, et leur indiquer où et comment ils devaient creuser le sable ».[2]

إضافة **للأوضاع الاجتماعية** المزرية التي يعيشونها، فقد اختار كثير من السّوريين العمل عند المستشرقين من أجل شهادات خبرة، رغم بلدهم الزاخر بالثروات، فقد كانوا " ينقّبون في الأرض تحت أوامر علماء فرنسيون وألمان وإسبان وإيطاليين، أكبرهم لم يبلغ **الثلاثين** بعد، لا **يتقاضون رواتب في أغلب الأحيان**، قدموا **لاكتساب خبرة ميدانية** على إحدى تلال بادية الشام".[3]

[1]– البوصلة، ص 69.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.39.

[3]– البوصلة، ص69.

« Grattaient la terre sous les ordres de savants français, allemands, espagnols ou italiens dont beaucoup n'avaient pas trente ans et venaient, gratuitement le plus souvent, profiter d'une expérience de terrain sur un des tells du désert syrien».[1]

أمّا عن المظاهر الخارجية للبدو، ذوي البشرة السّمراء حيث تصف سارة **العربي** الذي كان يراقبها في الخلاء "ثمّة **بدويّا شديد السّمرة**، يقف مكتوف اليدين من دون أي تعبير على وجهه".[2]

« Debout, les bras croisés, le visage inexpressif».[3]

وعن **نساء البدو فمظهرهم** زيّنه اللّباس المحتشم "نساء يرتدين عباءات طويلة وداكنة تزيّنها تطريزات".[4]

« Les femmes, dans leurs longues robes sombres rehaussées de broderies».[5]

ويصف فرانتس **نسيم خانم**، التي أزالت الفناجين والصّحون من المائدة، وهم مجتمعون: "كانت ترتدي حجابا أزرقا داكنا مربوطا بإحكام تحت الذقن وقميصا رماديا مزركشا بالبنّي".[6]

« Elle portait un roupouch bleu foncé noué fort sous le menton, une blouse grise à motifs bruns».[7]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.39.

[2]– البوصلة، ص168.

[3]– Mathias Enard, Boussole, p.92.

[4]– البوصلة، ص238.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.129.

[6]– البوصلة، ص418.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.230.

وعن كرم الشرق المعروف يقول فرانتس: "وأن لا أمل في ذلك قبل حلول الليل: وعملا بأعرق الأصول البدوية، دعونا لبيت في خيمتهم الوداء لم نكن الضيوف الوحيدين: كان سبقنا إلى "الصالون" بائع جوال غريب".[1]

« Que nous ne l'atteindrions jamais avant la nuit : ils nous avaient invités à dormir sous leur tente noire, dans la plus grande tradition bédouine. Nous n'étions pas les seuls invités : installé dans le "salon" se trouvait déjà un étrange colporteur».[2]

وعن الجانب الدّيني، فهم من أشدّ النّاس حرصًا على مواقيت الصلاة حيث يقول فرانتس: "كانت الخامسة صباحًا، نهضت بدوري كانت النساء منهمكات أمام الخيمة، فوجهن إلي المادة خاطفة كان البائع الجوال يتوضأ بتقشف مستعينا بإبريق من البلاستيك الأزرق".[3]

« Il était 5 heures du matin. Je me suis levé à mon tour ; les femmes s'affairaient devant la tente, elles m'ont adressé un petit signe de la main. Le colporteur faisait ses ablutions parcimonieusement, avec une aiguière en plastique bleu».[4]

وكان هذا في وقت صلاة الفجر، فالكلّ قد استيقظ مما أيقظه. "علي أن أبتاع منبها على شكل جامع مثل الذي كان يملكه بيلغر في دمشق، منبها على شكل المسجد النبوي أو المسجد الأقصى، مصنوعا من البلاستيك المذهب مع بوصلة مغروسة فيه تشير إلى اتجاه القبلة – هاهو تفوق المسلم على المسيحي".[5]

« Je devrais m'acheter un réveil-mosquée comme ceux de Bilger à Damas, mosquée de Médine ou de Jérusalem, en plastique doré, avec une petite

[1]– البوصلة، ص234.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.120.

[3]– البوصلة، ص253.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.137.

[5]– البوصلة، ص254.

boussole incorporée pour la direction de la prière – voilà la supériorité du musulman sur le chrétien».[1]

كما كان شيخ القبيلة شخصية حوارية تجمع بين الجيل الماضي والحاضر، في جعبته الكثير من القصص، فقد سرد الشيخ لفرانز وجماعته أنّ هناك مدينة أهلكها الله ببطشهم "حسب رواية الشيخ، هي آثار مدينة أحالها غضب الله خرابا، كما ورد في القرآن الكريم، كان يتكلم برهبة ويقول إن المكان ملعون وإن البدو لا يخيمون أبدا، تحت أي طرف كان".[2]

« D'après le cheikh, il s'agissait des ruines d'une des cités détruites par la colère de Dieu, comme il était écrit dans le Coran – il en parlait avec effroi, disait que l'endroit était maudit et que jamais, au grand jamais».[3]

ويعلّق فرانتس على قول الشيخ: "بقايا قلعة قديمة ومدنية ضائعة كستها عظام سكانهما الذين لقوا حتفهم وحده الله يعلم في أي كارثة رؤيا كابوسية".[4]

« Les restes d'une ancienne forteresse et d'une ville disparue, recouverts des ossements de leurs habitants, morts dans Dieu sait quelle catastrophe – vision de cauchemar».[5]

فالحوار بين الشيخ (الشرق) وفرانتس (الغرب) حوار متجسّد في إعلاء القيم النبيلة، ويشير للصلات المشتركة بينهما، ومحاولة في إرساء علاقة إيجابية، قوامها الحوار البنّاء، وفحواها التعايش السلمي.

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

[2]– البوصلة، ص ص 238–239.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.130.

[4]– البوصلة، ص239.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.130.

القدم العربية:

تقول الساحرة للشاعر لامارتين أنّ شكل قدمك تطابق شكل **رجل عربي:** "انظر، قالت له إنّ الجزء الأعلى من القدم مرتفع جدا ثمة بين الكعب والأصابع حين تلامس قدمك الأرض متسعا من المكان لكي تمر المياه من دون أن تبللك هذه قدم رجل عربي، قدم شرقية".[1]

«Voyez , dit-elle, le cou-de-pied est très élevé, il y a entre votre talon et vos doigts, quand votre pied est à terre, un espace suffisant pour que l'eau y passe sans vous mouiller – c'est le pied de l'Arabe ; c'est le pied de l'Orient ».[2]

تركيا:

من البلدان الحدودية لبلدان الغرب، والتي تأثّرت كثيرا بنمطهم المعيشي، وعليه بني النسيج التشكيلي **للصورة البشرية لتركيا (الشرق)** كالتالي:

الملمح								
	العمر	**المظهر**	**البلد**	**الديانة**	**السلوك**	**المستوى العلمي**		
	كهل		**تركيا**	**الإسلام**	**طريف حواري منفتح مع الغير**			**السائق**

[1]– البوصلة، ص182.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.100.

الشّخصيات	شابة	جميلة	تركيا	الإسلام	منحرفة			راقصة
	كهل		تركيا	الإسلام	عنيف			بوّاب لأحد المساجد

جاءت صفات الصورة البشرية لتركيا(الشّرق) مختزلة، إذ تشير ملامح الجّسد إلى الشّرق في كثرة الإشارة **للشاربين**. ففي وصف السّائق الذي أوصل سارة والموسيقى "توتّر يزيد من حدّته **شاربان خفيفان**، عبثا يحاولان تجاوز طرف الشفتين، كجيش الأتراك الذي فشل في تجاوز نهر "الراب" المشؤوم".[1]

« Accentuée par une moustache qui, claire et juvénile, cherchait à dépasser la commissure des lèvres aussi vainement que l'armée turque la Raab fatidique».[2]

[1]– البوصلة، ص55.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.31.

وبعد خروج فرانتس من المسجد نسي حذائه وأخذ يحاور أحد الأتراك وقد كان بوابا واصفه "... مع بوّاب ذي شاربين كان يخبط ذراعيه على جسده..."[1]

« Avec un concierge moustachu qui se frappait les bras contre le corps».[2]

كما يصف إحدى التركيات التي فتن بها فيقول "برفقة تركية جميلة، شعر نصف طويل، كنزة ضيقة تبرز ملامح الجسد، لونها الأحمر الفاقع يتجانس مع أحمر الشفاه، مسكرة زرقاء حول عيني حوراء من حور الجنة".[3]

« En compagnie d'une jolie Turque (cheveux mi-longs, pull moulant en coton rouge vif assorti au rouge à lèvres, maquillage bleu autour d'yeux de houri)».[4]

ثم يضيف عن التناقض بين ما جاء به الإسلام وبين ما يميّز المجتمع التركي:

كان فرانتس مندهشًا بالتناقض القائم بين اهتمام الدولة التركية وسماحها لبعض الممارسات الخادشة للحياء، منها للفرنسي فوجيه بعنوان (تنظيم الدعارة في إسطنبول خلال بداية الجمهورية. فيقول: "...أنّ سبب دهشتنا لم يكن ما في وسع هذه المدينة أن تقدمه من موارد لمواضيع دراسات كهذه، بل تعاطف الجمهورية الإسلامية المفترض مع هذا الفرع الفاحش نوعا ما في العلوم الاجتماعية".[5]

[1]– البوصلة، ص95.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.53.

[3]– البوصلة، ص77.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.43.

[5]– البوصلة، ص74.

« …que notre étonnement provenait non pas des ressources de la ville quant à une telle recherche, mais de la sympathie que pouvait accorder la République islamique à cette branche plutôt olé olé de la science».[1]

كما يصف فرانتس رحلته إلى اسطنبول متطرقًا إلى كل ما يمت بصلة للعمران الإسلامي "عندما يبرز الضوء المنحدر الجزر الأمراء" خلف قصر "توب كابي" وتخدش مآذن اسطنبول القديمة السماء برماحها، بأقلامها الرصاص لكي تخط اسم الله المئة في جوف الغيوم الناصعة".[2]

« Quand les îles aux Princes se détachent dans la lumière rasante après la pointe du Sérail et que les minarets du vieux Stamboul strient le ciel de leurs lances, de leurs crayons à papier pour écrire le centième nom de Dieu au creux de la pureté des nuées».[3]

أمّا **الحالة السلوكية** فقد كانت منهارة أخلاقيا، يغلب عليها المجون الذي حل على اسطنبول فيقول: "حولنا كان راقصون آخرون ممسكون بزجاجات بيرة، ومن خلفها كانت أنوار ضفة البوسفور الآسيوية تمتد حتى محطة حيدر باشا".[4]

« Autour de nous, d'autres danseurs, des bières à la main ; derrière elle s'étalaient les lumières de la rive asiatique du Bosphore jusqu'à la gare de Haydar Pasha».[5]

من خلال ملامح الصورة البشرية لتركيا (الشّرق) نلحظ أنّ الشخصيات تفتقد للوازع الدّيني، بسبب المجون المنتشر بكثرة في اتّباع النمط الغربي، من خلال اللّباس وتزايد عدد الحانات،

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.42.

[2]– البوصلة، ص94.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.52.

[4]– البوصلة، ص77.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.43.

ممّا يؤثّر سلبا في تأزّم الحالة النّفسية، وتردّي الروابط الاجتماعية، ما نستخلصه في وصف هذا البلد هو محاولة تجسيدتأثره بالغرب والانبهار به ومحاولة تقليده.

إيران: فكما هو معلوم فإيران تملك طاقات شبّانية لا بأس بها، ذات كثافة سكانية معتبرة.

الملمح					
	العمر	المظهر	البلد	الديانة	السلوك
الشخصيات	نساء في مقتبل العمر	– جميلات – بشرة بيضاء – شعر أسود – متحجبات	إيران	الإسلام	محتشمات راقصات
	الشباب الإيراني	كرش متهدل لحية طويلة رمادية شارب جميل	إيران	الإسلام	مدمنون للأفيون

من الجدول أعلاه نلاحظ أنّ الكاتب في تمثيله للصورة البشرية **لإيران (الشرق)** قد اعتمد على صفات خاصة، فملامح الجسد تميّزت بالجمال عند النساء، أمّا عن الفئة العمرية فتباينت بين عنصر الشباب والكهولة، وعن الديانة فالإسلام معتقد غالبية الإيرانيين، قد اتّسم السلوك عند النساء بين فئتين **الأولى** تمثّل الاحتشام في اللّباس ممّا أدّى إلى تعجّب الكاتب

حيث يقول فرانتس: "**كنّا نلمح نساء بزيّهن التقليدي على وجوههن تلك الأقنعة الجلد المزخرفة التي تحيل مظهرهن مقلقا بعض الأشياء، شخصيات شنيعة في حفلة تنكرية مريبة أو في رواية من روايات ألكسندر دومًا**".[1]

« on apercevait çà et là des femmes en tenue traditionnelle, avec le masque de cuir décoré qui leur donnait un air assez inquiétant , monstrueux personnages d'un bal masqué morbide ou d'un roman d'Alexandre Dumas».[2]

و**الثانية** في المتبرّجات اللواتي يمارسن الفاحشة، "**خاصة لون أجساد النساء أجساد بيض، شديدة البياض – أجساد لم تلفحها حرارة الشمس أبدا قد يعمي نقاؤها عيون الشهداء**".[3]

« Surtout la couleur de la chair des femmes, si blanche, si blanche – elle ne voit jamais le soleil et risquerait d'aveugler les martyrs par sa pureté».[4]

ويصف فرانتس **الفتاة الإيرانية** "عذراء" كما يلي: "كان وجهها رقيقا في غاية التناسق تنحته الظلال وكانت شفتاها بلون حبات الرمان وبشرتها بنية داكنة بعض الشيء، كانت تنبعث منها رائحة خشب الصندل والسكر الدافئ، جلدها طلسما إن مسه المرء فقد عقله، وعذوبة صوتها كفيلة بمواساة الموتى".[5]

«Elle avait un visage si harmonieux, sculpté d'ombres, fin, les lèvres couleur grains de grenade, le teint légèrement bistre ; elle exhalait le santal et le sucre tiède. Sa peau était un talisman de baume, qui faisait perdre la raison à tous ceux

[1]– البوصلة، ص297.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.160/161.

[3]– البوصلة، ص 335.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.148.

[5]– البوصلة، ص 401.

qu'elle effleurait. La douceur de sa voix était telle qu'elle aurait consolé un mort». [1]

ويضيف: "كانت ترتدي كنزة صوفية سميكة ينسدل عليها شعرها الأسود اللّمع".[2]

«Elle portait un épais pull en laine à chevrons, sur lequel brillaient ses cheveux noirs; elle ne me regarda pas dans les yeux, ni ne me serra la main».[3]

فالكاتب يشير إلى نمطين من الإيرانيين، **فئة محافظة** على خصوصيّتها الثقافية والاجتماعية، ثابتة في مقوّماتها ورافضة للنمط الغربي، و**فئة ثانية منصهرة** في النمط الغربي منحرفة في ثوابتها. بعد أن تأثّرت بفعل التلاقح الحضاري.

أمّا **الذكور** فسلوكهم يتميّز عادة بالاتّزان والعدول في التّصرفات، ويصف فرانتس أحد **الإيرانيين** المحبين لهتلر ب" **الرّجل الثلاثيني السمين ذو الشاربين**".[4]

«Moustachu d'une trentaine d'années nous a abordés».[5]

ويضيف عنه: "**مسد شاربيه الجميلين اللذين يشبهان شاربي فيلهم الثاني**".[6]

«Lissa ses belles moustaches à la Guillaume II».[7]

ويقول واصفًا أحد **الضباط في إيران**: "**مرّ أمامنا ضابط في العقد الخامس من العمر، لحية طويلة رمادية، كرش لابأس به، للسترة بزة عسكرية في منتهى النظافة...**"[1]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.220.

[2]– البوصلة، ص 410. –

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.226.

[4]– البوصلة، ص 323.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.177

[6]– البوصلة، ص 324.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.177.

« La cinquantaine, courte barbe grise, un ventre plutôt débonnaire dans une veste d'uniforme impeccable».[2]

كما يصوّر لنا سبب انحراف الشباب في تعاطيهم للأفيون؛ بسبب الأوضاع الحرجة في إيران قائلا: "**كنا في بلد مشؤوم، أرض الألم والموت، حيث كل شيء حتى شقائق النعمان، زهور الشهداء هذه، أحمر بلون الدم**".[3] وهذا ما أدى بالشباب للإقبال على الأفيون حتّى يتسنى لهم نسيان هذه المظاهر المؤلمة.

«Nous nous trouvions dans un pays maudit, territoire de la douleur et de la mort, où tout, jusqu'aux coquelicots, fleurs du martyre, était rouge de sang».[4]

[1]- البوصلة، ص 459.

[2] -Mathias Enard, *Boussole*, p.252.

[3]- البوصلة، ص82.

[4] - Mathias Enard, *Boussole*, p.87

المبحث الثاني: الصورة النّفسيّة "المعتقد"

1. صورة المعتقد الإسلامي في رواية"لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

يعدّ المعتقد أحد أهم الأسباب التي تساهم في تهذيب النّفس البشرية والتّحكم في سلوكاتها، وبالتالي إنشاء مجتمع متماسك ومترابط، قوامه الاحترام المتبادل.

ومن الأديان السّماوية الكبرى نجد الدّين الإسلامي– آخر الرسالات السّماوية– الذي جاء للبشر كافّة دون تمييز، بواسطة محمد ، والذي كان هدفه تمجيد الأخلاق الفاضلة، بألفاظ وإعجاز وقوانين ونظام يؤسس الحياة البشرية، حيث أزال الغموض الذي لفّ الكثير من النظريات، وأرسى شرعًا متكاملًا يمسّ كل المجالات بشرائحها، إذ كانت غايته نشر السّلام والمحبة، وطي عصور العنف والحرمان.

1.1. الدّين (الإسلامي)

تدور أحداث هذه الرواية في فلسطين، الأرض المشتركة بين الديانات السّماوية، والتي عرفت عبر تاريخها التّليد بالصراعات الحادّة؛ بسبب الاختلاف حول أحقية ملكية فلسطين، فالصراع في جوهره عقائدي قبل كل شيء، بين الإسلام والغرب، وقد صمد الإسلام في وجه أعدائه، رغم كل ما حيك حول من صور نمطية. و**الإسلام** في حقيقته وحدة متماسكة.

فرغم كل محاولات الغرب لاجتثاث الإسلام، سواء أكان ذلك عن طريق المستشرقين أو وسائل الإعلام، أو حتّى الحملات الصليبية، إلاّ أنّه بقي راسخا في ألباب المسلمين، إذ لا يكاد بيت من بيوتهم يخلو من المصاحف، ويتجلّى ذلك أيضا في المحافظة على الزّي الإسلامي العربي، ومداومتهم على الصلاة. وفي سلوكاتهم ومعاملاتهم مع غير المسلمين.

ومن خلال رواية "**لن أموت سدى** " **لجهاد الرّجبي**" سنحاول التطرّق لصورة الإسلام وأبعاده. كما لا علمًا بأنّ الروائية تدين بالإسلام.

2.1. قيمة الدّين عند المسلمين

تعدّدت **صور الإسلام الإيجابية** في الرواية، لنستنبط منها **قيمة ومكانة الدّين عند المسلمين،** ولتبرز حقيقة الإسلام، محاولة إسقاط التهم المنسوبة إليه، لأنّ هذا الدّين رمز وجودهم، وسبب صراعهم مع اليهود، حيث يقول وائل للعجوز هيلين: "بينما يدافع الفلسطيني في الغالب عن حقه في الحياة والموت الكريم، فيلجأ إلى الدّين لأنه رمز وجوده على أرضه..."[1]، إلاّ أنّ الإسلام في نظر الكثير من الغربيين يشكّل خطرا على منظومتهم، هذا ما تؤكّد هيلين " الإسلام يخيفهم يا عزيزي، لذلك تجمع أيديهم الراجفة".[2]، فقد تعدّدت صور الإسلام التي روّج لها المستشرقون في أبحاثهم، وفي وسائل الإعلام على أنّه دين (التّعصب، التشدّد، سلب حقوق المرأة، الإرهاب والتطرّف، تعارضه والعلم، نبذ الآخر ومعاداته...) وهذا ما يؤشر على جهل الكثيرين منهم حقيقة الإسلام هذا من جهة، حيث تقول الدكتورة هيلين الأمريكية في حوارها مع وائل "الإسلام يتعرض لكثير من التشويه عندنا ! وأنتم لا تتحركون ! بل أنتم إحدى أدوات التشويه".[3]

وتواصل مندهشة من **وقوف المسلم ساكنًا تّجاه ما لفّق عن معتقده:** "ألا يثير دهشتكم أن يهاجم الإسلام..."[4]

[1]– لن أموت سدّى، ص 87.
[2]– المرجع نفسه، ص 144.
[3]– نفسه، ص 143.
[4]– نفسه، ص 144.

ومن جهة أخرى جعل هذا الجمود الفكري من الشّرق منه حبيس الانطواء، فالغرب بانفتاحه على الشرق أدرك عظمة هذا الدّين، ممّا أسهم في سعة ثقافته وتقدّمه العلمي، هذا ما يعكسه **تفوّق ثقافة هيلين (الغرب) على وائل (الشرق) حول الإسلام** حيث" حدّق في وجهها، ضحك فجأةً، ثم قال وهو يشير إليها:

- أنت مسلمة أكثر مني !
- فأجابت وهي تهرب بنظراتها منه:
- أنا مسيحيّة، ولكنّي أعتقد أن المسلم رجل مؤمن، ولا شكّ أنّ محمداً لم يكن رجلاً عادياً... وربما كان رسولاً من عند الرّب...لا بالتأكيد كان رسولاً من عند الرّب !!
- ربّما أنا في طريقي إلا الإسلام... ولكن شيء ما يجعلني أتوقّف أكثر من مرة... ربما أولادي! ».[1]

يشتدّ غيض وائل، وينفذ صبره محملا الغرب مسؤولية الألم والحرمان، الذي أصاب الشّرق، بظنّهم أنّ الإسلام سيحكم العالم مرة أخرى، لتعترف قائلة "أرجوك... لست (البابا)... وأنا مسلم... وأعرف أن الخوف والحقد اللّذان جعل الغربيين لا ينظرون إلى الإسلام بأبعد من أنوفهم..."[2]

فالإسلام لا يتصادم مع الفكر المنطقي للإنسان ومنظومته، بقدر ما يشكّل نظام حياة متكامل، وهذا ما ترمي إليه هيلين في قولها: "النظام الذي تعيش فيه الكائنات الحية وغير الحية بإرادة الرّب، ولابّد أن يوازيه نظام منطقي للحياة البشريّة، وتكون إرادة الإنسان فيه امتداداً لإرادة الرّب وحكمته...لهذا لم يقع الإسلام في شرك التناقض مع الحياة، بل كان

[1]– لن أموت سدّى، ص 59.

[2]– المرجع نفسه، ص 59.

باعثًا لطاقاتها ومنظمًا للعلاقات فيها، وذلك ما يسمّيه المسلمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..."[1]

3.1. جهل المسلم عظمة دينه

وتُبرز الكاتبة **العقلية الانهزامية** من خلال جهل المسلم حقيقة دينه، وأبسط مثال تورده جهله الكثير من الكلمات التي يردّدها في كلّ صلاة، والتي لا يستسيغها إطلاقا، في المقابل **عقلية الغرب المتّزنة** في فك شفرات كل ما يريبه، ويتجلّى ذلك في سردها لحادثة وقعت لها في مصر: "عندما كنت في مصر، سمعت أحد الدروس الدينية، وكنت حديثة عهد باللغة والناس، فكان كل شيء يشدني إلى عالم التأمل بشكل المآذن، **وصوت الآذان**، الكلمات التي لا تجد صعوبة بالتسلل إلى أعماقك، عندما سمعت كلمة (الله أكبر) سألت عن معناها فأجابني وقد استغرقه الأمر وقتاً طويلاً من التفكير "إنّها تعني أنّ الله قوة لا تهزم"[2] ثمّ تتساءل عن ترديد المسلم لكلمات، وهو لا يعي معناها العظيم "لا تفكروا كثيراً في هذه الكلمات، تردّدونها في صلاتكم، وقد تستخدمونها في أحاديثكم، دون أن تشعروا بعمق معناها..."[3] لتضع وائل في موقف حرج، بل وتدافع عن دين غير دينها، ما يدلّ على **اعتراف هيلين(الغرب) بالآخر(الشرق)**، فتقدّم تصورها عن الإسلام: "إنّ دينا يعبّر عن عمق الإيمان بكلمات بسيطة وحقيقية لا يمكن أن يكون إلا من عند الله، فالله أقدر على التعبير عن نفسه وعنا، لأننا نحسه ولا نراه".[4]

يوجّه وائل سؤالًا لهيلين: "– لماذا لا تعتنقين الإسلام؟.

[1]– لن أموت سدّى، ص 143.
[2]– المرجع نفسه، ص71.
[3]– نفسه، ص 71.
[4]– نفسه، ص 73.

– سأخبرك سرًا...أنا مسلمة في قلبي... ولن أتخلى عن هذا الإيمان".[1]

تحاول الكاتب الإشارة إلى قضية حسّاسة؛ فالغرب رغم معرفة الكثير من قساوستهم حقيقة الإسلام، لكنّه يجحد ذلك، فالأمر يتعلّق بالاستعلاء والتكبّر.

4.1. القرآن

ولينتقل الحوار بين وائل وهيلين إلى **أهمية القران** وقيمه الإنسانيّة، وبلاغته النحويّة والصّرفية، فتقول هيلين: "سمعته يقول: دليلك للإيمان بالله، ألا تؤمن مكره، أو تقنط من رحمته!...»

«وقد نصحني العديد من الأصدقاء بقراءة القرآن لأمسك اللغة من ناصيتها".[2]

القرآن أحد مقوّمات المسلم، فهو كلام اللّه المنزّل على النبي، وهو سلاح المؤمن العاقل لما يحمل في طيّاته من قيم إنسانية، جاء جامعا لكل انشغالات الإنسان، تقول هيلين: "لابد أن يكون هناك مرجع ثابت، يعودون إليه حين يختلفون على فكرة ما، فكان القرآن..."[3] كما نلمس أهميته من خلال المكانة العظيمة له، فهذا جدّ وائل ينصحه بأن لا يفارق القرآن "اقرأ كتاب الله، عدني ألا تهجر كتاب الله يا ولدي".[4] إضافة لتقديم علي مصحفا لأخيه الأكبر وائل "وهو يضع في يد وائل (مصحفاً) صغيرًا ويقبّله بحزن.

–أبق هذا معك، فلربّما أرجعك.

–أمازلت تواظب على الصلاة في المسجد؟

[1]– لن أموت سدّى، ص 139.
[2]– المرجع نفسه، ص 72–73.
[3]– نفسه، ص 143.
[4]– نفسه، ص 111.

– الأسماك لا تترك البحر".[1] وهذا يدلّ على مدى **تمسّك المسلم بدينه.**

كما أنّ المسلم المتشبّث بهويّته القومية، يحفظ الكثير من الآيات القرآنية دون وعيّ منه، ويتّضح ذلك في شخصية وائل الذي"... اكتشف أنّه يحفظ قدرا كبيرا من القرآن دون أن يدري! قدرًا يجعله أكثر استعدادًا للصمود!"[2]

ويظهر **تمسّك المسلم بالقرآن** في شخصية "علي الذي يقضي معظم وقته في حفظ القرآن".[3]

و**القرآن شفاء للروح** قبل الجسد حسب الرّوائية، فيه راحة نفسية عجيبة، كيف لا وهو كلام اللّه عزّ وجل، فنجد هيلين (الغرب) المسيحية تقرأ القرآن؛ قصد التغلّب على أحزانها وهمومها "...اعتقادي بحتمية استقبال أحزان جديدة بفقدان ولدي جعلني أقرأ القرآن يا عزيزي، رغم أني مسيحية".[4] **تأثّرت الفتاة بالقرآن الكريم** إلى حدّ الانصهار، لتطلق **اسم نور** على ابنتها، تيمّنا بورود هذه اللّفظة في القرآن الكريم "...ولكنّي عندما سمعت عبد الله (زوج هدى) يقول في صلاته: إنّ الله نور السموات والأرض أحسست أن طفلتي ستكون نوراً لقلبي!!"[5]

ليؤكّد وائل أنّ الإنسان في **حاجة دائمة للزاد الرّوحي،** والعودة إلى كنف الخالق كلّ ما أحسّ باليأس والقنوط، "عندما يشتد إحساس الإنسان بالضعف يحس بقرب الله منه !"[6]

[1]– لن أموت سدّى، ص 13.
[2]– المرجع نفسه، ص 67.
[3]– نفسه، ص 67.
[4]– نفسه، ص 70.
[5]– نفسه، ص 46.
[6]– نفسه، ص 69.

5.1. صوت الآذان

وتضيف هيلين عن **صوت الآذان** الذي كان بلسما لألمها: "عندما اشتد بي الألم، وظنّ الطبيب أني سأخرج للدنيا طفلي كان صوت المؤذن ينادي لصلاة الفجر، لن أنسى تلك الكلمات ما حييت كنت أصرخ من الألم والخوف، بينما تطلب هدى مني أن أستمع للآذان حتى يخف ألمي".[1]

الشهادة في سبيل اللّه شرف لكل مسلم:

إيمان الإنسان المسلم يحول بينه وبين **خوفه من الموت**، مادام يسلّم أمره لخالقه، وهو على يقين بأنّ الرّوح المؤمنة ملاذها الأخير الجنّة، حيث يدور حوار بين ضابط في مخابرات الاحتلال الصهيوني، يحاول إثارة الرّعب والهلع مهدّدًا بقتل وائل؛ بغية أن يعترف بمعلومات عن الانتفاضة الفلسطينيّة "... فأنا لا أريد أن تموت !

الموت والحياة بيد الله."

"الله في قلبي، ولذلك أنا لا أخافك".[2]

6.1. صورة المرأة في الإسلام:

لقد أقرّ الإسلام بكون المرأة "مخلوق آدمي له كرامته، كما كرم الجنس الآدمي كله، فهي أيضا خلقت من آدم، قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم".[3] قال تعالى: "يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى".[1]

[1]– لن أموت سدّى، ص 46.
[2]– المرجع السّابق، ص 75.
[3]– [الإسراء الآية: 70].

ومن صور الإسلام التي أوردتها الكاتبة **إحسانه للمرأة**، فقد قدّم لها حقوقا وواجبات لم تكن لمثيلاتها في المعتقدات الأخرى، فرفع مكانتها، وأعزّ شرفها، وحفظ كرامتها، بعدما كانت جسدًا لا يرجى منه إلّا إشباع النزوات والغرائز: "فالواقع أنّ هناك بعض التشريعات التي أعطت المرأة مزايا تمتّعت بها قديما.

وهذا ما تؤكده **هيلين**: "**معلوماتي تقول: إنّ الإسلام سمح بذلك، لكنّه لم يدع إليه فحسب بل أحاطه بالشروط التي تكفل الحفاظ على حياة المرأة وكرامتها... أنت عربي مسلم، وهذا يعني أنّك تعرف أكثر مني في هذه الأمور**".[2]

استفاد الغرب من الإسلام كثيرا؛ لأنّه نهج حياة في بناء مجتمع متماسك، أساسه العدل، فالطّلاق على سبيل المثال أحد الحقوق التي جاء بها الإسلام للمرأة، وهذا ما مارسه الغرب، كحلٍّ بديل للأزمات العائلية الكثيرة بين الزوجين، حيث تعترف **هيلين** لوائل قائلة: "الإسلام قدّم الحلّ المثالي للمرأة، حين أحلّ لها الطلاق، أنا لا أنكر أننا استفدنا الكثير من الحضارة الإسلامية".[3] فالرّجل في احتياج دائم للمرأة. ولعلّ هذا ما جاء قي القرآن: "هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ".[4]

[1]– [الحجرات الآية :13].

[2]- لن أموت سدى، 59.

[3]– المرجع نفسه، ص 56.

[4]– البقرة: 187.

2. صورة المعتقد الإسلامي في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

لقد عرفت الأديان في تجربتها التاريخية حركة مثاقفة وحوار كبيرين، وقدّم الإسلام في تجربته عبر 15 خمسة عشر قرنا، حوارا ثريا مع الديانات والفلسفات والثقافات الأخرى، مع أتباعها وطوائفها وشعوبها، وكان الاختلاف عامل إثراء وإبداع على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والأدبية".[1]

وتشكّل خاصيّة الإسلام في نظر سيّد قطب أنّه: "عقيدة ضخمة جادّة فاعلية خالقة منشئة، تملأ فراغ النّفس والحياة، وتستنفذ الطاقة البشريّة في الشعور والعمل، في الوجدان والحركة، فلا تبقي فيها فراغاً للقلق والحيرة، ولا للتأمّل الضائع الذي لا ينشأ سوى الصور والتأمّلات".[2]

1.2. روحانيّة المساجد

يحاول الكاتب الإشارة إلى السّكون والرّاحة النفسية الكبيرة، التي تعتري الإنسان بمجرّد ولوجه المسجد، إحساس لا يعرف سببه لأنّ البطل **فرانتس** مسيحي، يصف هذا المكان الذي غمر روحه فيقول "... وولجت قاعة الصلاة، ضيق في الصدر، إحساس بالضياع".[3]

«… et pénétrée la salle de prière, un serrement de poitrine, une perte de repères».[4]

هذا المكان الذي فيه يتضاعف حزن الإنسان وآلامه، جرّاء ما فرّط فيه، في دنيا ماديّة فانية، بل ويدرك معنى الوجود فيقول **فرانتس:** "يغمرني حزن شديد، فجأة، إحساس بالفقدان، رؤيا قاتمة في واقع الدنيا وجميع عيوبها، جميع آلامها، حزن يضاعف من حدّته بهاء، وكمال

[1]– يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي "الفرص والتّحديات"، ص 12.

[2]– مرجع سابق، سيّد قطب، العدالة الاجتماعيّة في الإسلام، ص 206.

[3]– البوصلة، ص 94.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.52.

المسجد، وتحضرني جملة، وحده التناسب بين الأشياء إلهي، أمّا ما تبقى فمن صنيع البشر".[1]

«Une grande tristesse m'étreint, soudain, une perte, une sinistre vision de la réalité du monde et de toute son imperfection, sa douleur, tristesse accentuée par la perfection du bâtiment et une phrase me vient, seule les proportions sont divines, le reste appartient aux hommes».[2]

ويصف لنا إحساسه وهو داخل المسجد وحتّى بعد خروجه: "ثم يستحوذ علي سكون عميق، سكون مفجع، ذروة بالكاد ألمحها".[3]

« Puis c'est un grand calme qui me prend, un calme déchirant, un sommet entrevu».[4]

استدلال فرانز بأبيات للخيام عن الخشوع في المساجد والإحساس الذي يغمر الإنسان فيذكر بشيء من رباعيات الخيام:

"إذا ما أتينا خاشعين لمسجد فلم نأت نقضي للصلاة فروضها

ولكن سرقنا منه سجادة ومن عراها البلى جئنا لكي نستعيضها"[5]

«Je suis allé à la mosquée, j'y ai volé un tapis.

Bien plus tard, je me suis repenti,

[1]– البوصلة، ص 95.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.53.

[3]– البوصلة، ص95.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.53.

[5]– البوصلة، ص 96.

Je suis retourné à la mosquée : le tapis était usé,

Il fallait le changer».[1]

يواصل فرانتس التعريف بأسماء المساجد –رموز دينية– منها ما زاره ومنها ما ينوي زيارته "كان قد سبق لي أن دخلت مساجد عدة من قبل، إلى آيا صوفيا وإلى الجامع الأزرق، كما أنني سأرى لاحقا مساجد أخرى، في دمشق، في حلب، وحتّى في أصفهان".[2]

«Je suis déjà entré dans plusieurs mosquées, Sainte-Sophie, la Mosquée bleue, et j'en verrai d'autres, à Damas, à Alep, à Ispahan même».[3]

2.2. الآذان

صوت الآذان، صوت يتخطّى الأصوات الأخرى في مخاطبته للوجدان، وفي أثره على النّفس البشريّة. يقول فرانتس: "أذكر بدقّة جملا اعتصر لها قلبي وجعتني أذرف الدموع، يختلف النشيد المهيب هذا عن جميع الأناشيد البشرية الأخرى".[4]

«Je me rappelle précisément de phrases qui m'avaient serré la poitrine et mis des larmes dans les yeux : "Cet ensemble sonore et solennel est différent de tous les autres chants humains».[5]

"وأوّل آذان يصدح في باريس: إنّ ما نسمعه في هذه الساعة المبكّرة هو صوت المؤذن".[6]

«Le premier appel à la prière musulmane qui retentisse à Paris : "C'est à cette heure matinale, la voix du muezzin que nous entendons ».[7]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.53.

[2]– البوصلة، ص 94.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.52.

[4]– البوصلة، ص 211.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

[6]– البوصلة، ص163.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.90.

فالغرب متشرّب بثقافة الاطّلاع، والانفتاح على الآخر، بل يميّز موقفه الانبهار في غالب الأحيان، حتّى ولو تعلّق بمعتقد مخالف لمعتقده، فهو دائم البحث عن كل ما يثير حفيظته، ففرانتس المسيحي مثلًا يحاول جاهدا معرفة نداء الآذان الذي يعلو كل المآذن، ومعنى كلمة " اللّه أكبر"، حيث يقول: "بدأت أشعر بأن لجميع نزهاتي هدفا واحدا لا ثاني له، محاولة فهم معنى هذا النداء...معنى هذا الآذان هذه الكلمة "الله أكبر"، التي تصرح بها كل مآذن العالم منذ زمن الرّسول".[1]

« Je commence à ressentir que toutes mes randonnées n'ont jamais eu qu'une signification : chercher à saisir le sens de cet appel…" Le sens de l'appel à la prière, de cet Allah akbar modulé au sommet de tous les minarets du monde depuis l'âge du Prophète».[2]

ويضيف فرانسس عن الآذان الذي بسببه أسلم الكثير من المسيحيين، وتغيّروا جذريا في سلوكاتهم ونمط عيشهم "النشيد ذاته الذي سحر فيليسان دافيد أو ابن بلدي ليو بولد فايس إلى حد أنه قلب رأسا على عقب حياة كل منهما".[3]

« Cette voix, ce chant qui avait fasciné Félicien David ou ce Leopold Weiss mon compatriote jusqu'à transformer leur vie».[4]

3.2. الإسلام وحقيقة التطرّف

جُبل الإنسان على الفطرة الإنسانية القائمة على قبول الآخر مهما كان اختلافه، إلاّ أنّ السّلم والوعي غابا عن كثير من الجماعات المتعصّبة في علاقتها مع الآخر، فحاولت إلغاءه وفرض قيود للسيطرة عليه، وما أسّس فكرا متصلّبا، باسم الدّين تقتل وتعتدي على معتقدات

[1]– البوصلة، ص 211–212.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

[3]– البوصلة، ص 212.

[4] – Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

الغير دون مبرّر، **وكما يشاع الإرهاب لا دين له،** ففي كل الشعوب نجد جماعات مجنونة، شعارها نبذ الآخر المختلف، هذه الجماعات تتحلّى بالعنف والعدوانيّة، ما جعل الغرب لعصور طويلة يربط الإسلام بالتطرّف والتشدّد، فهل لا تزال هذه الصور النمطية تساير الغرب؟

في حديث فرانس ريتر عن مدينة **الرّقة السوريّة،** فقد تطرّق إلى شكل وبطش **عصابة تنظيم الدولة الإسلامية.** يقول: "فالسفّاحون الملتحون يسرحون فيها ويمرحون على هواهم، يقطعون شرايين رقاب من هنا، وأيادي من هناك، يحرقون الكنائس ويغتصبون الكفار في أوقات فراغهم، تقاليد "قديمة جدا" يبدوا أنّ الجنون قد استبد بالمنطقة، جنون ربّما لا شفاء منه".[1]

«Les égorgeurs barbus s'en donnent à cœur joie, tranchent des carotides par-ci, des mains par-là, brûlent des églises et violent des infidèles à loisir, des mœurs qadim jiddan, la démence semble avoir pris la région, peut-être tout aussi incurable».[2]

ويقصد بأنّها تقاليد قديمة إشارة منه للإرهاب الدموي في كل أصقاع الأرض، منها بعض من الجماعات المتطرّفة للحملات الصليبية في أفريقيا، جماعات بوكو حرام في مالي، البوذيون ضد مسلمي بورما...

كما برّأ الإسلام من أفعال هؤلاء الفرقة الذين أساؤوا للإسلام، فقد بلغ جنونهم حدّ تحطيم كل ما يمد بصلة للآخر، فحتّى الآلات الموسيقية –أحد وسائل اللقاء الثقافي بين الشرق والغرب– لم تسلم، وما من صورة تعبّر عن المعركة التي "يشنّها الجهاديون على تاريخ

[1]– البوصلة، ص 72.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.41.

الحضارة الإسلامية نفسها، أكثر من مشهد هؤلاء البائسين، في لباسهم الحربي، على قطعة أرضهم الصّحراوية الصغيرة، وهم يصبّون نار غضبهم على آلات موسيقيّة عسكريّة حزينة يجهلون مصدرها".[1]

« Bataille que les djihadistes livrent en réalité contre l'histoire de l'Islam que ces pauvres types en treillis, dans leur bout de désert, en train de s'acharner sur de tristes instruments martiaux dont ils ignorent la provenance ».[2]

ويضيف فرانتس: "أتسائل عما كان سيكون رأي أسامة بن منقذ الباسل، بهذه الصور الهزلية لجهاديي اليوم، وهم يحرقون آلات موسيقية لأنّها لا تمت إلى الإسلام بصلة".[3]

« Je me demande ce que penserait Oussama Ibn Mounqidh le brave de ces images hilarantes de combattants du djihad d'aujourd'hui photographiés en train de brûler des instruments de musique, car non islamiques».[4]

يعدّ فرانتس خرافة **التنظيم الإسلامي** في سوريا تمويها من الغرب، لإسقاط حقيقة الإسلام، بسلب أرواح الأبرياء، باسم نصوص مغلوطة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف. " **أصحاب الرّايات السّود المنتمين إلى هذه النسخة الهزلية والمروّعة من الإسلام، إنّها قصّة أوروبية للغاية: ضحايا أوروبيون جلادون لهجتهم لندنية. إسلام متطرّف، عتيق وحديث العهد**".[5]

« C'est une histoire si européenne, finalement. Des victimes européennes, des bourreaux à l'accent londonien. Un islam radical nouveau et violent».[6]

---

[1]– البوصلة، ص ص 224–225.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.122.

[3]– البوصلة، ص 224.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.122.

[5]– البوصلة، ص 308.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.166.

بل ويستبعد فرانتس الإرهاب من دائرة **الإسلام**، حيث يعدّه حركة من حركات عالمية سبقتها وأقرب مثال إليها حملة نابليون بونابرت "**من أوّل من خطرت له فكرة الجهاد العالمي، نابليون في مصر أو ماكس فون أوبنهايم**".[1]

« Qui a eu l'idée le premier, Napoléon en Égypte ou Max von Oppenheim».[2]

4.2. اعتناق المسيحيين للإسلام

يعدّ الدّين الإسلامي أكثر المعتقدات اعتناقًا، فقد شهدت الآونة الأخيرة إقبالا كبيرًا من المسيحيين الذين أعلنوا تغيير ديانتهم للإسلام. ويقدّم الكاتب نموذجين من المستشرقين، في اعتناقهم الإسلام، الأوّل؛ قصد تحقيق أهداف شخصية لا غير، قرّرت مارغا داندوران **الذهاب إلى مكّة**؛ حتى تتتميّز عن باقي النساء المستشرقات، وتحلم بأن "تكون أوّل امرأة أوربية تحج إلى مكة".[3]

« D'être la première femme européenne à se rendre en pèlerinage à La Mecque».[4]

إعلان مارغا داندوران إسلامها، وتغيير اسمها، دلالة على طمس هويّتها، والتأثّر بالآخر حدّ الذوبان، "في بداية فترة الحج وبعد اعتناقها الإسلام بشكل رسمي ومن ثمّ زواجها في فلسطين اسمها الآن زينب".[5]

« Au début du pèlerinage, après une conversion officielle à l'islam et un mariage (compliqué) en Palestine. Elle s'appelle à présent Zeynab».[1]

[1]– البوصلة، ص 308.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.167.

[3]– البوصلة، ص 186.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.102.

[5]– البوصلة، ص 187.

ولكن بعد ذلك أطلع الطبيب المسؤول عن شؤون الهجرة مارغا داندوران بالقوانين بأنّه: "لا يمكّن شخصا أن يؤدي فريضة الحج إلا بعد انقضاء سنتين على اعتناقه الإسلام".[2]

« Requiert un délai de deux ans entre la conversion et l'admission au pèlerinage».[3]

أمّا **النموذج الثاني** ليوبولد فايس اليهودي، اعتنق الإسلام عن قناعة، دون مآرب أخرى، وانسلخ من ديانته و"الذي غير اسمه إلى محمد أسد بعد أن اعتنق الإسلام، ألمع مراسل من الشّرق الأوسط في ذاك الزمن".[4]

«Leopold Weiss de son nom musulman Muhammad Asad, le plus brillant correspondant au Moyen-Orient de son époque».[5]

وعن الدّهشة التي أصابت فرانز بعد قراءة مذكرات محمد أسد "[6] الطريق إلى مكة" إلى حدّ وصفها بالقرآن "هذا العمل المدهش الذي كنت أقرأه كأنني أقرأ القرآن".[7]

«Que je lisais comme le Coran soimême».[8]

ثم يضيف عن سعة ثقافته الدّينية والتزامه بتعاليم الإسلام التي انعكست على سلوكاته "إن كان الله في حاجة إلى وسطاء فليوبولد فارس هو إذا قديس".[1]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.102.

[2]– البوصلة، ص 187.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.102.

[4]– البوصلة، ص 211.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

[6]– البوصلة، ص 211.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

« Si Dieu a besoin d'intermédiaires alors Leopold Weiss est un saint».[2]

5.2.القرآن الكريم

تطرّق الكاتب للقرآن الذي يعترف بإعجاز نظمه وبيانه، واحتواءه قصص الشعوب التي مضت، وعن حياة الإنسان بعد الموت، ومصيره مؤمنا كان أم كافرا، وبفضل الحوار المشترك بين الشيخ(الشرق) البدوي- المتشبّع بقيم الإسلام- الذي استضاف فرانتس ومن معه (الغرب) في خيمته البسيطة، حيث يسرد لهم الكثير من القصص التي احتواها القرآن الكريم، ليصف لهم الجنّة "حيث سنرى أواني وأكواز تفيض بكل ما يمكن أن نشتهيه بكل ما قد يسحر عيوننا، حيث الأشجار مثقلة بالفواكه الطيبة، حيث سنردي ملابس حرير ناعمة، حيث سنتزوّج حور العين، حيث سنشرب كوثرا معطرا بالمسك".[3]

«Où l'on nous présentera des vases d'or et des coupes remplies de tout ce que notre goût pourra désirer, et tout ce qui charmera nos yeux, où nous aurons des fruits en abondance, dans des jardins et des sources, où nous porterons des vêtements de soie fine et de brocart, où nous aurons pour épouses des houris aux beaux yeux, où l'on nous servira à boire un nectar cacheté de musc».[4]

لينتقل فرانتس إلى قضية دينية حساسة والتي تخص **نحر الخرفان** كل عام، تيمّنا بحادثة النّبي إبراهيم، وابنه إسماعيل، الذي (رأى في المنام أنّه يذبحه فصدّق الرؤيا، وهو يهمّ في ذبح ابنه أرسل الله له كبش فداء) فيقول فرانتس مستغربا ومتعاطفا مع الخرفان: "الله هو عدو والخراف اللّدود، لأيّ سبب رهيب يا ترى، يتسائل المرء، قرّر الله لحظة التضحية استبدال

[1]-البوصلة، ص 211.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

[3]- البوصلة، ص 256.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.139.

ابن النبي ابراهيم بكبش بدلاً منه بنملة أو بوردة، فحكم على الخراف مجازر فظيعة حتى يوم القيامة".[1]

«Dieu est le grand ennemi des moutons ; on se demande pour quelle horrible raison Il choisit de remplacer, au moment du sacrifice, le fils d'Abraham par un bélier plutôt que par une fourmi ou une rose, condamnant ainsi les pauvres ovins à l'hécatombe pour les siècles des siècles».[2]

6.2. مكّة والقدس

مكة قبلة المسلمين في كلّ صلاة، ومكان مبارك يحجّون إليه بالملايين في كل عام. فيها قبر إبراهيم عليه السّلام، ومنبع ماء زمزم ، كما شهدت أحداثا دينية كثيرة حث عليها القرآن الكريم، من محاولة هدم وقمع، إلى جانب **القدس** التي تحوي المسجد الأقصى- أوّل قبلة للمسلمين- وأرض الأنبياء (لوط، إبراهيم، إسماعيل، سليمان، زكرياء، موسى وعيسى...) ورمز تعايش الأديان، إذ يحج اليهود والنصارى إليها.

ويحاول الكاتب طرح إشكالية **أهميّة مكّة** في نظر المسلم **على القدس**، في إيحاء منه إلى التفاف المسلمون حول مكة و تقديسها، في حين يتركون القدس للصهاينة، ويولون القدر مصيرها، فيعتقد الكثير منهم أن تحرّر فلسطين يعني نهاية الحياة الدّنيا. يقول فرانتس: أنّ الصراعات "والانشقاقات ما بين المسلمين الذين لا شكّ في أنّهم يعتبرون القدس أقلّ أهميّة من مكّة، إلاّ أنّها تبقى بالنسبة إليهم مكانا في غاية القداسة".[3]

«Et des schismes musulmans, musulmans pour qui Jérusalem est certes moins importante que La Mecque, mais reste un lieu très saint».[4]

[1]- البوصلة، ص 174.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.96.

[3]- البوصلة، ص 139.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.77.

مكّة هي قبلة التي تميّز كل مسلم عن الآخرين، وهي التّي تميّزنا عن الآخر في الممارسات التعبّديّة "في ألمانيا" يدسّون لك أناجيل في جوف درج المنضدة بجانب السّرير، أمّا في الفنادق الإسلامية فيلصقون لك بوصلة صغيرة على خشب السّرير، ويرسمون لك على المكتب وردة رياح تشير إلى اتّجاه مكة".[1]

«En Allemagne on vous impose les Évangiles au creux du tiroir de la table de nuit, dans les hôtels musulmans on vous colle une petite boussole contre le bois du lit, ou on vous dessine une rose des vents marquant la direction de La Mecque sur le bureau».[2]

وبهذه البوصلات المتّجهة صوب **مكّة** "لن تتوه في بلاد الإسلام حتّى أنّني رأيت سجّادات صلاة خيط فيها شكل بوصلة".[3]

« On n'est jamais perdu dans ces contrées. J'ai même vu des tapis de prière avec une petite boussole intégrée au tissage».[4]

كما ذكر الكاتب بعض الصفات المذمومة **للومتر** في خداع التجار والسّلطان في الشّرق كونه يمتلك قافلة مترفة ويصفها لهم من أجل إغوائهم" وهذا الحلم الذي حلم شرقي بالنسبة إلينا، وهو في الواقع حلم توراتي وقرآني هو شبه وصف الجنة في القرآن".[5]

«Ce rêve qui, pour nous, est un songe oriental est en fait une rêverie biblique et coranique ; il ressemble aux descriptions du Paradis du Coran».[6]

[1]– البوصلة، ص 254.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

[3]– البوصلة، ص 254.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

[5]– البوصلة، ص 256.

[6]- Mathias Enard, *Boussole*, p.139.

تعاطي قيم الإسلام الصحيحة يؤسّس جسرا للتواصل بين المعتقدات الأخرى، فالاختلاف مع الآخر لا يعني بالضرورة التصادم والعداء، وبالتالي رفضه ومحاولة إلغاءه، مادام يتعارض وتصوّراته، وهذا ما حدث بالفعل عند الكثير من المستشرقين، الذين حاولوا طمس الإسلام في محاولاتهم بتشويه جوهره الحقيقي.

فتلك النظرة الدونية عن الإسلام التي أُريد بها تمزيق أمجاده وفضائله، لم تلبث مليّا للتوارى عن كثير من العقول المهووسة بتلطيخ شرف الشرق، بعدما اختزلت صورة الإسلام في دعوته للإرهاب والعداء الدّائم لكل من يخالف معتقده، ولا ننكر أنّ العقل الغربي **اليوم** بعد صحوته واحتكاكه بالشرق، يصبو لمصافحته وطي الماضي، فقد جدّد الكاتب لهذا رؤية حوارية بنّاءة قصد التعايش السّلمي، **انطلاقًا من تصحيحه عدّة مفاهيم نمطية عالقة في ذهن الغرب.**

المبحث الثالث: الصّورة الاجتماعية للشّرق

1. صورة الأحوال الاجتماعيّة للشّرق

1.1. صورة الأحوال الاجتماعيّة للشّرق في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

تعدّدت التّعريفات التي تناولت مصطلح **المجتمع**، بحيث لا يوجد تعريف موحّد وشامل لمفهومه، ومن هذه التعريفات ما يلي:

"... المجتمع مكوّن من أفراد، وصلات اجتماعية يحدّدها العرف، وقوانين مرسومة، وأنظمة متبعة، وسلطة تسير أمور المجتمع، وفوق هذا كلّه وأهمّ من هذا كلّه الشعور بالانتماء إلى هيأة واحدة اجتماعية وجماعة واحدة، وعقيدة يشترك جميع الأفراد في احترامها والحفاظ عليها والدّفاع عنها".[1]

أمّا **المجتمع الإسلامي** فهو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى: "بنظمه الخاصة وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة ويتوجّهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعدّدة وألسنة متباينة خصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة".[2]

من خلال دراستنا للرواية يتسنّى لنا ملاحظة **التركيبة الاجتماعية وأبعادها، بتنوع صورها.**

1.1.1. الأوضاع المادّية

شهد الشّرق حروبا دامية، امتدّت لعقود، لتليها الضربات الصّليبية بشتّى أشكالها، ما جعل الشّرق يقبع في مذيلة دول العالم الثالث، جرّاء استنزاف كنوزه المعرفية والطبيعيّة، لينتج

[1]– محمد أمين المصري، **المجتمع الإسلامي**، مرجع سابق، ص17.

[2]– المرجع نفسه، ص17.

عن ذلك مجتمع منطوي، يعيش على أمجاد الماضي، يسيطر عليه الأسى والحرمان، والخوف الدائم من المستقبل، ويسبح في الفقر المدقع؛ نتيجة استغلال الأنظمة الحكومية الوقت الراهن، لتبثّ الحزن في أواسط الشباب، بل وتقمع طاقاته وتحطّم آماله ليعاني الاغتراب المكاني والزماني، ويفكّر بوطن بديل يحتضن أحلامه، وهذا ما يدفعه للهجرة غير الشرعية، وحاله كحال للكثير من أبطال الروايات العربيّة المعاصرة، والتي يتماثل وضعها مع وائل، بطل روايتنا "**لن أموت سيدي**" **لجهاد الرّجبي**.

فلسطين عيّنة من بلدان الشرق الذي أُنتهكت حقوقه وسُلبت خيراته، سواء أكان ذلك بفعل الاحتلال أم بالظلم المستبّد للنظام الديكتاتوري، ما يدعو بمئات الشباب للتفكير في **الهجرة** صوب الغرب، يعمل **وائل ليعيل عائلته الفقيرة**، حيث يحاول تقديم المال الذي جمعه لأمّه قبل أن يهاجر، لترفض أمّه بعدما علمت بنيّته، بعدما وعدته جين بمستقبل أفضل بأمريكا **"احتفظي بهذا المال...سيهدأ كل شيء، ولن تجدي غير هذا منقذاً لك...أنت أشدّ أبنائي فقراً يا وائل.**

– السيد (إدوارد) وعدني بمستقبل باهر، بنقود تملأ جيوب الفارغة».

أنا كالسماء يا أمي أريد أن أغتسل من أحلامكم المستحيلة، أريد أن أكون أنا، فقط أنا... عليك أن تفهمي هذا الزمن عليك أن تفهمي لم يعد هذا الوطن لنا، لم يعد يعترف بجراحنا...

– دعك من هذه الكلمات وقل لي كم تملك من جيوب فارغة؟

– الكثير...والكثير من الرجولة.

- **الرجولة؟! أتراك تطعم أسرتك الجائعة تلك الكلمات؟ أم تعيد الحياة لأبيك الذي مات حزناً على أخيك السجين؟"**[1] وهو حال الكثير من بلدان الشّرق التي تعاني من الفقر الشّديد.

حتّى الخائن سالم الفتوح يتضرّع بالنصيحة لوائل علّه يتراجع عن فكرة الهجرة، بتذكيره بما سيتركه ذلك من فراغ عاطفي ومادي لأهله، حيث يقول: **"أهلك يواجهون ظروفاً صعبة، فأمك مريضة كما تعلم، ولم تعد قوية كما كانت، وعمك يحاول إرغام أختك حياة على الزواج من ولده السِّكِّير، فعليُّ مازال صغيرًا، ولا يمكن الاعتماد عليه".**[2]

وتُبرز الروائية **حالة خريجي الجامعات في الشرق،** والذين يحالون مباشرة إلى البطالة والتهميش، ليجد الخريج الجامعي نفسه أمام واقع مغاير لتصوّراته وتطلّعاته، وهذه نقطة حسّاسة دائما ما يستغلّها الغرب لاحتواء الأدمغة بتوفير متطلباتهم، وهذا ما يمثله حوار وائل مع محقق الاحتلال الصهيوني، حيث يقول وائل:" **أنا مواطن عادي، أعمل في بيت السماء، منذ تخرجت، ولا أعرف شيئاً...**

- **الجامعة هي رأس الفتنة يا وائل، أتعرف لماذا؟ لأنّها تمنح الشهادة، وتترك العمل للحظ".**[3] فمحقّق الكيان الصهيوني يريد استغلال الأحوال الاجتماعية المتدهورة لشباب فلسطين، إلاّ أنّ الصّمود والإرادة في المقاومة تحول دون ذلك.

إذن الظروف الاجتماعية القاهرة **دفعت بشباب الشّرق للهجرة،** عسى أن يوفّروا حياة كريمة لذويهم، فالغرب يعدّ الملاذ الوحيد لشباب اليوم.

[1]- جهاد الرّجبي، لن أموت سدّى، ص 17.

[2]- المرجع نفسه، ص 78.

[3]- نفسه، ص63.

2.1.1. أبعاد المكان

يكتسب التمثيل المكاني في الرواية أهمية بالغة من خلال رسم معالمه، والذي يعكس الحالة الاجتماعية والاقتصادية، فقد أوضحت الكاتبة **الحياة التّعيسة للشّرق ماديًا**، من خلال وصف بيت وائل، والذي يشبه تصميمه كثيرا من نماذج بلدان الشّرق، فتقول: "**كانوا يجلسون على الأرض العارية، ساحة البث كانت متعبة من خطاهم... أحذية قديمة تكوّمت في الزّاوية تبعثرت أشياؤهم في كل مكان...**"[1]

وتضيف عن جدّ وائل وهو: "**يجلس في ساحة الدّار، الغبار يرسم الأشكال بألوان باهتة، يظهرهاعتيقة كثياب جدّه الحزين...**"[2] وهذا ما يعكس تشبّث الشّرق وثباته ببناء نفس البيوت السّالفة، وليدلّ ذلك أيضًا على تمسّك الشّرق بعاداته وتقاليده.

تشير الكاتبة إلى التناقض القائم بين الشرق والغرب، فرغم الحالة الميسورة لأسر غالبية الشّرق والحزن الذي ينهش فلذات كبده إلاّ أنّ الرّوح المرحة لا تفارقه، فقناعة ساكنيه بالموجود تلغي تطلعهم لما هو غيبي، "**ضحكة خبيثة نشرت مرحاً في الغرفة المعتّمة إلاّ من (مصباح الكاز) الذي وضع بحذر فوق سرير الأم...**"[3] إذا القناعة والرضى بالرّاهن إحدى سمات الشّرق.

من عادات الشّرق تناول الطعام في بساحة المنزل، **فطعام الشّرق** من أشهى الأكلات العالمية. "**كانوا يتناولون طعامهم في السّاحة المكشوفة للسّماء والهواء الساخن القادم من**

---

[1]- لن أموت سدّى، ص 95.

[2]- المرجع نفسه ، ص95.

[3]- نفسه، **ص 98**.

فرن البحر، يجلسون على الأرض محيطين بطيف أكبر من الأرز، توزّعت على صفحته قطع اللحم الصّغيرة..."[1]

3.1.1. الاغتراب المكاني والزماني

ساد اليأس والتخلّف والجهل الشرق؛ نتيجة القهر، والحرمان، والحروب، لينتج عن ذلك مجتمع منطوي على ذاته، يأبى الانفتاح على الآخر، إذ غدا أسيرا لأوهامه، يعيش على صدى أمجاد أجداده، بعدما كان النموذج الخالص، الذي يحتذى به في شتّى مجالات الطبّ، الاقتصاد، السياسة، التعليم... فمصر التي بلغت حضارتها مبلغا عظيما هي اليوم "**ككل العواصم تغطي وجهها وتبكي بصمت ولكنّها بلا دموع**".[2]

وتضيف الكاتبة عن **هيلين** وهي **بمصر** "**هربت من يأسها إلى الشوارع البسيطة بعمقها...**"[3] فالشوارع رغم بساطتها تحمل في طيّاتها ماض حوى الكثير من الحضارات سالفا.

فلسطين أرض الأنبياء، تغرق في جشع الاحتلال الصهيوني، حالها كحال العديد من الدول العربية اليوم، على غرار **سوريا**، **العراق**، **ليبيا**...ف"**الشوارع مرصوفة بالدّم والغبار، وأنين حارقٌ يخرج من الإسفلت عبر الدخان المسيل للدموع، بينما يحمل المسلمون الحجارة الصغيرة...**"[4]

---

[1]– لن أموت سدّى، **ص 101**.

[2]– المرجع نفسه، ص 47.

[3]– نفسه، **ص ص، 47-48.**

[4]– نفسه، ص 52.

وتضيف الكاتبة عن **الحياة الأليمة** في بعض دول الشرق كفلسطين،" **في الشوارع الفلسطينية الحزينة، تصرّ على تقنيت الأرض لتعبث فيها لون الغضب المستور بالحزن".**[1] فحسب الرّوائية كان الشرق أرضًا للسّلام والتّعايش، أضحى أرضا للدّمار والتّشرذم.

من خلال ما جاء نستنتج أنّ الكاتبة بتصويرها الواقع المعيشي لفلسطين والذي تتشارك فيه غالبية بلدان الشرق، حاولت الإشارة لحال الشعوب المستضعفة المخيّرة بين الاندماج مع الغرب تحت سلطة التبعية الكاملة في كل مناهج حياته، أو البقاء عدوا، إذ هو تعارض ومصالحه، فالأزمة التي ألمّت بالشرق حسب الكاتبة مردّها الغرب، **فالأوّل صامد ثابت** ملتفّ حول قيمه وعاداته؛ يحاول تشكيل ذاته، **والآخر متغيّر** صارم في قراره بتفكيك التركيبة الاجتماعية للشرق وحالته.

[1]– لن أموت سدى، ص 153.

2.1. الصّورة الاجتماعية للشّرق في رواية *Boussoul*e de Mathias Enard

من يُنعم النظر في مسألة المنظور الغربي للشّرق يلاحظ استطراد الكثير من المفاهيم النمطية المغلوطة، والتي لازمت الشّرق لعصور، بفضل الحوار البنّاء، فالاعتراف بالآخر خطوة لنسف الحواجز النفسية، وخطوة لمدّ يد العون، وطي زمن الصراع والتعارض.

لم يكد يستفق الشّرق الجريح من قمع الغرب لحريته واضطهاد ممارساته، ليجد نفسه مطوّقًا بوباء جديد، مَهَمّته تكملة ما تبقى من روح الشّرق، كيف لا وهم شلّة ممّن خانوا بني جلدتهم، وانتهكوا معالم مقوّماتهم، وتقمّصوا دور منقذي الشّرق، بإقامة دولة الخلافة الإسلامية، فدمّروا باسم الدّين بلدانا بأكملها ك(سوريا، والعراق، وليبيا...)

1.2.1. الإرهاب

تطرّق الكاتب لصورة المجتمع في الشّرق وما خلّفه الإرهاب، الذي برّأ الإسلام منه، حيث يندهش فرانتس للحالة التي آلت إليها سورية بعدما كانت في الأمس القريب رمزا للوحدة والتعايش السلمي. يقول: "من كان يتخيل في باريس 1999 وهو يشرب الشامبانيا أن سورية تؤول إلى الخراب نتيجة أشنع أعمال العنف أنّ سوق حلب ستلتهمه النيران، أنّ مئذنة الجامع الكبير ستنهار وأنّ كثيرا من الأصدقاء سيتلقون حتفهم أو يرغمون على اختيار المنفى".[1]

«à Paris en 1999, devant une coupe de champagne, de s'imaginer que la Syrie allait être dévastée par la pire violence, que le souk d'Alep allait brûler, le minaret de la mosquée des Omeyyades s'effondrer, tant d'amis mourir ou être contraints à l'exil».[2]

[1]– البوصلة، ص ص 16-17.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.11.

يصف فرانتس شوارع حلب اليوم فيقول متأثرا ومقارنا حالتها بين الماضي والحاضر: "مثلما نسمع اليوم صفير القذائف والموت، أتخيل مصاريع النوافذ مغلقة مغربلة بالرصاص فيما الجنود يجوبون الشارع مسرعين والمدنيون يختبئون قدر الإمكان من القناصة والجلادين".[1]

«Comme aujourd'hui les obus et la mort – j'imagine les volets fermés، criblés d'éclats ; la rue parcourue en trombe par des soldats les civils qui se cachent،autant que possible ،des snipers et des tortionnaires ».[2]

بلغ ظلمهم إلى حدّ محاولة طمس الشّرق، واجتثاثه من الوجود، رغم زعم إسلامهم أمام الملأ، إلاّ أنّ أعمالهم تعكس ذلك، فحتّى المساجد لم تسلم من بطشهم، يقول فرانتس أتخيّل: "باب الفرج وقد صار خرابًا، والحطام قد انتشر في الساحة والأسواق التي احترقت خاناتها البديعة انهارت جزئيا وتفحّمت، وجامع حلب الكبير من دون المئذنة التي تناثرت حجارتها في الباحة ذات الأرضية الرخامية المكسّرة والرائحة رائحة الحماقة والحزن التي تعيق في كل مكان".[3]

« Bab el-Faraj en ruine, la place jonchée de débris; les souks incendiés, leurs beaux khans noircis et effondrés par endroits; la mosquée des Omeyyades sans son minaret dont les pierres gisent éparses dans la cour aux marbres brisés et l'odeur, l'odeur de la bêtise et de la tristesse, partout ».[4]

في كلّ أمّة مجموعات متطرّفة تقتل وتسفك الدّماء باسم الدّين، تعاني الجمود الفكري، تتّبع نزواتها؛ قصد إلغاء الآخر، باتّخاذ السّلاح بديلًا للحوار، فعن جماعة **داعش** الذي يخشى أن يصل جنونهم حد **انتهاك حرمة مكة والمدينة المنوّرة**، يقول فرانتس: "توحّشهم يوازي **توحش**

[1]– البوصلة، ص 148.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.82.

[3]–البوصلة، ص 148.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.82.

مرتزقة كارلوس الخامس الذين نهبوا روما وأحرقوها قد يحرقون مكة والمدينة المنورة وينهبوها في يوم من الأيام من يدري".[1]

« Surtout calife d'une bande de soudards digne des lansquenets de Charles mettant Rome à sac. Il est possible qu'ils mettent un jour La Mecque et Médine à sac, qui sait ».[2]

امتدّ شغفهم بالتدمير وانتهاك حرمة المقدّسات من المساجد ليبلغ الكنائس، بل كل ما يمدّ بصلة للمسيحية، أو حتّى للبشريّة في حدّ ذاتها مادامت "الحرب تنهش اليوم هذه الأمكنة التي تحترق أو قد احترقت، تشوّهت مصاريع تحديد من حرارة النيران، اجتاحت الأبنية المنهارة ساحة كنيسة "مار إلياس".[3]

« Aujourd'hui tous ces lieux sont en proie à la guerre، brûlent ou ont brûlé les rideaux de fer des boutiques déformés par la chaleur de l'incendie, la petite place de l'Évêché maronite envahie d'immeubles effondrés».[4]

يتعاطف فرانتس مع **أوضاع سورية** الحرجة خاصة: "مدينة الرّصافة ذات الأسوار العالية والتي ربما أضحت الآن مقر أمير المؤمنين الجديد، ظل الله على الأرض خليفة سفاحي ولصوص "الدّولة الإسلامية في العراق والشام".[5]

«Rasafé aux hautes murailles, où siège peut-être aujourd'hui le nouveau commandeur des croyants, Ombre de Dieu sur terre, calife des égorgeurs et des pillards de l'État islamique en Irak et en Syrie».[1]

---

[1]– البوصلة، ص 222.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.121.

[3]– البوصلة، ص159.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.88.

[5]– البوصلة، ص ص 221–222.

يرى فرانتس لوني **العلم السوري** (الأسود والأحمر) بتمعّن أنّهما يعكسان حالة سورية المأساوية، التي غلب عليها الحزن، وزهق الأرواح، والكبت، كما يحمّل النظام السّوري نصيبًا ممّا تعانيه سورية: "**سجن أسود، أحمر كالدم**، هما اللونان اللذان يرفعهما العلم السوري نذير شؤم، لونان بذلت عائلة الأسد كل ما في وسعها لتصبغ بهما أصقاع البلاد كلها: فالتعذيب يمارس بشكل يومي في زنازين النظام، حيث تستخدم أشنع الأساليب القروسطية بطريقة ممنهجة، أمر روتيني هذفه الوحيد نشر الذعر العام، نثر الخوف كأنه سمار، على التربة السورية كلّها".[2] في حين أنّ اللّون الأسود يرمز للدولة العباسية، أمّا الأحمر فلدماء الشّهداء.

« Une prison noir et rouge sang, couleurs prémonitoires du drapeau syrien que la dynastie Assad s'était acharnée à déployer sur tout le territoire : dans ses geôles, les tortures les plus atroces étaient quotidiennes, les supplices médiévaux systématiques, une routine sans autre but que l'effroi général, l'épandage de la peur sur tout le pays comme du fumier».[3]

ممّا تقدّم نلمس **تعاطف الكاتب مع حالة سورية الاجتماعية** الصعبة، متأثرا للدّمار الذي خلّفته الجماعات الإرهابية، ومنوّها بخطرها على البشرية جمعاء، فهذا الفكر المتصلّب في نظره ليس حديث العهد، فقد سبقته إليه جماعات أيضا تقتل باسم المسيحية أمثال مرتزقة كارلوس الخامس بروما، ليتساءل أخيرًا: "**هل ستستعيد حلب بهاءها في يوم من الأيام، ربّما لا أحد يعلم**".[4]

« Est-ce qu'Alep retrouvera jamais sa splendeur, peut-être, on n'en sait rien».[5]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.120.

[2]– البوصلة، ص 175.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.96.

[4]– البوصلة، ص 159.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.88.

2.2.1. أبعاد المكان وعادات وتقاليد الشّرق

يواصل الكاتب وصف شوارع الشّرق وهندسته المعمارية وتقاليده، فيصف فرانتس صورة **الشوارع الشعبية** بحلب. "عن شارع "بارون" أو "شارع الجنرال" غورو سابقًا: " شارع صاخب على بعد خطوتين من باب الخروج، ومن حلب القديمة التي تصله بها أزقة متّسخة بزيت السيارات ودم الخواريف، تعجّ بمصلحي السيّارات وأصحاب المطاعم والباعة المتجولين وباعة عصير الفاكهة، منذ الفجر كانت ضوضاء حلب تتسلل عبر النوافذ مصحوبة بروائح الفحم الماشية ووقود الديزل ...[1]

«Bruyante artère à deux pas de Bab el-Faraj et de la vieille ville par des ruelles tachées d'huile de vidange et de sang d'agneau, peuplées de mécaniciens, de restaurateurs, de marchands ambulants et de vendeurs de jus de fruits ; la clameur d'Alep franchissait les volets dès l'aube ; elle s'accompagnait d'effluves de charbon de bois, de diesel et de bestiaux».[2]

ومن **عادات وتقاليد الشّرق** ارتداء الطربوش، واهتمامهم بالآلات الموسيقية كالعود. يقول فرانتس:" الطربوش الذي اقتنيته في اسطنبول، العبادة الصوفية التي ابتعتها من سوق دمشق العود الذي اشتريته في حلب برفقة نديم".[3]

«Mon tarbouche d'Istanbul, mon lourd manteau d'intérieur en laine du souk de Damas, mon luth d'Alep acheté avec Nadim».[4]

كما تتميّز **الهندسة المعمارية بالشرق** بنمط خاص متميّز. يصف فرانتس أحد المنازل الدمشقية قائلًا: "وكان هذا المنزل الدمشقي التقليدي المزود بإيوان وباحة كبيرة ونافورة ماء

[1]– البوصلة، ص 145.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.81.

[3]– البوصلة، ص 98.

[4] – Mathias Enard, *Boussole*, p.54.

من الحجر الأسود والأبيض، وممشى داخلي في الطبقة الأولى، يثير حسد سائر جماعة المستشرقين".[1]

«Une demeure damascène traditionnelle, avec sa grande cour, sa fontaine de pierre noire et blanche, un iwan, une coursive à l'étage, cette maison suscitait les jalousies de l'ensemble de la communauté orientaliste».[2]

تختلف **الأعراف الاجتماعية** من تقاليد وممارسات من مجتمع لآخر. فالمتتبّع لتركيبة مجتمع الشرق يجده متشبّعا بالقيم الأخلاقية، كالكرم، والإيثار، والاحترام.

الحشمة والحياء صفتان للشّرق، حيث لا **يختلط الرجال بالنساء دون قرابة**، فبعدما حلّ فرانتس ورفاقه ضيوفًا على إحدى قبائل البدو، كان يعتقد أنّه لن يفارق محبوبته سارة، إلاّ أنّها ذهبت إلى القسم الخاص بالنساء في خيمة البدو تيمّنا بالأعراف العربية، ليشبّه نفسه بقيس "أبيات شعر ملتاعة أنشد فيها بهاء معبودتي التي انتزعتها مني الأعراف الاجتماعية".[3]

« La comète des vers désespérés chantant la beauté de ma bien-aimée, que les conventions sociales venaient d'arracher à mes soins».[4]

اللّباس الفاضح في إيران ممنوع؛ لمخالفته النصوص الشّرعية، لذا نجد الإيرانيات محافظات على اللّباس المحتشم. يقول فرانتس: "وأن ما من شرطيٍّ متوارٍ تحت حصاة، **اندفع نحو**

[1]– البوصلة، ص 152–153.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.84.

[3]– البوصلة، ص 252.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.137.

سارة ليأمرها بستر كاحليْها (مع أن هذا الجزء من جد المرأة يعتبر مثيرًا لشهوات الرجل) وخفض أسفل سروالها".[1]

«Et qu'aucun policier caché sous un galet ne se précipita sur Sarah pour lui ordonner de dissimuler ses chevilles (partie pourtant tout à fait érotique du corps féminin, d'après les censeurs) et baisser ses bas de pantalons».[2]

3.2.1. بغداد والبترول

من مفارقات الشّرق الغني بالثروات الباطنية **كالنفط**، أنّ الفقر يمسّ جلّ شرائح مجتمعه، ويشلّ قطاعاته النامية؛ بسبب الاحتلال، كأمريكا على العراق، أو سوء تسيير الأنظمة الحكومية الديكتاتورية لها، ما يؤدي إلى تفشي آفات اجتماعية خطيرة، كالمخدرات، وجرائم القتل، وتشكيل جماعات متعصّبة؛ تنهب خيرات الوطن الطبيعية.

يقول فرانتس عند وصوله إلى **بغداد:** "أصبّ لنفسي شايا ثقيلا للغاية، أحمر للغاية، محلى جدا، أدخن أفيون، **غليونا** واحدا فقط، وأغفو رويدا رويدا جالسا في مقعدي، فتوقظني من حين إلى آخر صفارات ناقلات **النفط الآتية** من البحر الأسود".[3]

«Je me servirais un thé bien fort, bien rouge, très sucré, je fumerais une pipe d'opium, une seule, et je m'assoupirais doucement dans mon fauteuil, réveillé de temps à autre par les cornes de brume des tankers en provenance de la mer Noire».[4]

[1]– البوصلة، ص 302.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.163.

[3]– البوصلة، ص 56.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.32.

4.2.1. تركيا والإباحية

شهدت تركيا تحوّلًا اجتماعيًا كبيرًا، أثّر سلبا على تركيبتها الاجتماعية، حاولت تقليد نمط العيش في الغرب؛ ما نتج عنه انحلال خلقي، وتفكّك للنظم الاجتماعية، بعد ما تعالت الأصوات المنددّة بفصل الدّين عن الدّولة.

فبعد انتقال **الموسيقي فرانتس** وسفره من طهران إلى اسطنبول، يقول: "كنت أستحق حفلة ماجنة في المدينة، في حانات تعبق بالدخان، في خمارات حيث ثمة موسيقى وفتيات وكحول، وأعتقد أنها المرة الوحيدة في حياتي التي كنت فيها مخمورا".[1]

«Je méritais une fête à tout casser, en ville, dans des bars enfumés, des tavernes où il y avait de la musique, des filles et de l'alcool, et je pense que c'est la seule fois où j'ai été soûl de ma vie réellement ivre».[2]

كما يعتقد فرانتس أنّ **الأفيون** يعود للشّرق في أصله. يقول: "كان الأفيون مرتبطًا للغاية بالشرق الأقصى، بلوحات رخيصة لصينيين ممددين في أوكار الهند، وأنه كان يدخّن من طيبة الإغريقية إلى طهران ومرورا بدمشق".[3]

«L'opium était, dans notre imaginaire, tellement associé à l'Extrême-Orient, à des chromos de Chinois allongés dans des fumeries qu'on en oubliait presque qu'il était originaire de Turquie et d'Inde et qu'on l'avait fumé de Thèbes à Téhéran en passant par Damas».[4]

[1]– البوصلة، ص 59.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.p.33-34.

[3]– البوصلة، ص 79.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.43.

فالشّرق مدمن على الأفيون في نظر الكاتب إلى حدّ اعتباره **من العادات والتقاليد الثّابتة** في المجتمع الشّرقي، "فالتدخين في اسطنبول أو في طهران كان بمثابة استعادة شيء من روح المكان، المشاركة في تقاليد لا نعرف عنها إلّا القليل".[1]

«Fumer à Istanbul ou à Téhéran c'était retrouver un peu l'esprit du lieu, participer d'une tradition que nous connaissions mal».[2]

5.2.1. إيران والمخدّرات

المجتمع الشّرقي محافظ متشبع بتعاليم الإسلام الزاجر للآفات الاجتماعية، لكن تطبيق الشريعة الإسلامية يختلف من بلد لآخر، خاصة ما يتعلّق بالقصاص، أو كيفية التعامل مع مدمني ومروّجي المخدرات، ففي إيران يتمّ تسليط عقوبة الشّنق، أمّا أغلبية الدول المسلمة فتكتفي بالسّجن.

وهذا ما شهده فرانتس أثناء تواجده بإيران، فقد تأثر بمجموعة من الإيرانيين بعدما تمّ إعدامهم؛ بسبب تعاطيهم وترويجهم للمخدرات. يقول واصفًا إعدامهم: "فتتدلّى أجسادهم المسكينة من تلك الأذرع المعدنية العملاقة".[3]

«Et que leurs pauvres corps pendouillent au bout des bras télescopiques».[4]

ويواصل وصف **ظاهرة تدخين الأفيون** في طهران رغم تشديد اللّهجة والتذكير بالمصير القاسي الذي ينتظر كلا من بمصير المتعاطي والمروّج، قائلًا: "مازال استهلاك الأفيون أمرا

[1]– البوصلة ، ص 79.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.43.

[3]– البوصلة، ص 82.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.46.

تقليديا في إيران، حيث يعد المدمنون عليه بالآلاف تستطيع أن ترى أجدادا هزالا وناقمين، يؤمنون بأيديهم بعصبية، مجانين".[1]

«L'opium est encore traditionnel en Iran, où les teriyaki se comptent par milliers ; on voit des grands-pères amaigris, vindicatifs et gesticulants, fous».[2]

6.2.1. السّعودية والتشدّد

أُختُزلت صورة السّعودية في المنظور الغربي في حيّز نمطي، إذ عُرفت بمجموعة من الرؤى السّلبية منها (الكبت النّفسي، القهر، الحرمان، الوحشية، التشدّد، البداوة...) يقول فرانتس: "كانت تلك البلاد تتّسم بهوية بدوية، وهابية في الأغلب، متزمّتة ومتشددة كان دخول غير المسلمين إلى المملكة ممنوعا".[3]

«Le pays se distingue par son identité bédouine et majoritairement wahhabite, puritaine et intransigeante. Le royaume est interdit aux non musulmans».[4]

كما يندّد بعمليات **الإعدام**، التي ذاع صيتها في السعودية والعراق وسوريا، بتطبيق الشريعة الإسلامية السّمحاء، انطلاقًا من مبدأ الجزاء من جنس العمل: **"كم عدد الذين أعدموا لاحقًا بالطريقة ذاتها، العشرات، المئات، في العراق وفي أمكنة أخرى ما غاية هذا الأسلوب في الإعدام، النحر بواسطة سكين مطبخ إلى أن يقتلع الرأس".**[5]

[1]– البوصلة، ص 80.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.45.

[3]– البوصلة، ص 187.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.102.

[5]– البوصلة، ص 306.

«ombien ensuite ont été exécutés de la même manière, des dizaines, des centaines de personnes, en Irak et ailleurs : on se demande pourquoi ce mode d'exécution, l'égorgement jusqu'à décollation au couteau de cuisine».[1]

ويعدّ **عمليات النّحر** بأنّها مجرّد **عادات وتقاليد** في الشّرق. "على الأقل أنّ السعوديين الذين يقطعون رؤوس أعداد هائلة من المساكين كل سنة يقومون بذلك كما تقتضيه الأصول والتقاليد".[2]

«Peut-être ignorent-ils la puissance du sabre ou de la hache. Au moins les Saoudiens, qui décapitent des myriades de pauvres diables chaque année, le font avec tout le poids de la tradition».[3]

يشير الكاتب إلى حقيقة **الإعدام** بكونه **تقليد** ممتد على مدى عصور وحضارات سبقت، يقول فرانتس "إنّ حكايات ألف ليلة وليلة تفيض بقطع الرؤوس، بالطريقة إيّاها السيف الذي يهوي على الرقبة، وروايات الفروسية الأوربية أيضا بواسطة السيوف والفؤوس، بعد وضع الرأس على جذع شجرة، كما حصل لميلايدي دي وينتر، زوجة آثوس في الفرسان الثلاثة".[4]

« Les Mille et Une Nuits sont remplies de décapitations, selon le même modus operandi, le sabre sur la nuque ; dans les romans de chevalerie aussi, on décapite "à tour de bras", comme disent les Français, à l'épée ou à la hache, la tête placée sur un billot ainsi Milady, la femme d'Athos dans Les Trois Mousquetaires».[5]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.165.

[2]– البوصلة، ص 306.

[3]- Mathias Enard, *Boussole*, p.165

[4]- البوصلة، ص306.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.165.

تشهد **السّعودية** اليوم تحوّلا جذريّا، وتفتحًا هو أقرب إلى الانحلال، لم يسبق له مثيل على كلّ الأصعدة، بفتح حانات وملاهي ليليّة تحت شعار"**خمر دون كحول**"، وتطبيعها مع الاحتلال الصهيوني، باعتباره حليفًا استراتيجيًا، ضف إلى ذلك التغنّي بحرّية المرأة، والسماح لها بالسّياقة، بعدما كان ذلك ممنوعًا عليها، انتهاءً من سجن عشرات العلماء لأسباب مجهولة. كما تعدّ طرفًا مؤثرا بما يسمى "**صفقة القرن**".

يساهم الكاتب برفع الصّور النمطية التي كان الشّرق ضحيته، والتي ظلّت ملازمة له لعقود، فأبرز الوجه الحقيقي له، كما برّأ الإسلام من الإرهاب، واحتفى بالعادات والتّقاليد الشرقية المحافظة وما يميّز سلوكها من احتشام وكرم، بل وأشاد بالهندسة المعمارية في الشّرق عامّة، وسوريا بصفة خاصّة.

وعليه نستنتج أنّ الكاتب عمد إلى تصحيح التّاريخ المغلوط، بتجديد رسم الصّور التخيّلية عن الشّرق، والاعتراف بمركزيته وفضله السّابقين.

2. صورة الأسرة الغربيّة

1.2. صورة الأسرة الغربيّة في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

1.1.2. التماسك الأسري

رسمت الكاتبة لوحات مختلفة عن الدفء العائلي؛ نتيجة الانسجام والتّرابط، حيث تتّضح صور الأسر الشّرقية البسيطة في ماديّتها، والغنيّة بقيمها وعراقتها، حيث يمثّل الجدّ السلطة الأبويّة الذكوريّة، ويعدّ رمز الحكمة، في التّوجيه والدّفاع عن حقوقها.

أسرة وائل نسخة من ملايين الأسر في الشّرق، تعيش في مجتمع محافظ، مقدسّ لتعاليم الإسلام ووصاياه، ومتشبّع بالقيم النبيلة من تآزر واتّحاد وكرم، ومن صور التآلف والحنان، اجتماع جميع أفراد العائلة حول مائدة الطعام، حيث " **كانوا يتناولون طعامهم في السّاحة المكشوفة للسّماء وللهواء السّاخن القادم من حزن البحر...**"[1]

فالجدّ في الشّرق غالبًا ما يقوم بدور المهيمن حتّى في وجبات الأكل، فيوزّع الفاكهة، أو قطع اللّحم بإنصاف، في جوّ من روح الدّعابة. "**كان وائل يجلس قرب جده دائما، وكان جده يدفع بقطعته... وهو يقول هامسا: (لا تقل لإخوتك حتّى لا يكتشفوا أنّك صاحبي !**".[2]

الأسرة الشّرقية متّحدة، تعطف وتحسن للآخر، وتشترك وتتعاون في أعمال البيت، من تسوّق وبناء وإعالة، يجسّد بيت عائلة وائل ذلك إذ تمّ بناء غرف منه، بتعاون الجدّ وابنه. "**كان جدّه نائما في الغرفة الصغيرة، مازال يذكر كيف بناها والده وجدّه...جده يجلس في ساحة الدار... كان الجميع يجلسون في الساحة (عمر، حذيفة، وائل، علي)...**"[3]

---

[1]– لن أموت سدّى، ص101.

[2]– المرجع نفسه، ص102.

[3]– نفسه، ص95.

تنطوي حياة الأسرة الشرقية تحت تشريعات ونصوص دينيّة، أرست بذلك قيما نبيلة، تضمن تماسك الأسر واحترامها المتبادل، وتعاونها فيما بينها.

أ. الأم

لعلّ الأم المسلمة أكثر الأمّهات بين المعتقدات الأخرى تكريمًا، فطاعتها باب من أبواب الجنّة، كما تحظى بالعيش في حضن أولادها حين تصبح عجوزا، فتنعم بالرّعاية الدائمة والعلاقة الحميمية من قبل أفراد عائلتها. عكس الأم الغربية التي غالبًا ما تعيش وحيدة، ينتهي بها المطاف شريدة في دار العجزة، أو تعمد إلى تربية الحيوانات كمؤنس لها، بخلاف الأم الشّرقية التي تعتبر **"الوجه الحقيقي للفرح!!"**[1]

وهي تغمر الدنيا فرحا إذا أنجبت مولودا للبشريّة، رغم ذلك الألم الذي تواجهه بصبر وتحمّل. "**كانت أمّه سعيدة كما لم تكن من قبل ابتسامتها هزمت ارتعاشات جسدها المتعب...**"[2]

- الأم المقاومة

تجلّت **صورة أم** وائل في الرواية في تشبّثها **بفكرة المقاومة** قصد طرد المحتل، فقد كانت ترسل الخبز للمقاومين، وتبثّ في نفسية أبنائها شرف الدفاع عن أرضهم المسلوبة، ممّا أدّى إلى استشهاد الأوّل في سجون الاحتلال، "**الأم التي تزغرد لشهادة ولدها وهي تبكي تملك قلبا يتسع للوطن مهما كان كبيرا**".[3]

ومكوث الثاني في السّجن تحت طائلة التعذيب، حيث كانت تزوره"... **حضنته بقوة، وشاركته جنون دموعه... شدّت أمّه على يده بقوّة، حاولت أن تقول شيئا، ولكنّها لم**

[1]- لن أموت سدّى، ص 164.

[2]- المرجع نفسه، ص97.

[3]- نفسه، ص 93.

الفصل الثاني صورة الشّرق في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي
و Mathias Enard de **Boussoule***

تنجح في رسم الكلمات، فاكتفت برسم ابتسامة صغيرة وخرجت..."[1]

لم تستطع تحمّل حالة ابنها دون تحريك ساكن: "**ألقت برأسها على الجدار وانفجرت بالبكاء**".[2]

بعد الأخ الأكبر جاء دور وائل الذي اعتقله الاحتلال اليهودي دون سبب، فقد كان ضدّ المقاومة بالحجر. عذّب بأبشع الطرق ليشي بأسماء المقاومين، فالأمّ المسكينة التي لم تكد تتجرّع حقيقة استشهاد ابنها الأكبر، اصطدم بواقع ليس أقل إيلاما. "**بعد أربعة أشهر من التعذيب، سمحوا لأمه برؤيته... حاول أن يبتسم عندما حضنت يده بحزن، وصارت تزرع قبلاتها فيها، لكنّه ألقى رأسه على صدرها، وانفجر بالبكاء... وهي الأخرى حضنته بقوة، وشاركته جنون دموعه**".[3]

ألم الحرمان أجّج مشاعرهما، وفضحت الدموع لوعة شوقها، في صورة تأسر القلب، وتعكس التلاحم الكبير للأسرة الشرقية. "**ضلاّ يبكيان حتّى ترك كل منهما الآخر، شدّت أمه على يده بقوّ**".[4]

- حرص الأم على أولادها

الأم هي ذلك الجدار الصّلب الذي يقف حائلا أمام كلّ من يتعرّض لأبنائها، تدرك دائمًا مَهمّتها الأساسية المتمثّلة في تربية أبنائها، وتوجيههم حتّى بعد بلوغهم سنّ الرّشد، فمكانتها صانها الإسلام، وألزمتها الفطرة الإنسانيّة، ويظهر ذّلك في الرواية لمّا ضرب **الجد** وائلا مانعًا إيّاه الحديث مع اليهود، دفعتها غريزة الأمّ إلى حماية ابنها بكلّ عفويّة. منتقدةً إيّاه:

[1]- لن أموت سدّى، ص 164.
[2]- المرجع نفسه، ص7.
[3]- نفسه، ص 164
[4]- نفسه، ص 164.

"لماذا تضربه؟ إنّه طفل... لا يمكنك أن تقسو عليه هكذا..."[1]

ولم يهنأ لها بال حتّى أخذت ابنها بين أحضانها، و"**دفعت أمّه بحياة إلى حذيفة، ثم اختطفت وائلًا بيدين مرتعشتين وقالت بغضب: حتّى وإن كان الشيطان ! يظلّ ولدي ولدي الذي لم يتجاوز العاشرة**". [2]

– **دعوة الأم لابنها علي:** "رغم دعوات أمي التي لا تنقطع**!**"[3]

– **عند الولادة:** "كانت أمّه سعيدة فهي لم تكن كذلك من قبل..."[4]

ب. وائل والرّحيل

أبرزت الكاتبة قيمة الفرد ومكانته في **الأسرة الواحدة،** فإن نقص أحد أفرادها عاشت الأسرة في كآبة وحزن، **فوائل** مثلا الذي نشأ في بيئة تقدّس معنى الأسرة، على غير العادة يقرّر ترك هذا الحضن للتوجّه نحو الغرب، لتتعالى أصوات الشخصيات راجيّة عدوله عن قراره المفاجئ، حتّى ينعم بحياة رغيدة، فهذه أمّه التي "**صمدت لحظة لم تنظر فيها إليه ثم ارتمت على صدره المرتعش، وقالت والبكاء يملأ كل ما حولها:**

– **ابق معنا...أرجوك...كل الذين يذهبون لا يرجعون**".[5]

والتي وعدها بحياة أفضل فور عودته، فتحاول أن تلامس خلده، ففي هذه الحياة هناك أشياء لا تعوّض، أمر لم يفقهه وائل، بتقديمه قيمة الإنسان وروحه على المادّة، ولأنّ سفره

[1]– لن أموت سدّى، ص107.
[2]– المرجع نفسه، ص108.
[3]– نفسه، ص 94.
[4]– نفسه، ص 97.
[5]– نفسه، ص12.

سيزيد من جراح الأسرة بعد فقدانها الأب؛ بسبب الحزن الشّديد على ابنه الأكبر الذي فارق الحياة، تقول الأمّ: "...**أم تعيد الحياة لأبيك الذي مات حزنا على أخيك السجين؟**".[1]

لكن عناده صدم الجميع، ليحاول **أخوه أحمد** إقناعه مجدّدًا بالبقاء، علّه يعود لرشده، ويستسلم لأمانيهم "**عد يا وائل... أمّك لا زالت تبكي في ساحة الدار...ما زالت ترفع يديها المتعبتين للسماء، وتدعوا كعادتها منذ عرفت بأمر سفرك...**"[2]

لم تستطع **أخته الصغرى حياة** بدورها استساغة فكرة رحيله، وطي ذكريات الطفولة الجميلة، حين كانت العائلة مجتمعة، وهما يتبادلان أطراف الحديث، ويتنازعان حول أبسط الأشياء، يضربها ويهرب محتميّا بجدّه تارة، ويحضنها ويقبّلها تارة أخرى. "...**وائل وحده كان يدخل الغرفة كاللص، يضربها، يعضها أحيانا ويهرب إلى جده طالبا الحماية من شيء في داخله يحاربه !**".[3]

كيف لهذا الحب والحنان أن يذود فجأة، دون سابق إنذار، الذي ألمّ بأخته، بفعلته الجبانة قد تجاوز العادات الشرقيّة في اجتماع الأسرة وتماسكها، فكلّ أفراد عائلته يترجون بقاءه. "...**حتى حياة كانت تقف منكسرة مهزومة...ليته لم ينظر إليها ودموعها تسقط عند قدميها ليخلق ضجيجا من الصرخات الرافضة ذل الرحيل**".[4]

سار في طريقه ضاربًا وصايا أفراد عائلته وآلامهم عرض الحائط، فالاحتلال اليهودي سهّل له الخروج من فلسطين نحو نيويورك، بتخاذل الخونة الذين انسلخوا عن قضيتهم، تحت طائلة تهديدهم قتل أسرهم، ما دفع **بعوض الخائن** لإسداء نصيحة؛ كي يعود أدراجه: "

[1]– لن أموت سدّى، ص17.
[2]– المرجع نفسه، ص26.
[3]– نفسه، ص 100.
[4]– نفسه، ص 12.

وائل... لماذا لا تعود إلى أمك وإخوتك".[1]

وحتّى لمّا كان يتعذّب جرّاء عنف الاحتلال اليهودي عليه، فصُور وأصوات أفراد عائلته تلاحقه أينما ارتحل، ذلك البيت الذي يحمل بين جدرانه أجمل أيّامه الرّوحيّة، على أرضه جزءٌ من روحه، " **ابتسامة أمّه وهي توقظه ليتناول الفطور صباح حياة وهي تبدي تذمرها في غرفته، وعلي الذي يقضي معظم وقته في حفظ القرآن".**[2]

قيمة الأمّ لا مثيل لها، فقربها أمان، وبعدها مرارة وحرمان، حقيقة لم يدركها وائل، إلّا حين ابتعد عن حضن أمّه"...**وبدهشة طفل يكتشف أنّ الناسّ لا يشبهون أمه...**"[3]

2.1.2. صورة المرأة في الشّرق «الإسلام»

بعدما كانت المرأة في الشّرق مهانة ومجرّد متاع يباع، إذ تقتصر مَهمّتها على الأعمال الشّاقة، وينحصر دورها في إنجاب الأطفال، جاء الإسلام شاملًا ومنصفًا لها، بتعزيز مكانتها، ورفع شأنها، **كحديثة الولادة** حرّم وأدها، وأمر بتغطية مصاريفها، وتلبية حقوقها، و**كفتاة شابّة** أمر نبي الإسلام بالإحسان لها سواء أكانت **أختا أو ابنة**، وطاعتها واحترامها بصفتها **أمّا**، ناهيك عن حقها في الميراث والتعليم... حيث تقول **الدكتورة هيلين** لوائل: **"أكثر ما يدهشني في دينكم أيها العرب تلك النظرة الحانية للمرأة حيث يتحدّث عنها أمّا وزوجة وابنة..."**[4]

إنّ الانفلات الأخلاقي الذي تشهده بعض بلدان الشّرق، مهّد الطريق لبعض المنظّمات والجمعيات العلمانية المناوءة للإسلام، للتّنديد بحقوق المرأة من مساواة في الميراث مع الرّجل، وحق الولاية، والشّهادة؛ غايتها في ذلك اجتثاث رداء الإسلام، والسّير قدما إلى تقليد

[1]– لن أموت سدّى، ص 31.
[2]– المرجع نفسه، ص 67.
[3]– نفسه، ص 38.
[4]– نفسه، ص 49.

صورة المرأة الغربية في جانبه العلمي والثقافي، إلى جانب تفكيك الأسرة، والانتقال إلى الحياة الإباحية من تعرّ وانضمحلال خلقي، فيقول وائل الذي تأثّر بالتيّار الفكري الغربي: "**لا تقولي إنّك غير راضية عن المكاسب التي حققتها المرأة في الغرب على الأقل لا تفعلي ذلك في بلد عربي حتى لا يتهموك بالتخلف فالنساء عندنا يبحثن عندنا عن المساواة**".[1]

نالت المرأة حقوقا في الإسلام، خوّلها أن تكون محل أطماع الغرب، فحاول البعض طمس حقيقتها، بتشويه صورتها، على النقيض نجد د.هيلين تدافع عن الإسلام، الذي صان كرامة المرأة، ما لم يأت به معتقد آخر. فتقول: "**الإسلام أعطى المرأة عندكم أكثر مما تستحق**" "**فالمساواة بحدّ ذاتها انتقاص من قدر المرأة يا عزيزي**".[2]

أ. المرأة المقاومة

عاشت المرأة الشرقية ويلات الحرب ومخلّفاتها، ما جعلها تتعايش مع مرارة الفقد والألم، آمنت بقضاياها، وجاهدت بالغالي والنّفيس؛ حتّى ينعم أولاد بلدها بالأمان، كأمثال البطلة الجزائريّة جميلة بوحيرد، ومواطنتها المقاتلة فاطمة لالّة نسومر.

تمثّل أمّ وائل وأخته حياة رمز المرأة العربية المقاومة، حيث كانت تخبز الخبز للمقاومين، وتقوم ابنتها حياة بمهمّة التوصيل والتّوزيع. "**أختي تحمل الخبز إلينا ونحن نمضي الوقت في الشوارع...**"[3]

تحيط الدّهشة د.هيلين متسائلة عن وائل الذي يترك المقاومة ويفرّ نحو نيويورك، تاركًا أهله يصارعون المصير المجهول. "**ألا يغضبك الرّصاص حين ينغرس في جسد طفلة تركت دميتها وركضت خلف المقاومة ؟؟**[4]

[1]– لن أموت سدّى، ص 50.
[2]– المرجع نفسه، ص 50.
[3]– نفسه، ص 54.
[4]– نفسه، ص 54.

يرفض وائل فكرة العيش تحت وطأة الاحتلال، ويختار العيش بعيدًا عن الحرب. "**في حين تدافع النساء عنها بالحجارة والخبز؟!**"[1]

يأسه من الحياة ومحاولته تجنّب رصاص المحتل، حرّك مشاعر د.هيلين، لتعتبره خائنًا لقضيته، غريرًا يلهث وراء المادّة، في الوقت الذي تجابه النساء الاستبداد والظّلم، مقدّمة للغرب نموذج المرأة المكافحة. تقول هيلين: "**أتعرف متى تقاتل المرأة يا وائل؟**

فأجاب بسخرية:

– حين تصل إليها جم الأوهام المحشوة بها رؤوسكم.

– بل حين يعزّ الرجال !"[2]

يتذكّر أخته حياة، التي كانت توزّع الخبز على المقاومين للاحتلال. يقول لهيلين: "حاولت أن أمنعها لولا تدخل أمي.

– تمنعها من الجهاد حسدا من عند نفسك".[3]

نال موضوع الأسرة اهتمامًا كبيرًا في رواية **لن أموت سدى**، فقد أبرزت الكاتبة جهاد الرّجبي دورها الفعّال في المجتمع، من خلال وصف تماسك أفرادها، كما أشارت لوضع المرأة سواءً أكان ذلك في المنظور الإسلامي أم المنظور الغربي، بصور إيجابية لتدحّض بها الصّور التخيّليّة المزيّفة.

[1]– لن أموت سدّى، ص 53.

[2]– المرجع نفسه، ص 54.

[3]– نفسه، ص 54.

2.2. صورة الأسرة في الشّرق في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

يقوم المجتمع الشرقي على فكرة الأسرة، والتي تقوم بدورها على قوامة الرّجل، فالتماسك الأسري نموذج خالص في تثبيت أواصر الأخلاق، والاحترام المتبادل بين الأفراد صغيرهم وكبيرهم، حيث تبقى الأسرة مجتمعة، حتى يشهد الجدّ أحفاده تحت سقف واحد، والذي يسيّر شؤون العائلة وما يترتّب عنها، كما تصون المرأة شرفها وعرضها طبقًا لمعتقدها وأعرافها، إضافة لغيرة الرّجل الشّديدة على عرضه وشرفه.

1.2.2. التماسك الأسري

يتطرّق الكاتب لسحر الشّرق القائم على وحدة الأسرة، والذي يُلمس من وصفه الإعجاب الشّديد لتركيبة الأسرة الشّرقيّة من طقوس وتلاحم وانسجام، وما يترتّب عن ذلك من آثار إيجابيّة، تتجلّى في سلوكات وأفعال وأقوال الشّرقي، وهو ما يفتقده الغرب اليوم، حسب **فرانتس الذي** يبدو معجبا بنمط عيش المجتمع الشّرقي. يصف الأجواء العائلية في الشّرق قائلًا: "... **لينغمسوا في عذوبة الحياة العائلية: موقد، سهرة شتوية، زوجة شابة، أطفال وديعون، نضرون، يركعون لتلاوة صلواتهن تحت إشراف خادمة عجوز طيبة ...**"[1]

« Pour se plonger dans toutes les douceurs de la vie domestique : un foyer, une soirée d'hiver, une jeune femme, des enfants pleins de grâce, qui, agenouillés, priaient Dieu, sous la dictée d'une vieille bonne ».[2]

على غرار الأجنبي ينعم الشرقي بالحبّ والحنان، سواء أكان صغيرا أم عجوزا، فقيمته ثابتة بوصفه فردا مؤثرا مهما بلغ من العمر. ومن بين الصّلات الوثيقة بين أفراد الأسرة في الشّرق

[1]– البوصلة، ص 102.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.56.

يقول **فرانتس** عن احتفال إحدى العائلات بعيد ميلاد لجدّ: "**اقتصر الزبن الآخرون على عائلة حلبية ثرية تحتفل بعيد ميلاد جد جليل**".[1]

«Nos commensaux étaient une riche famille alépine célébrant l'anniversaire d'un patriarche».[2]

إنّ تفوّق تركيبة الأسرة الشّرقية على نظيرتها الغربية يرجع لعوامل عدّة، من بينها خضوع الأسرة الشّرقية لنظام قبلي متأصّل في العقلية الشرقيّة عامّة والعربية خاصّة، كُفل أيضا بتشريعات إسلامية، ضيّقت الخناق على بعض العادات الجاهلية من وأد للبنات، واعتبار المرأة خادمة مطيعة لنزوات الرّجل، وإسقاط نصيبها من الميراث، فحصّن مكانة الوالدين، وأعلى مكانة المرأة، وفرض حقوقا للأبناء.

2.2.2. المرأة الشّرقية

تناول الكاتب صورة المرأة الشّرقية من عدّة جوانب وفقًا للبلد الذي تنتمي إلي، ومن بلد لآخر، فمثلًا **في سوريا، والعراق، والجزائر، وإيران**، يصفها بالمحتشمة الخائفة على عرضها، والطّاهية الماهرة، المقاومة الصّامدة، **أمّا بتركيا** المتّبعة نمط الغرب، فيصفها بالمتبرّجة الشهوانيّة، والرّاقصة المغازلة للرّجال في الحانات وعلى الطّرقات.

غالبًا ما كان يحكم على رجولة الذّكر في الشّرق من خلال مدى فرض سيطرته على المرأة، فهي مركّب نقص في شخصيّة الرّجل البدوي خاصّة، أدركت المستشرقة **اللّيدي ستانهوب** تلك الحقيقة في زيارتها لسوريا، البلد المتشبّع بالقيم الإنسانيّة من كرم وأصالة ، وعفّة وإباءٍ،

[1]– البوصلة، ص 159.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.87.

"كانت تدرك مدى الأهميّة التي يعلّقها العرب على مسألة شرف النساء، فتنزل أقسى العقوبات في حال أي **خرق للعفّة الصّارمة التي كانت تلزم بها خدّامها وأعوانها".**[1]

«Elle savait l'importance que les Arabes attachent au respect des femmes, et punissait sans pitié toute infraction à la sévère continence qu'elle exigeait de ses serviteurs».[2]

كما أنّ **المرأة الشّرقية طاهية محترفة** في نظر فرانتس، ذلك بعد استضافته من طرف إحدى العائلات رفقة أصدقائه، حيث قدّموا لهم وجبة عشاء الشّهي:" **أحضرن طعام العشاء، خبزا عربيا، عسلا، زعترا بريا مجففا مخلوطا مع السماق والسمسم، جبنا، حليبا، لبنا ...**"[3]

«Ont apporté le dîner ; du pain rond sans levain, du miel, du thym sauvage sec mêlé de sumac et de sésame, du fromage, du lait, du yaourt».[4]

إنّ الصّور التي بلورها الكاتب ماتياس إنار للقارئ عن الأسرة الشّرقيّة، أعادت بناء معالم جديدة لتلك الرؤى النّمطية، حول العنف الأسري في الشّرق، من اضطهاد للمرأة، وانتهاك حقوقها، وأذاعت الذّعر في أواسط الغرب، بتلفيقات مهينة عن الاستبداد الممارس ضد الأبناء... صور دونية مستفزّة لشرق محافظ، أثبت حقيقته الكاتب، بل واعترف بتميّز الأسرة الشّرقية المرتوية بالقيم الأخلاقية مقارنة مثيلتها الغربية المتفكّكة، بعدما غلبت على هذه الأخيرة المدنية الحديثة.

[1]– البوصلة، ص 179.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p 98.

[3]– البوصلة، ص 238.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.129.

الفصل الثالث:

صورة الغرب في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

و *Boussoule* de Mathias Enard

المبحث الأوّل: الصّورة البشريّة

المبجث الثاني: الصّورة النّفسية "المعتقد"

المبحث الثالث: الصّورة الاجتماعيّة

المبحث الأوّل: الصّورة البشرية للغرب في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي و *Boussoule* de Mathias Enard

1. الصّورة البشرية للغرب في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

لكلّ شخصية سماتها التي تختلف عن الشخصيات الأخرى، وهذا يعني أنّ الشخصية تتعلّق بالفرد، ولا توجد شخصية كلية، تنطوي تحتها مجموعة من السمات الجسمية والنفسية والاجتماعية.

ويشير أحمد زكي بدوي إلى الشخصية بأنّها: "نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسميّة والوجدانيّة والتراجعيّة والإدراكيّة التي تعين هويّة الفرد وتميّزه عن غيره من الأفراد... والهويّة تتعلّق بالحالة الشّخصية الفردية: الاسم–الجنسيّة–السّن– المهنة– الحالة العائليّة".[1] ويتميّز الغربي بجملة من الصّفات منها: الشعر **الأشقر**، لون **البشرة البيضاء**، لون **العينين الأزرق أو الأخضر**، **اللّباس الأنيق** الذي يعكس الحالة الاجتماعيّة في الغالب، كما يعرف بديانة غالبيته **بالمسيحية**. أمّا الأحوال الاجتماعية، **مترفة** يسودها **الانحلال الأخلاقي** وتمجيد المادية. يتميّز الجانب النفسي المتباين بين **الانفتاح على الآخر** ومحاورته؛ قصد فرض الهيمنة، وبين الانغلاق عنه؛ تفاديًا لما يروّج عنه الصّحافة العالمية، وهي صور نمطية مشوّهة.

[1]– عمرو حسن أحمد بدران، تحليل الشخصية، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، د.ط، د.س، ص 9.

ونستعرض في الجدول الآتي أهم ملامح تشكّل **الصورة البشرية للغرب** في رواية " **لن أموت سدى** " **لجهاد الرّجبي:**

	الملمح							
	الاسم	**العمر**	**المظهر**	**البلد**	**الدّيانة**	**الوظيفة**	**المستوى العلمي**	**السلوك**
الشّخصيات	**هيلين**	**عجوز**	**شقراء**	**أمريكا**	**المسيحيّة**	**دكتورة جامعية**	**مثقّفة**	**متّزنة حوارية مع الآخر**
	جين	**شابّة**	**شقراء**	**أمريكا من أصول يهوديّة**	**اليهودية**	**طالبة جامعية**	**مثقفة**	**شغوفة طيبة حوارية مع الآخر**

من خلال الجدول أعلاه يتّضح لنا أن الكاتبة اختارت مجموعة من الملامح التي تمثّل الغرب، كملامح الجسد التي خصّت بالجنس بالأشقر، فالأسماء والبلدان غربية، أمّا العمر فقد تباين بين الشباب والشيخوخة، كما اتّسمت ديانتهم بالمسيحية واليهودية. وعن المستوى الاجتماعي فيوحي بأنّ الشّخصيات من الطبقة المترفة، إضافة إلى المستويين العلمي والنّفسي، إذ تميّز بسعة الثقافة وحسن السلوك، وكذا كونها ذات طابع حواري مع الآخر. وقد اعتمد الكاتب على ما اصطلح عليه فيليب هامون بالمحاورة الدلالية (significatifs

Axes) في اختياره << محور السن، كالمقابلة بين الشيّخ والشّاب>>[1]. وهو ما يتجلّى في شخصية **العجوز هيلين(الغرب)** وشخصية **الشّاب وائل (الشّرق)**.

وسنحاول التطرّق إلى **الشّخصيات الرئيسية** التي تمثّل الغرب:

الشخصية الأولى:

الدكتورة هيلين جيرن: دكتورة متخصّصة في دراسة علم اللّغات الشرقية، تعرّف بنفسها قائلة: "أنا الدكتورة (هيلين جيرن) أدرّس علم اللّغات الشّرقية في جامعة بنسلفانيا، زرت العديد من البلدان العربية، كما أنّي مهتمة بشكل خاص بالحضارة الإسلامية... لقد عشت وزوجي ما يقارب الخمسة عشر عاما في مصر والعراق".[2]

وعن **مظهرها فقد كانت عجوزا**، يصفها وائل كالتالي: "عد يا وائل لا تتحدّث مع تلك **العجوز** عن كبرياء الموت".[3] وتضيف الكاتبة: **"على يمينه امرأة عجوز، لم يُبق منها الدهر سوى ابتسامة متعبة، ترسمها بصمت، لتختفي وسط الخطوط العميقة، والتجاعيد التي تحب الظهور بقدر كرهنا لها!!"**[4]

أمّا ديانتها، فقد كانت مسيحية، بقلب مسلم، تطرح بعض الإشكاليات منذ صباها وجدت جلّ الأجوبة في دين الإسلام، كالخمر الذي يذهب العقل، حيث تقول: "كان عمري تسعة أعوام حين قلت للقسيس: إن أعجب لأنّ الله لم يحرّم الخمر..."[5]

[1] -Philippe Hamon, Pour un statut sémiologique du personnage , version remaniée d'un article paru dans la revue littérature, Larousse, Paris, 1972, p.129.

[2]– لن أموت سدّى، ص 45.

[3]– المرجع نفسه، ص 88.

[4]– نفسه، ص 27.

[5]– نفسه، ص 82.

كما تستذكر **موقف القسيس وعجزه بإجابة تشفي غليلها:** "ابتسم القسيس بحنو، ووضع كفّه على وجهي، عنّف أمي، ثم قال لها: إنّها طفلة مؤمنة، ولكنّي لم أتوصّل لحكمة الله بعد.."التفت إليها بسرعة، رأى الصليب يتدلى على صدرها بقلادة جميلة فابتسم".[1] من خلال ما سبق نستنتج أنّ **شخصية الدكتورة هيلين بيرن** مثّلت الغرب بامتياز من خلال سنّها المتقدّم الذي يدّل على التجربة الطويلة وحكمتها أثناء الحوار مع الآخر وتقبله، إلى جانب مستواها العلمي المتمثّل في دراسة علم اللغات الشرقية، بهدف الاطلاع على الشّرق والتأثّر به، وتمجيد ثقافة الآخر، ممّا مكّن تفوّق الغرب في مجال العلم والتكنولوجيا.

الشخصية الثانية:

جين: شخصية أمريكية ذات أصول يهودية جاءت إلى الأراضي الفلسطينية المحتلّة في رحلة سياحية مع أبيها، كانت برفقة مستوطن يهودي تستكشف فلسطين، حين هجم أحد جنود الاحتلال الإسرائيلي بمدفع محاولًا دهس طفلين فلسطينيين، حينها ألقت بنفسها أمام المدفع كي تنقضهما، بعدما لاذ صديقها بالفرار، جاء وائل وحملها للمستشفى الفلسطيني، بعدما أصيبت بجراح، وبمداومة وائل زيارتها أحبّته، واطّلعت على حقيقة جرائم المحتل، الذي تعمد الصّحافة إلى التستّر عنها.

تميّز **مظهرها** بالجمال الذي أسر وائل فأحببها بدوره، كانت شقراء، وعدته بحياة سعيدة إن هو قبل السفر معها إلى نيويورك. "تحلم بالرغد الذي ستوفّره لك حبيبتك **الشقراء**".[2]

ومن بين **الأوصاف الماديّة** التي خصّت بها الكاتبة شخصيّتها **جين** نذكر:

"سرعان ما كانت **جين** تقتحم مخيّلته بشعرها **الأشقر** ونظراتها المرحة..."[1]

[1]– لن أموت سدى، ص45.

[2]– المرجع نفسه، ص 54.

"**وجه جميل** تتدفق الحياة في تفاصيله الدقيقة **وشعر نسجته الشمس** على رأسها قبل أن ترحل! "[2]

"تقدّم والدها منها ! سألها بحنو، وهو يداعب خصلات شعرها **الأصفر** بأصابعه:

"**الأزرق** يلقيه في **عيني** جين ليقتحمه البحر..."[3]

جين في المستشفى: "لكنّك ما تزالين **جميلة !**"[4]

وائل للعجوز: "إنها **جميلة وطيّبة**..."."[5]

وعن ديانتها يرجّح أنّها كانت يهودية، لزيارتها الأراضي الفلسطينية المحتلّة، برفقة مستوطن يهودي.

أمّا **الجانب النفسي** فقد كانت طيّبة محبّة للخير، ودلالة ذلك مساعدتها الطفلين الفلسطينيين، "**صاحت جين غير مصدّقة: (لا... لا) وركضت باتّجاه الصغيرين**"

"**جسد ممدّد على الأرض بلا حراك، وصرخة ألم تاهت بين الأصوات**".[6]

وعن **الجانب الاجتماعي**، فقد كانت من الطبقة المترفة، تعيش حياة بذيئة في معاقرة الخمر ومجالسة الرجال. يقول وائل: "جين تحمل كأسها وترقص، تنتقل من ذراع لآخر، تتوزّع على وجهها عشرات القبلات..."[1]

---

[1]– لن أموت سدى، ص 121.
[2]– المرجع نفسه، ص 123.
[3]– نفسه، ص 145.
[4]– نفسه، ص 126.
[5]– نفسه، ص 136.
[6] – نفسه، ص 124.

مثّلت **شخصية جين الجانب الاجتماعي** السّلبي للغرب بما يمثّله من انحلال وانفلات خلقيين، إضافة إلى **الجانب الإنساني** الذي يتّضح من خلال مساعدتها للفلسطينيين، وحبّها لوائل (الشّرق) وقبولها الآخر والانفتاح عليه، بل ومحاولة الاندماج معه ومد يد العون. يتجسّد ذلك من خلال محاولتها أخذ وائل لأمريكا من أجل إجراء عملية جراحية له على مستوى القلب، والزّواج به، كخطوة نحو حب التملّك، والسّيطرة على الآخر.

[1]– لن أموت سدى، ص 150.

2. الصورة البشرية للغرب في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

للبعد النّفسي سمة خاصّة في تشكيل ملامح الشّخصية من أسماء، وأحوال نفسية، ومونولوج (الداخلي والخارجي).

ونستعرض في الجدول الآتي أهم ملامح تشكّل الصّورة البشريّة للغرب في رواية

	الملمح						
	الاسم	العمر	المظهر	البلد	الوظيفة	الديانة	المستوى العلمي
الشّخصيات	سارة	شابة	جميلة شقراء	فرنسا	باحثة مستشرقة	البوذية	مثقفة
	فرانتس ريتر	شاب	أشقر	فيينا	موسيقار	المسيحية	مثقف

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الكاتب في إشارته لصورة الغرب، قد اختار اسم سارة الذي نجده متداولا بكثرة في الشّرق، إضافة إلى أسماء غربية محضة. وعن البلدان فغربية، أمّا ملامح الجسد فتتلخّص في (الشعر الأشقر). وتوزّعت الديانة بين المسيحيّة والبوذيّة واليهوديّة، كما اتّسم الجانب الاجتماعي بالثراء والحرية المطلقة... وغلب على الجانب العلمي التفوّق.

الشخصيّات الرئيسة:

سارة: مستشرقة معاصرة، فرنسيّة من أصول يهوديّة، شابّة في مقتبل العمر، ألهمها سحر الشّرق وروحانيّته، تصبو إلى اكتشاف الشّرق، وإزالة صور التشويه الذي لحق به، زارت عدّة بلدان في الشرق مثل: سوريا، إيران، العراق، تركيا كما واصلت رحلتها وصولًا لدول من الشّرق الأقصى مثل ماليزيا.

مظهرها: شابّة جميلة، شقراء، وبما أنّها الفتاة التي عشقها فرانتس فقد نالت حظها من الوصف الجسدي، إضافة إلى كونها الشّخصية الرئيسية في الرواية. حيث يصفها فرانتس قائلا: "أن أرى شعرها الأصهب الطويل والمجعد، وجنتاها الممتلئتان، والشّمس المتناثر على وجهها، كانت تمنحها هيئة طفولية تتناقض مع نظراتها العميقة التي تكاد أن تكون قاسية".[1]

«Ses cheveux roux, longs et bouclés ; ses joues rebondies et ses taches de rousseur lui donnaient un air enfantin qui contrastait avec son regard profond, presque dur». [2]

ثم يضيف عن علاقة ملامحها الجسدية بالشّرق: "كان لوجهها ولون بشرتها وشكل عينيها صبغة شرقيّة ما".[3]

«Elle avait déjà un je-ne-sais-quoi d'oriental dans le visage, dans le teint et la forme des yeux».[4]

ويتذكّر أوّل لقاء بينهما، وهو يلقي عليها التحية، كان "مفتونا بنصها، وبجمالها الباهر، وبخصلة شعرها البنية المائلة إلى الاحمرار التي كانت تحجب وجهها حين راحت".[5]

[1]– البوصلة، ص 37.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.21.

[3]– البوصلة، ص 37.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.21 .

[5]– البوصلة، ص 37.

«Attiré par la qualité de son texte et, bien sûr, sa grande beauté, la mèche auburn qui dissimule son visage lorsque».[1]

وهو ينظر إليها جالسة على حافّة الحوض الحجري، "خصائل شعرها المجعّدة والطويلة تداعب الأحرف الرونية".[2]

«Ses longues boucles caressent les runes».[3]

ويتأمّل الموسيقي "بتفاصيل جسدها، بعينيها ووجهها،بسحابتي النّمش اللتين تبرقعان وجنتيها، بصدرها الذي غالبا ما تخفيه بساعديها عبر شبك يديها تحت ذقنها كأنها تستر عريها".[4]

«Est-ce que j'avais détaillé son corps, ses yeux dans son visage comme au musée, les deux nuées de taches de rousseur sur les pommettes, sa poitrine qu'elle cachait souvent avec ses avant-bras en croisant les poignets sous le menton, comme si elle était nue».[5]

ويدلّ لباس سارة يدلّ على أنّها من طبقة راقية، تقف عادة نصف عارية في غرفة في ساراواك، بالكاد يستر جسدها قميص بلا أكمام وشورت" من القطن، ثمة قليل من العرق بين عظمتي الكتف وفي تجويف الركبتين، وشرشف مردود ومكور بين بطتي الساقين".[6]

«Sarah à demi nue dans une chambre au Sarawak, à peine vêtue d'un débardeur et d'un short en coton ; un peu de sueur entre les omoplates et au creux des genoux, un drap repoussé, en bouchon, à la moitié des mollets».[7]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.21.

[2]– البوصلة، ص 41.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.24.

[4]– البوصلة، ص 58.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.33.

[6]–البوصلة، ص 63.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.36.

وهي تقتني من المحلات "لم يكن نادرا أن يحاول أصحاب المحال المبهورين بتوهّج هذا الملاك ذي البسمة القرمزيّة والشعر الكستنائي المائل إلى الحمرة".[1]

«Il n'était pas rare que les boutiquiers hypnotisés par l'éclat de cet ange auburn au sourire carmin».[2]

وعن شكل قدميها يقول فرانتس: "إنّ قدمي سارة مقوّستان تماما، يمكن جدولا أن ينساب من تحتها بسهولة".[3]

«Les pieds de Sarah ont un pont parfait, sous lequel coulerait aisément une petite rivière».[4]

"وأنا مستلق وسارة عارية إلى جانبي ضفائر شعرها الطويلة جدول تبطئ صخور الفقرات من سرعة جريانه".[5]

«Je suis allongé avec Sarah nue à mes côtés ; ses longues tresses forment un ruisseau, ralenti par les rochers des vertèbres».[6]

ثمّ يضيف: "أتمعّن في جسدها الممشوق، ذي العضلات المشدودة، والذي يكاد يكون هزيلا".[7]

«Je détaille son corps svelte, musclé, presque maigre».[8]

[1]– البوصلة، ص 174.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.96.

[3]– البوصلة، ص 182.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.100.

[5]– البوصلة، ص 241.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.131.

[7]– البوصلة، ص 241.

[8]– Mathias Enard, *Boussole*, p.131.

"كنت أتأمّل سارة، شعرها النحاسي، عينيها اللامعتين، وجهها المشرق، ابتسامتها الحمراء المرجانية".[1]

«J'observais Sarah à la chevelure de cuivre, au regard brillant, au visage illuminé, au sourire de corail et de nacre».[2]

ويصف سارة: "شعرها كتلك السمكات الذهبيّة التي تلتمع في المياه البنيّة". [3]

« Ses cheveux sont ces poissons dorés chatoyant dans l'eau brune».[4]

"...يدها البيضاء تغوص في الماء ..."[5]

«…agenouillée sur une margelle et de sa main blanche».[6]

ويصف فرانتس سارة قائلًا: "بالرغم من هزالها والهالات السود تحت عينيها كان وجهها ينضج بالقوة والتصميم والحنو في الوقت عينه، نظراتها كانت تشعّ بلهيب أفكارها، صدرها كان يبدو أكثر ضمورا من ما كان عليه قبل بضعة أشهر كانت تقويرة كنزتها من الكشمير الأسود، تكشف عن طرف من اللّون عينه، لثوبها الدّاخلي الذي يظهر خط حمّالته الرّفيع تحت الصّوف وسيط الكتف، وكان النّمش الذي يبرقع بشرتها، حيث العظمة الناتئة التي تتوسّط قفصها الصدري، ينتشر على طول طرف ثوبها الداخلي وصولا إلى عظمتي الترقوة

[1]–البوصلة، ص 265.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.144.

[3]– البوصلة، ص 367.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.201.

[5]– البوصلة، ص 367.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.201.

اللّتين يتدلّى فوقهما قرطان من أدنيها، كانت يداها الشّاحبتان اللّتان تبرز عروقهما الزّرقاء الطّويلة تتعاركان مع الهواء وهي تلقي خطبتها".[1]

« Malgré les cernes et la maigreur, son visage était puissant, déterminé et tendre à la fois. Son regard brûlait du feu de ses idées ; sa poitrine paraissait plus menue que quelques mois auparavant ; le décolleté de son pull en cachemire noir dévoilait des festons de la même couleur, limite d'un corsage dont une ligne fine, sous la laine, au milieu de l'épaule, laissait deviner la bretelle. Les taches de rousseur de son sternum suivaient la limite de la dentelle et remontaient jusqu'à la clavicule ; j'apercevais la naissance de l'os au-dessus duquel pendaient des boucles d'oreilles, deux pièces héraldiques imaginaires gravées de blasons inconnus. Ses cheveux étaient attachés haut, retenus par un petit peigne d'argent. Ses mains claires aux longues veines bleutées brassaient l'air au gré de son discours. »[2]

وعن لون شعر سارة، الذي يشبه لون إحدى المقبرات يقول: "...**أحمر كشعر سارة** ..."[3]

«…Rousse que la chevelure de Sarah... »[4]

وفي وصف سارة وهي داخل سيارة الأجرة في طهران: "كانت ترتدي عباءة زرقاء داكنة وحجابا منقّطا بالأبيض تبرز منه بضع خصلات من شعرها الأصهب".[5]

« Elle portait un manteau islamique bleu foncé et un foulard à pois blancs d'où dépassaient quelques mèches de ses cheveux roux».[6]

ويضيف: "بقع النمش هذه التي تمتد إلى عنقها."[1]

[1]– البوصلة، ص 378.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.207.

[3]– البوصلة، ص 386.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.211.

[5]– البوصلة، ص 451.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.248.

«Ces taches de rousseur qui remontaient jusque sur la nuque».[2]

"سروال أسود، كنزة ذات قبة عالية حمراء، معطف أسود تحت خصلات شعرها الملتهبة."[3]

« Pantalon noir, pull à col roulé rouge, manteau noir sous ses mèches flamboyantes».[4]

"... **الحسناء ذات الشعر الأحمر** والوشاح البرتقالي".[5]

« Avec cette sublime rousse au foulard orange. »[6]

"كانت قد بلغت الخامسة والأربعين وتبدو في عمر طالبة، مشط داكن يضفر شعرها، مشبك فضي يلتمع تحت وشاحها، لم تتبرّج كان وجهها يشعّ ببهجة طفولية".[7]

«Elle a eu quarante-cinq ans et pourrait passer pour une étudiante. Un peigne sombre retient ses cheveux, une fibule d'argent brille sur son châle. Elle n'est pas maquillée. Elle a une joie enfantine sur le visage» .[8]

وبعد مرور حين من الدّهر يقول فرانتس: "لقد أضحينا اليوم أنا وسارة **زوجين من العجائز**".[9]

«Aujourd'hui nous sommes comme un vieux couple, Sarah et moi».[10]

---

[1]– البوصلة، ص 451.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.248.

[3]– البوصلة، ص 500.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.276.

[5]– البوصلة، ص 504.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.278.

[7]– البوصلة، ص 504.

[8]– Mathias Enard, *Boussole*, p.278.

[9]– البوصلة، ص 220.

[10]– Mathias Enard, *Boussole*, p.120.

من سماتها أيضًا أنّها **شخصية حوارية** محبّة للاكتشاف والاطّلاع على ثقافة الآخر. تمثّل ذلك في حوارها مع نديم الإيراني، وكذا ملاحظاتها حول زيارتها للعديد من المعالم الأثريّة التي يزخر بها الشّرق، إضافة إلى ما ميّز حوارها مع نساء القبيلة البدويّة في صحراء سوريّة التي استضافتها رفقة فرانتس.

تدين سارة **بالبوذيّة**، التي وجدت فيها ملاذها الرّوحي. إذ يؤكّد فرانتس: "ليس اهتمامها وولعها بالبوذيّة مجرّد سعي إلى الشّفاء" ويقصد بالشّفاء هنا عن حرقتها بموت شقيقها".[1]

« Son intérêt et sa passion pour le bouddhisme ne sont pas qu'une recherche de guérison »[2]

وتُعلّق سارة عن اعتناقها للبوذيّة بعد سنتين: "فالمرء لا يعتنق هذه الديانة بل يلتجئ إليها يلتجئ إلى بوذا هذا بالضبط ما فعلته التجأت إلى هنا وجدت ملاذي في كنف بوذا في تعاليم بوذا وبين النسّاك البوذيّين".[3]

« Les bouddhistes ne parlent pas de "conversion", on ne se convertit pas au bouddhisme, on y prend refuge. On se réfugie auprès du Bouddha. C'est exactement ce que j'ai fait. Je me suis réfugiée ici, dans le Bouddha, dans le dharma, dans la sangha.»[4]

وتضيف عن البوذية: "أكتشف في دواخلي وفي العالم حولي طاقة جديدة، قوّة لا تشترط بتاتا تنازل الإنسان عن عقله على العكس تماما". [5]

« Je découvre, en moi et autour de moi, une énergie nouvelle, une force qui ne demande en rien que j'abdique ma raison, bien au contraire».[1]

[1]– البوصلة، ص 484.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.267.

[3]– البوصلة، ص 486.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.268.

[5]– البوصلة، ص 487.

وعن عشق سارة للبوذيّة يقول فرانتس: "إنّ طريقها الطويل نحو البوذيّة بدأ بالفضول العلمي باكتشافها قصّة بوذاسف في "مروج الذهب" للمسعودي وعندما كانت تعمل على بحثها حول المخلوقات الغرائبية خلال بداية سيرتها المهنيّة".[2]

«Son long chemin vers le bouddhisme commence par un intérêt scientifique, par la découverte, dans Les Prairies d'or de Massoudi ».[3]

وعن تصرّفات "سارة برغم اعتناقها البوذيّة".[4] إلاّ أنّها ثابتة في شخصها.

«Sarah malgré ses années de bouddhisme».[5]

وفي رسالة سارة لفرانتس مبرّرة اعتناقها للبوذية تقول: "أضحت ألكسندرا دافيد – نيل لاحقا من أولى مستكشفات التبت وأولى الأوربيات اللاتي اعتنقت البوذية".[6]

«Alexandra David-Néel fut ensuite l'une des premières exploratrices du Tibet et une des premières femmes bouddhistes d'Europe».[7]

أمّا **الجانب الخلقي**، كانت سارة رغم ثقافتها الواسعة، واتّزانها في سبر أغوار الحقيقة مدمنة للكحول. يقول فرانتس: "أشرب النبيذ الأبيض تحت عريشة برفقة سارة..."[8]

«Sous une treille à boire du vin blanc avec Sarah».[9]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.268.

[2]– البوصلة، ص 499.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p. 275.

[4]– البوصلة، ص 221.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.120.

[6]– البوصلة، ص 486.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.268.

[8]– البوصلة، ص 27.

[9]– Mathias Enard, *Boussole*, p.17.

أمّا على **المستوى الثقافي** فقد "كانت سارة تحبّ القراءة والدّراسة، الحلم والسفر".[1]

« Sarah aimait la lecture, l'étude, le rêve et les voyages».[2]

كما "تجيد العربيّة والفارسيّة أكثر بكثير من الألمانيّة".[3]

«Parle bien mieux l'arabe ou le persan que l'allemand».[4]

مثّلت **شخصيّة سارة** النموذج الحضاري الأجدر لقيادة الشّرق والغرب نحو الحوار البنّاء، من خلال إحياءها للإرث الرّوحي الإنساني للشّرق، ودحض الصور النمطية التي طالها التزييف، بل والاعتراف بدور هذا الأخير في صون كرامة الإنسان وقيمه في كلّ المجالات. وعن **الجانب الدّيني** في اعتناقها البوذيّة وإعجابها الشّديد بالإسلام، دلالة على معاناة الغرب من الماديّة؛ والتي أقصت كل ما هو روحاني. ويعدّ هذا تجسيدًا صريحا للانفتاح على الآخر وقبوله بل والانصهار معه.

كما ميّز **الجانب الاجتماعي** بعضًا من صور الانحلال الخلقي، يظهر ذلك في معاقرة الخمر، وممارسة الجنس مع رفيقها فرانتس.

أمّا **المستوى الثقافي والنّفسي**، فقد أكّد الكاتب على تفوّق الغرب في مجال العلم، مقارنةً بشرقٍ متخلّفٍ يعيش على ذكرى أجداده، بعدما استفاد الغرب من مخلّفاته الغنية بالمعارف والقيم.

[1]– البوصلة، ص 276.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.149.

[3]– البوصلة، ص 136.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.76.

2- فرانتس ريتر: مستشرق وباحث موسيقي نمساوي، مصاب بالأرق، وبمرض أرهقه لم يفصح عنه، حينها يسترجع ذكرياته وهو طريح على الفراش، يسرد ماضيه في الشّرق الآسر ورحلاته رفقة الفاتنة سارة.

يصف فرانتس نفسه في صورة قديمة له: "القميص الأزرق ذو المربعات، الشّعر القصير، النظارات الشّمسيّة، الذقن المثبّتة على قبضة السيّد اليمني، هيئة مفكّر يتأمّل زرقة الخليج العربي والسماء".[1]

«La chemise bleue à carreaux, les cheveux courts, les lunettes de soleil, le menton bien appuyé sur le poing droit, un air de penseur face au bleu clair du golfe Persique et au cyan du ciel».[2]

وعن **الجانب الديني**، فقد كان يدين **بالمسيحية**، إلّا أنّه غير ملتزم، يعترف بذلك قائلًا: "فأنا شخص ضعيف الإيمان".[3]

«Homme de peu de foi que j'étai».[4]

أمّا **الجانب النفسي**، فقد كان مدمنا للأفيون، محبّا للشهوات؛ من خلال ممارسته الجنس مع حبيبته سارة، عاشقًا للموسيقى، خاصّة تلك التي تنتمي لقطب الشّرق الإسلامي، نفسيّته محبطة جرّاء بعد سارة عنه.

تعدّ **شخصية فرانتس** التي حمّلها الكاتب بدلالات ورموز وقيم كثيرة. **خاصّة عشقه للموسيقى إحدى أهم سبل الحوار غير المباشر بين الشّرق والغرب، فالموسيقى** التي عشقها وامتهنها هي لغة تخاطب الوجدان البشري، مهما كانت هوّيته وجنسه، كما تمثّل

[1]- البوصلة، ص294.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.159.

[3]- البوصلة، ص 96.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p. 53.

جسرا للتواصل المشترك قصد إرساء ثقافة تتواصل عبرها الشعوب، وعليه فهذه الشّخصية في أبعادها دعوة صريحة لقبول الآخر ناهيك عن خلفياتها الإيديولوجية هذا من جانب، كما اتّسمت بالعلو والفوقيّة من خلال رفض الآخر إن تعارضت المصالح، ويظهر ذلك في غيرته من نديم الإيراني(الشرق) الذي بحسبه يشاركه حبّ سارة، رغم تراجعه في الأخير عن قراره بعدما اكتشف أنّه مجرّد زميل لها من جهة أخرى، فالكاتب يشير إلى ضرورة اكتشاف الشّرق، سعيا لإقصاء الصّور النمطيّة المتخيّلة عنه.

إضافة لذكر بعض **ملامح الغرب** في تشكيلها **للشّخصيات الثانويّة** :

الملمح			
	الاسم	**العمر**	**المظهر**
الشخصيات		**شابة**	وفي وصف لنماذج التماثيل قصد التدرّب عليها أثناء التشريح "من بين النماذج المعروضة في صناديق من الخشب النّفيس، كان هناك على وسادة زهريّة بهت لونها مع الزمن، شابّة شقراء رقيقة الملامح..."[1] «Parmi les modèles exposés dans des vitrines de bois précieux se trouvait, sur un coussin rose pâli par le temps, une jeune femme blonde aux traits fins»[2]
		طفل صغير	كما صمّموا بداخلها جنين "على مسافة بضعة سنتيمترات من العانة **وشعيراتها الشّقر** بالكاد تبصرها العين".[3]

[1]– البوصلة، ص 22.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.14.

[3]– البوصلة، ص 23.

« Le minuscule fœtus contenu dans la matrice rosâtre, à quelques centimètres du pubis aux poils blonds».[1]			
وعن النشيد الأوربي الذي يلعلع "من أثينا وصولا إلى "ريكيافيك" ملامسا نحو رؤوسنا **الشّقر البهيّة**".[2] « Celui qui retentit depuis Athènes jusqu'à Reykjavík et se penche sur nos charmantes têtes blondes». [3]			
ويصف إحدى الانكليزيات: "هل ترون هذه الإنكليزيّة **السّمينة الجالسة** في مقدّمة المسرح".[4] «Voyez-vous cette grosse Anglaise assise à l'avant-scène».[5]			
وعن وصف جين: "أتساءل ما إذا كان بلزاك وقع فعلا في شبّاك هذه المغامرة المثيرة للفضائح وذات **العينين الزرقاوين**".[6] «Je me demande si Balzac a bel et bien été séduit par la scandaleuse aventurière aux yeux bleus».[7]			

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.15.

[2]– البوصلة، ص 47.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.27.

[4]– البوصلة، ص 90.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.50.

[6]– البوصلة، ص 120.

[7]– Mathias Enard, *Boussole*, p.67.

وفي وصف العشيقين الفرنسيين: "أتذكّر مؤرّخة فرنسيّة بشوشة ذات شعر بنّي طويل، ورفيقها البشوش **والبني الشّعر** هو الآخر".[1] «Je revois une historienne française souriante, brune aux cheveux longs, et son compagnon, tout aussi brun et souriant». [2]			
ويضيف: "كانت تدّعي جولي وهو فرنسوا –ماري، أرى مجدّدا **وجهه النّحيف، اللّحية الدّاكنة**، كان تناسق سمات وجهه لغز حقيقي، روح دعابته **ونظراته الماكرة** تخفّف من قساوة مجمل هيئته".[3] « Julie et lui François-Marie, je revois sa figure maigre, sa barbe sombre et, mystère de l'harmonie d'un visage, son humour et son regard malicieux qui compensaient la dureté de l'ensemble ».[4]			
"كانت قدم فرنسوا ماري المؤرّخ " **قدم** شخص من بوردو".[5] «disait-il, "le pied bordelais"».[6]			

[1]– البوصلة، ص 173.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.95.

[3]– البوصلة، ص 174.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.96.

[5]– البوصلة، ص 182.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.100.

يصف فيكتور هوغو بلزاك: "كان وجهه بنفسجيًا أسود تقريبا يميل إلى جهة اليمين، لحيته غير مشذّبة، شعره رماديا قصيرا، وعيناه جامدتين ومفتوحتين على وسعهما".[1] وهذا بعدما كان على فراش المرض. «Il avait la face violette, presque noire, inclinée à droite, la barbe non faite, les cheveux gris et coupés court, l'œil ouvert et fixe».[2]			
وصف بيلغر: "فلم نكن نبصر منه إلا **شعره الأشقر القصير** الذي بدا كأنّه هالة من الذّهب".[3] «On n'en distinguait que la limite blonde des cheveux courts, une auréole».[4]			
ويصف أحد الأطباء: "يرتدي معطفًا أبيض مفتوحًا على سروال من القماش الأزرق، كان بدينًا بعض الشّيء وجهه سمينًا مستديرًا ولهجته برلينيّة".[5] «Portait une blouse blanche ouverte sur un pantalon de toile bleue ; il était un peu gras, avec une grosse figure ronde et un accent de Berlin».[6]			

[1]– البوصلة، ص 122.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.68.

[3]– البوصلة، ص 196.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.107.

[5]– البوصلة، ص 207.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.113.

			ويعين **كاتارينا فوكى** وهي باحثة مختصّة بالعلاقة بين الموسيقى والسّينما لكاتارينا فوكس **وجه لطيف، وجنتاها حمراوان،** عيناها فاتحتا اللّون، نظاراتها غير مزعجة بتاتًا، **يداها طويلتان** وهي تعتني بأظافرها".[1] «Katharina Fuchs a un visage agréable, des pommettes rouges, des yeux clairs, des lunettes très longues mains discrètes, des cheveux châtains et de aux ongles soignés».[2]
			وفي وصف أحد القادة البريطانيين: "بدل التحاقه بصفّ ذاك البريطاني **الطّويل القامة والهزيل الجّسد** الذي تفوح منه روائح تصوّف ووثنيّة مربّعة، ومن حكومته، نتانة الخيانة والمكائد التي تحاك في الظّلمات".[3] «Plutôt que du côté du Britannique efflanqué, dont l'étrange mystique exhalait d'affreux relents de paganisme et le gouvernement des remugles de sourde trahison».[4]

من خلال الجدول أعلاه يتّضح لنا أنّ الكاتب قد أبرز عدّة **ملامح جسدية،** تشكّل صفات خاصة بالغرب المختلف عن الشّرق، تجسّد هذه الصّفات تفوّقه من خلال التغيّر الدائم في

[1]– البوصلة، ص 218–219.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.66.

[3]– البوصلة، ص 304.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.164.

نمط الثياب، والذي يعكس الحالة الاجتماعيّة الرّاقية، عكس الشّرق الثّابت، المنطوي في مظهره، المحافظ على النّمط الأصيل من مظهر وثياب وتقاليد.

جوليان جلال الدين فايس: مسيحي، اعتنق الإسلام، وغيّر اسمه، تميّز بثقافته الواسعة التي أدّت به إلى الإعجاب بالدّين الإسلامي، الذي وجد فيه إجابات شافيّة لإشكالاته، يصفه فرانتس: "شعرت بالنّفور من هذا الرّجل الأشقر والوسيم، لم يرق لي ادّعاءه ولا سعة علمه ولا تصرّفه كسلطان من بلاد الشّرق".[1]

«Ce bel homme blond me fut immédiatement antipathique – je n'aimai ni sa prétention, ni son savoir, ni ses grands airs de sultan oriental ni».[2]

فتوظيف الكاتب لهذه الشّخصية إشارة منه لانصهار الغرب مع الشّرق والذّوبان فيه.

صورة اليهود:

يعدّ اليهود من الشعوب التي كتب عليها الشتات في الأرض، والتي لا تملك وطنًا، إلاّ أنّ خصوصيات أفرادها تتقاطع ودول الغرب، اجتماعيا، نفسيا...نتيجة عيشهم في كثير من دول هذا الأخير. بزغت أعمال اليهود في شتّى الميادين كالطب، الموسيقى، الأدب...كما يتمركز القليل منهم في فلسطين بصفتهم احتلالًا أسر غزة، وعن عن المعتقد فهم يدينون باليهودية، وهي إحدى الدّيانات السّماوية الثلاث الكبرى، والتي نال التزييف والتحريف منها حظهما. فكيف جسّد الكاتب صورة اليهود؟

سنحاول التطرّق لملامح الصّورة البشريّة لليهود في رواية *Boussoule* ل Mathias Enard من خلال الجدول التالي:

[1]– البوصلة، ص 222.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.121.

	الملمح						
	الاسم	العمر	المظهر	البلد	الديانة	الوظيفة	السلوك
الشخصيات:	فيرانوا	شيخ	أشيب أنيق	تركيا من أصول يهودية	اليهودية	سائق سيارة الأجرة	حواري ثرثار منحرف

إذن اختار الكاتب جملة من الصّفات التي تميّز اليهود عن باقي الجماعات البشريّة. ومن بين أهم الشّخصيات التي تعرض لها الكاتب نذكر:

فيرانوا: شيخ تركي من أصول يهوديّة، يعمل سائقًا، كثير الكلام، **ذو روح مرحة**، أمّا **مظهره الخارجي** يقول فرانتس: "اقترب مني **رجل مسنّ لحيته بيضاء قصيرة**".[1]

«Un homme d'un certain âge avec une courte barbe blanche».[2]

– "لكن **أشيب** بعض الشيء بطبيعة الحال، كان **يسهب في الكلام مسرورًا**".[3]

«En un peu blanchi bien sûr. Il parlait beaucoup, heureux».[1]

[1]– البوصلة، ص 107.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.59.

[3]– البوصلة، ص 109.

ثم يضيف: "كان السيد فيرانو يبدو **في الخامسة والستين من عمره تقريبًا، طويل القامة، قوي البنية وأنيق** إلى حدّ ما، ببذلته، **ولحيته القصيرة وشعره المصفّف إلى الخلف** بواسطة "الجل" كان يشبه فتى شابًا ومغروما".[2]

«M. Virano devait avoir environ soixante-cinq ans, il était grand, plutôt élégant, avec un côté athlétique ; son costume, sa courte barbe et ses cheveux gominés en arrière lui donnaient un peu l'air d'un jeune».[3]

تعدّ هذه **الشخصية اليهودية** المسنّة دعوة لتجسيد الحوار بين الشعوب، فاليهودي يعيش في بلد إسلامي منفتح على الآخر، يرفض النظرة الدّونية المتعصّبة، وهو نموذج للتعايش السلمي بين الثقافات والمعتقدات.

أمّا **القوة الجسمانيّة** التي يتمتّع بها فهي توحي للهيمنة اليهودية على الشّرق، بسيطرته على فلسطين غصبا، دون رد فعل لبلدان الشّرق.

وعن **الجانب الاجتماعي** فالكيان الصّهيوني متحكّم بالاقتصاد العالمي، منتشر عبر كل بقاع الأرض، ينعم بخيرات الشّعوب المستضعفة.

كما وضّح الكاتب **الجانب الخلقي** المنهار من خلال الممارسات التي يقوم بها فيرانو، من معاقرة للخمر، واستغلال للنساء كوسيلة للإغراء.

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.60.

[2]– البوصلة، ص 109.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.60.

المبحث الثاني: الصّورة النّفسية "المعتقد" للغرب في روايتي في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الزّجبي و *Boussoule* de Mathias Enard

1. اليهوديّة

1.1. اليهودية في رواية "لن أموت سدى"

يرى **الإمام محمد عبده** (1849-1905) أنّ الدّين: "إذا كان كافلًا بتهذيب الأخلاق، وفلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة ما ليس لهم في غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخفّ من إحداث ما لا إلمام لهم به..."[1] هذا ما يؤكّد انتهاج اليهود التشدّد والعصبية تّجاه الآخر، في اعتقاده الشّرق عدوّه الذي يشاركه الأرض. ويضيف **جمال الدّين الأفغاني** (1838-1897م) الدّين على أنّه: " قوام الأمم، وبه فلاحها، وفيه سعادتها، وعليه مدارها... وهو النظام المدني الحقيقي... والسّبب المنفرد لسعادة الإنسان... يرفع أعلام المدنيّة لطلابها، بل يفيض على التمدين من دِيَم الكمال العقلي والنفسي ما نظفرهم بسعادة الدارين".[2]

ولقد نظمت الأديان السّماوية "سلوك الناس، وهدتهم إلى الخير و الرّشاد".[3] إلاّ أنّ اليهود على مرّ العصور أكثر النّاس نبذا للآخر، وانطواءً على الذّات، باعتقادهم الجازم أنّهم شعب الله المختار، أمّا باقي البشر فخلقوا لخدمتهم. **وفي وصف اليهود**، يقول **غوستاف لوبون:** "ويعرف جميع قرّاء التّوراة وحشية اليهود التي لا أثر للرحمة فيها، وما على القارئ ليقنع بذلك، إلاّ أن يتصفح نصوص سفر الملوك التي تدلّنا على أن داود كان يأمر بحرق جميع

[1]- أحمد محمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري "بين الإحياء الإسلامي واللّحدين الغربي"، مرجع سابق، ص 20.

[2]- المرجع نفسه، ص 19.

[3]- محمد أمين المصري، المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص13.

المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار، وكان الذّبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قلّ، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادرون باسم (يهود) من غير نظر إلى الجنس أو إلى السن، وكان التحريق والسّلب يلازمان سفك الدماء".[1] لم يشهد التّاريخ شعبا أكثر دمويّة وقمعا للآخر مثل اليهود.

رغم أنّ جوهر الدّين: "هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة..."[2] ويؤسّس روح التعايش السّلمي والتسامح، وقبول الآخر دون النظر إلى خلفياته الإيديولوجية، والعرقيّة، والثقافيّة.

ومن **الصّور** التي أرادت الكاتبة بثّها عبر هذه القطعة الأدبيّة عن اليهود، وعن معوّقات الحوار بين معتنقي الإسلام واليهوديّة نذكر:

1.1.1. أحقية ملكية الأرض

يتجلّى الصراع بين اليهود والمسلمين في إشكاليّة **أحقية ملكية الأرض**، فهو **صراع بين عقيديتين**، يخال اليهود أنّ فلسطين هبة من الله لهم. حيث يقول وائل لهيلين: "تقصدين الأرض؟ ! لو كانت هذه القضية الحقيقية لوجدت اليهود أكثر اندفاعاً للتضحية، فهم يدّعون أنّهم هذه الأرض هدية من الرّب..."[3]

2.1.1. شرق أسير وغرب مهيمِن

توحي الكاتبة في الحوار الذي دار بين وائل(الشرق) وضابط الاحتلال (الغرب)، مقارنتها بين جسد بالٍ أسير تعرّض إلى شتّى أنواع العذاب والقهر، والقمع، واستلاب للحقوق، مكبّل على أرضه بعد رضوخه واستسلامه، وبين مهيمن وناقض لقوانين وعهود المنظّمات الدّولية،

[1]– مصطفى حلمي، الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، مرجع سابق، ص ص، 114–115.
[2]– أحمد محمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري، مرجع سابق، ص 523.
[3]– جهاد الرّجبي، لن أموت سدى، ص 78.

التي تزعم حفظها للسّلام. "نظر إلى المحقّق البذلة العسكريّة في غاية الفوضى، ونجمة داوود تربّعت على الطّاولة المعدنيّة تنظر إليه بازدراء..."[1]

[1]– لن أموت سدى، ص 61.

2.1. اليهودية في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

1.2.1. الدّانوب رمز للقاء الأديان

يعدّ الدّانوب في رواية ***Boussoule*** ل **Mathias Enard** رمزًا للتواصل الحضاري بين الديانات السّماوية الثلاث الكبرى الأخيرة. ففي حديث "سارة" مع "فرانتس عن كتاب "الدّانوب" (كتاب شاعريّ يغوص في عوالم المعرفة والذّات) للكاتب "ماغريس"، والذي اختار هذا العنوان نسبة لنهر الدّانوب، وقد أشار من خلاله إلى اليهودية وعلاقتها بالأديان الأخرى، والسّعي لتأسيس حوار جاد؛ قصد تحقيق السّلام. ومنه يحاول الكاتب تسليط الضوء على قيمة التعايش بين الأديان، في المقابل لا يولي الدّيانة اليهودية أهميّة من خلال شخوصه. حيث يخاطب فرانتس سارة قائلًا: "لقد نسيتِ الدّيانة اليهودية قلت.

ابتسمت لي، متفاجئة بعض الشّيء".[1] وهي تحاول تذكّر تعاليم هذه الدّيانة.

«Tu oublies le judaïsme, j'ai dit. Elle m'a souri, plutôt surprise ; son regard s'est éclairé un instant».[2]

نلمس من الكاتب محاولة تناسي اليهودية، بإشارته إلى ضياع الدّيانة اليهوديّة؛ التي نال التزييف حظه منها. تقول سارة: "هل اصطحبتني إلى المتحف اليهودي قبل أم بعد ذلك، لم أعد أذكر".[3] وتعدّ المتاحف أيضًا أحد سبل التلاقح بين الأديان، لما تحمله من أغراض وقطع مهمّة.

[1]– البوصلة، ص 29.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.18.

[3]– البوصلة، ص 29.

«Était-ce avant ou après qu'elle m'emmène au Musée juif de la Dorotheergasse».[1]

حتّى أنّها كتبت تعقيبا ملحقًا بالدّليل الرّسمي لمتحف فيينا اليهودي. "نص بالغ السّخرية وفكاهي نوعا ما".[2]

«Elle avait même rédigé un Commentaire annexe au guide officiel du Musée juif de Vienne, très ironique, plutôt hilarant».[3]

وهذا كردّ فعل للحالة التي آل إليها المتحف اليهودي، ثم يشدّها الحنين لصورة اليهود بهذا الكم الهائل من الخردوات فيقول: "لكن يالها من صورة عن اليهود ! حقّا يالها من صورة! تخيل تلاميذ المدارس الذين يزورون هذا المتحف سيظنّون أنّ هؤلاء اليهود الذين اختفوا كانوا بورجوازيّين مرابين يهوون تكديس ما هبّ ودب من الخردوات في صناديقهم، وأعتقد أنّها كانت محقّة، فالمشهد هذا كان محبطا موحشا، وأشعرني بشيء من الذنب".[4]

«Mais quelle image de la communauté juive, quelle image, je te jure, imagine les enfants des écoles qui visitent ce musée, ils vont s'imaginer que ces Juifs disparus étaient des argentiers collectionneurs de bougeoirs, et elle avait sans doute raison, c'était déprimant et me faisait sentir un peu coupable».[5]

2.2.1. التعايش السّلمي بين اليهود والشّرق

عاش اليهود إلى جانب المسلمين في سلام واحترام متبادل، خاصّة في آسيا وشمال أفريقيا، وكذا تركيا، فقد انتشروا عبر كل أصقاع الأرض؛ جرّاء الحروب التي قام بها هتلر، بحرق الملايين منهم، ليعودوا إلى فلسطين محاولين تشكيل دولة، إلاّ أنّ هناك الكثير من

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.18.

[2]– البوصلة، ص 30.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.18.

[4]– البوصلة، ص 30–31.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.p.18–19.

المناوئين والرافضين لهذا الخيار، بل يؤكدون على كونهم شعب اللّه المختار ومصيرهم التشرذم والعيش تابعين تحت سلطة المسلمين، فاليهودية بريئة من الحركة الصّهيونية الماسونية، وعلى سبيل المثال العائلات التي سكنت تركيا ومنها الكثير التي عادت "... واستقرّت في أماكن أخرى، في أحياء أكثر عصريّة، في "شيشلي" أو على الطرف الآخر من البوسفور".[1]

«Se sont réinstallées ailleurs, dans des quartiers plus modernes, à Shishli ou de l'autre côté du Bosphore».[2]

يحاول فرانتس التعرّف على آثار معتنقي اليهودية في تركيا؛ باحثًا عن أواصر الرّوابط الإنسانيّة بين اليهود والإسلام الذين عاشوا على هذه الأرض لقرون. وبعدما تقدّم السائق إلى فرانتس سأله: "هل أنت يهودي؟" لم يفهم ريتر ماقاله له لأنّه لا يجيد اللغة التركية، ثم قال الشّيخ مرّة أخرى بعدما شكّ أنّه من اليهود قائلا: "أستطيع أن آخذك في جولة سياحية يهودية. كان الرّجل كنبيّ أتى لينقذني من المياه –اسمه إيليا فيرانو– وكان أحد أعمدة جالية "هاسكوي" اليهوديّة".[3]

«I can make a good Jewish Tour for you. J'avais été abordé par un prophète qui venait me sauver des eaux – Ilya Virano était un des piliers de la communauté juive de Hasköy».[4]

ويعرض الكاتب بعضا من الأمور الخاصّة باليهوديّة، من خلال السّائق اليهودي، الذي يقلّ فرانتس وسارة، حيث يواصل الشّيخ تعريفهما بأهم المعالم اليهوديّة في تركيا ويحثّهما عن

[1]– البوصلة، ص 108.

[2]- Mathias Enard, Boussole, p.60.

[3]– البوصلة، ص 107.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.60.

الفوارق الشعائريّة في الدّيانة: "بالطريقة نفسها أطلعني بها على الفوارق اللّاهوتيّة والشّعائريّة بين التّيارات اليهوديّة المختلفة ..."[1]

«De la même façon qu'il m'initiait aux différences théologiques et rituelles entre les nombreuses branches du judaïsme au gré des visites».[2]

تكمن قيمة الإنسان الحقيقيّة في تقبّله الآخر دون النظر إلى خلفيّته الإيديولوجيّة، وأقرب مثال عن ذلك التعايش السلمي بين الأتراك واليهود. وحتّى يتجسّد ذلك في المعالم الموجودة في اسطنبول التابعة لليهود منها كنيس القرّائين "كان المبنى الأكثر إثارة للعجب كان شبه محصن تحيطه أسوار من دون نوافذ ..."[3]

«Etait la plus impressionnante, presque fortifiée, entourée de murailles aveugles».[4]

ثم ينتقل السائق بفرانتس وسارة إلى كنيس "**ميور**" المعبد القديم لليهود، الذين طردوا من "**ميورقة**"، وقد تحوّل إلى ورشة صغيرة لصيانة السّيارات، وكانت قبّته الخشب وأعمدته لا تزال قائمة، وتمكن رؤية الكتابات العبرية على جدرانه".[5]

«L'ancien temple des Juifs expulsés de Majorque, la synagogue Major, était occupé par un petit atelier de mécanique ; elle avait conservé sa coupole de bois, ses colonnes et ses inscriptions en hébreu».[6]

[1]– البوصلة، ص 108.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.60.

[3]– البوصلة، ص 108.

[4]– Mathias Enard, Boussole, p.60.

[5]– البوصلة، ص 109.

[6]– Mathias Enard, Boussole, p.p.60-61.

3.2.1. القدس

لطالما عاش اليهود والمسلمين جنبًا إلى جنب بالقدس، إلّا أنّ الكراهية ونبذ الآخر، خاصّة النزاعات السياسية اليوم حالت دون ذلك. فبعد انتشار مظاهر الفوض يعتبر فرانتس أنّ رؤية القدس "قد تتسبّب في حمى ودوار، وفي ظهور العذراء والمسيح وجميع الأنبياء وسط الانتفاضات واليهود الأرثوذكس الذين يهاجمون النّساء اللّواتي يرتدين تنانير "المبني جوب" أو الفساتين "الديكولتية" مثلما يهاجم زملاؤهم العرب، العساكر بالحجارة على الطّريقة القديمة جدا ..."[1]

«des apparitions de la Vierge, du Christ et de tous les prophètes possibles, au milieu des intifadas et des Juifs orthodoxes qui s'en prennent aux minijupes et aux décolletés comme leurs collègues arabes aux militaires, à coups de pierre, à l'ancienne et de façon qadim jiddan».[2]

ويعلّق بطل الرواية مستهزئا بالأساطير اليهوديّة، في تشبيهه سجّادات الصّلاة عند المسلمين على أنّها: "مثل بساط ريح سليمان في الأسطورة اليهودية".[3]

«Comme le tapis de Salomon de la légende juive».[4]

ومن بين الذين أرادوا إيجاد جسر حضاري يربط الشرق بالغرب بطريقته الخاصّة، نجد **برتلمي أنفانتان،** "زعيم الدّيانة الجديدة الذي ذهب إلى مصر بحث عن زوجة لتخصيبها عن

[1]– البوصلة، ص 138.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.77.

[3]– البوصلة، ص 254.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

مسيح امرأة، لكي يصلح بهذه الطريقة بين الشّرق والغرب، لكي يجمع بينها في جسد واحد".[1]

«Le grand maître de la religion nouvelle, lui qui partit en Égypte pour trouver une épouse à enfanter, un messie femme, et réconcilier ainsi l'Orient et l'Occident».[2]

من خلال ما تقدّم نستنتج أنّ الكاتب يحاول **تذكير المسلمين واليهود بالقيم الإنسانية المشتركة**، وإحياء الأخلاق الفاضلة التي سادت بينهما في زمن مضى، ويحثّهما على الحوار الحضاري البنّاء، ووقف العداء والعنف المتأصّل في نفوس الصّهاينة في فلسطين، وإيجاد سبل للخروج من هاته الأزمة التي راح ضحيتها الشّرق؛ بسبب الحركة الصهيونية المتبنية لليهودية لتحقيق أهدافها، والتي تبرّأ منها الكثير من اليهود أنفسهم، ما يحيلنا مباشرة إلى جماعة التنظيم الإسلامية، التي تسفك دماء الأبرياء وتزهق أرواحهم باسم الدّين.

[1]– البوصلة، ص 162.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.89.

2. المسيحيّة في روايتي في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

و *Boussoule* de Mathias Enard

1.2. المسيحيّة رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

حثّت الأديان السّماوية على توحيد اللّه، والجزاء، والحياة بعد الموت. فمنها طالها التّزييف والتّحريف؛ قصد تحقيق مآرب، كاليهودية والمسيحيّة، والتي يؤمن معتنقو هذه الأخيرة أنّ عيسى عليه السّلام بن الله، وقد مات مصلوبا حتّى يطهّر البشر من ذنوبهم، ويكفّر عن خطيئة النبي آدم، في حين يعتقد المسلم أنّ النبي عيسى بشر كباقي الأنبياء، لقوله تعالى عن المسيح: ﴿**إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل**﴾[1]، فقد جاء القرآن ليقيم حدّا للافتراءات التي تطاولت على الذّات الإلهية، شافيا لكل التساؤلات التكفيريّة، الطّاعنة في حقيقة المسيحيّة عامّة، إلاّ أنّ اختلاف الرؤى لا يعني التصادم والتّعارض، بقدر ما يدعو للحوار الدّيني، رغبةً في تعزيز العيش السّلمي لكلا الطرفين، وهو ليس بالأمر الجديد بينهما، فلمّا اشتدّ الأمر على صحابة النبي بمكّة أمرهم بالذهاب إلى الحبشة– إثيوبيا اليوم–، التي فيها ملك مسيحيّ لا يظلم عنده أحد، بالحوار البنّاء سمح لهم بالعيش في أمان على أرضه، ونضيف أيضا العمل الجبّار الذي قام به الأمير عبد القادر الجزائري بحماية القبائل المسيحيّة في سوريا، بعد الفتن التي سادت بين المسلمين والمسيحّيين، عقد اتفاقيّة صلح بينهما، ليعيشا تحت سقف واحد أساسه الاحترام المتبادل، القائم على قبول الآخر والاعتراف به.

[1]– سورة الزخرف/59.

[1]– محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص 60.
[2]– المرجع نفسه، ص 58.

أ. الدّين (المسيحية)

سنحاول التطرّق **لصورة المسيحيّة** في رواية " **لن أموت سدى**" **لجهاد الزّجبي**، فقد تناولت الرّواية الكثير من النقاط الحسّاسة في الدّيانة المسيحيّة، لتنقل لنا اختلاف الرؤى حسب كل معتقد، فقد تمّ التعرّض لعدّة مواضيع مثل (الطلاق، المرأة في المسيحية والإسلام...)

ب. المرأة في المسيحية

عاشت المرأة في الغرب على مرّ السنين محتقرة، مستلَبة الشخصية إلى حدّ اعتبارها كائنًا لا يمت للبشرية بصلة، بل وتعالت الأصوات المندّدة بنجاستها، عكس الإسلام الذي كرّمها. فتعترف هيلين: "**في القرن الخامس اجتمع بعض اللّاهوتيين ليبحثوا ويتساءلوا في (مجمع ما كون) (هل المرأة جثمان بحث أم هي جسد يناط به الخلاص والهلاك) وأخيرا قرّروا أنّها خلوّ من الرّوح الناجية (من عذاب جهنّم) ما عدا أم المسيح**".[1] ويدلّ هذا على تفوّق الإسلام(الأخلاقي) على المسيحية(الإباحيّة). وذهب الأمر إلى منع المرأة من بعض الممارسات الدّينية باعتبارها مصدرًا للنجاسة، والشهوات، والخطيئة. "**وقد أصدر البرلمان الإنكليزي قرارا في عهد هنري الثّامن ملك إنكلترا يحظر فيه على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الإنجيل لأنّها تعتبر نجسة**".[2]

ولم تقتصر هذه النظرة النّمطية على حرمانها من التعبّد فقط، بل تعدّت إلى حياتها الدنيوية، من زجر في حق الميراث، والعلم، والعمل..." **وظلّت النّساء طبقا للقانون الانكليزي العام- حتى منتصف القرن الماضي- غير معدودات من (الأشخاص) أو (المواطنين) الذي**

[1] – لن أموت سدى، ص 56-57.

[2] – المرجع نفسه، ص 57.

اصطلح القانون على تسميّتهم بهذا الاسم، لذلك لم يكن لهنّ حقوق شخصيّة ولا حقّ في الأموال التي يكتسبها ولا حقّ في ملكية شيءٍ حتّى الملابس التي كنّ يلبسنها".[1]

لازمت هذه النظرة الدّونيّة الاحتقاريّة للمرأة في الدّيانة المسيحية لعقود، إذ استعبدت بشتّى وسائل العنف الجسدي والرّوحي، نتيجة الجمود العقائدي، والذي قاد لنفي صفة العفّة عنها، بحكم كونها ترمز إلى الفاحشة والعهر. فتقول هيلين نقلًا عن الأب **جريجوري تورما كوس: "لقد بحثت عن العفّة بينهم ولكن لم أعثر على أيّة عفّة، يمكن أن نعثر على رجل من بين ألف رجل- ذي عفّة وحياء، ولكن لم نتمكّن أن نعثر على امرأة واحدة لها عفاف وخجل".**[2]

ومع بداية تحرّر العقل الأوروبي، كان ينتظر فكّ قيود المرأة من العبوديّة، إلاّ أنّ النظرة الدّونية إزاءها حال دون ذلك، وبعد أخذ وردّ أخيرا تقرّر وبتحفّظ أنّها من البشر، لتصنّف في مرتبة القصّر من الصبيان والمجانين: **"وحتّى لمّا قامت الثّورة الفرنسيّة (لغاية القرن الثاني عشر) وأعلنت تحرير الإنسان من العبوديّة والمهانة، لم تشمل جنّوها المرأة، فنصّ القانون المدني على أنّها ليست أهلا للتّعاقد دون رضا وليّها وإن كانت غير متزوّجة، وقد جاء النّص فيه على أن القاصرين هم: الصّبي والمجنون والمرأة".**[3]

وبانفتاح أوروبا ظهرت تيّارات تدافع عن حقوق المرأة، بدأت تلوح في الأفق ملامح الأمل والاحتفاء، فسمح لها بمشاركة الرّجل في العمل، لكن بشروط "... **فمن القيود القانونية عدم جواز ممارسة المرأة الفرنسيّة إحدى المهن بدون موافقة من زوجها. ومن القيود المنبثقة عن نظام الاشتراك بالأموال أنّ المرأة الفرنسيّة المتزوّجة لا يمكنها أن تتصرّف بأموالها**

[1]- لن أموت سدى، ص 57.
[2]- المرجع نفسه، ص 57.
[3]- نفسه، ص 57.

الخاصّة ويجب أن تحتفظ بحق الانتفاع للزّوج ولا يمكنها أن تتصرّف إلاّ بموافقة من زوجها، وإذن المحكمة وحدها لا يكفي!!"[1]

وبذلك نحى الغرب إلى تصحيح بعض المفاهيم المستبدّة تجاه المرأة، والتي فرضتها الرؤية المزيّفة للمسيحيّة.

ومن التناقضات في الدّيانة المسيحيّة **تحريم تعدّد الزوجات،** بعكس بعض الديانات، إلاّ في أفريقيا فهي تشجّع ذلك، قصد اعتناقهم لها، فتعتبر هيلين التعدّد في الإسلام من الإيجابيات، وكحلّ بديل للطلاق. تقول هيلين:"**الطّلاق يعجبكم وتسخرون من السّماح للرّجل بأربع من النّساء وتعتبرون ذلك تحقيراً لها؟ !**

... من قال إنّ المسيحيّة تحترم الزّواج بأكثر من واحدة؟!

ثمّ قال لماذا توافق المسيحيّة أن يبقي المسيحيّون الأفارقة على زوجاتهم الكثيرة والتي قد تزيد عند الشّخص الواحد عن ثمانية، تحت حجّة أنّها الطريقة الوحيدة لضمان دخولهم في المسيحيّة... و لماذا ينسون أنّ الكنيسة اجتمعت بعد الحرب العالمية الأولى ووافقت على فكرة تعدّد الزوجات بسبب النقص الشديد في عدد الرجال آنذاك".[2]

[1]– لن أموت سدى، ص 58.

[2]– المرجع نفسه، ص 58–59.

2.2. المسيحيّة في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

أ. المسيحيّة ومصاصو الدّماء

يحاول الكاتب الإشارة للتزييف الذي لحق بالمسيحيّة، من خوارق عن مصّاصي الدّماء، في وصف قصر "هاينفلد". وهو منزل المستشرق عام وجدوا تماثيل تمجّد مصّاصي الدّماء.

"ثمّة تماثيل كبيرة من الخشب المطلي تمثّل المسيح مصلوبا ..."[1]

«Plusieurs grandes crucifixions en bois peint alternent avec de vieilles hallebardes…»[2]

وفي وصف بلدة "**موغر سدورف**"، كان يقبع فيها في زمن مضى "معسكر الإمبراطوريّة الرّومانية المقدّسة الذي يشير إليه صليب هائل من الباطون، يبلغ طوله حوالي عشرة أمتار وقد شيد في ستينات القرن الماضي، على مسافة قصيرة منه، ثمّة كنيسة صغيرة".[3]

«Le camp du Saint-Empire, marqué par une croix monumentale en béton d'une dizaine de mètres de haut, construite dans les années 1960 ; une chapelle du même matériau et de la même époque complétait l'ensemble».[4]

ب. التعايش السّلمي بين المسيحيّة والإسلام

بلاد الشّرق نموذج حضاري لتعايش الأديان، فقد ارتوت بثقافة تقبل الآخر. وانطلاقًا من هذا يسعى الكاتب لإبراز الصفات الجماليّة المشتركة بين المسيحيّة والإسلام، فالتنوّع والاختلاف العقائدي، ينمّ عن وعي الإنسان في الشّرق بثقافة التعايش، فبعد وصول سارة

[1]– البوصلة، ص 40.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.24.

[3]– البوصلة، ص 50 –51.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.31.

وفرانتس إلى سوريا، البلد المسلم الذي يعترف بتعدّد المعتقدات، يقول بطل الرّواية: "**ذهبنا لتناول طعام العشاء في حي الجديدة المسيحي الكائن في المدينة القديمة**".[1]

«Nous sommes allés dîner à Jdaydé, faubourg chrétien de la vieille ville».[2]

ج. القدس

تعدّ القدس على مرّ الزمن مكانًا روحيّا للتواصل الحضاري، وصورة في أسمى معانيها تجسّد الإرث المشترك بين الأديان، لهذا انبثقت عنها بعض الصّراعات حول أحقية القدس، بين اليهود والنصارى والمسلمين، فقد شهدت العديد من الحروب فيما مضى، تمثّلت في الحملات الصليبيّة على المسلمين، وعلى سبيل المثال الحملات البرتغالية، التي لم تكن غايتها الحصول على خيرات الشّرق فقط، وتشييد حصن. "**بل إلى شنّ حرب صليبيّة أخيرة أيضا، لتحرير القدس من الكفار**".[3]

« Mais aussi, dans une dernière croisade, libérer Jérusalem des infidèles».[4]

لتتواصل انتهاكات الغرب اليوم على القدس بواسطة الاحتلال اليهودي ضد المسلمين، ضمن مخطّطات **تهويد القدس**، بداية من التّوسعة بسلب أراضي الفلسطينيين العزل، ومنعهم الصلاة في المسجد الأقصى في كثير من الأحيان، وأسر الآلاف منهم، وتسهيل الهجرة لهم... رغم كل الأسى والجور الذي تعرّض له المسلم إلاّ أنّه صامد في وجه العداة، لتتجلّى لنا **صورة القدس في الصّمود والثّبات**.

[1]– البوصلة، ص 158.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.87.

[3]– البوصلة، ص 299.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.162.

وعن **أثر القدس** في النفوس، تكثر الرّوايات حول من هام بها عشقًا، ومن بينهم نذكر **جيرمان نوفو الدين**، الذي كان يحلم بأن يصبح شاعرًا، إلّا أنّه أصيب بالجنون. "لم يقو جيرمان نوفو، المسيحي الورِع على مقاومة قرب الأماكن المقدّسة، فذهب مشيا إلى القدس، ثمّ إلى الإسكندريّة، وهو يتسوّل قوّته".[1]

«Le très chrétien Germain Nouveau ne peut résister à la proximité des Lieux saints et se rend à pied à Jérusalem, puis à Alexandrie, en mendiant son pain».[2]

هام بعد ذلك حبًّا بفتاة في لبنان وكانت ضريرةً. "المسكين هذا مات بالفعل مجنونًا، مجنونًا من الغرام، مجنونًا بالمسيح، وتعتقد سارة ربّما هي محقّة في ذلك، أنّ الأشهر التي أمضاها في بيروت، ثم حجّه إلى القدس (إضافة إلى لقائه بالقديس بنو لابر، شفيعه وشفيع فيرلين)، شكّلت بداية هوسه الاكتئابي".[3]

« Le pauvre il est effectivement mort fou, fou d'amour et fou du Christ, et Sarah pense, avec raison peut-être, que ses mois beyrouthins et son pèlerinage à Jérusalem ont été (tout comme la "rencontre" de saint Benoît Labre, son patron et celui de Verlaine)».[4]

ويصف عن جيرمان نوفو: "أخذ حينذاك يرسم إشارات الصّليب على الأرض بواسطة لسانه، يتمتم صلوات دون توقف".[5]

«Il traçait des signes de croix sur le sol avec la langue, marmonnait d'incessantes prières».[1]

[1]– البوصلة، ص 290.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.157.

[3]– البوصلة، ص 291.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.157.

[5]– البوصلة، ص 291.

لكن لم يلبث أن " مات من الجوع بعد صيام طويل، تماما قبل عيد الفصح."[2]

«Il finit par mourir d'inanition, d'un trop long carême, juste avant la Pâque».[3]

د. الموسيقى

تشغل الموسيقى حيّزا هاما في تأثيرها على المجتمعات، وإن تعدّدت أشكالها وأغراضها، فهي لغة يعيها الإنسان مهما كان انتماءه العرقي وخلفيّته الإيديولوجيّة. فلا تكاد تخلو أمّة من طابع موسيقي يمجّد حضورها، كما تحوي أغراضا جمّة تشمل المعتقدات، فمن الأفراد من عدّها شفاءً لسقمه الرّوحي كالمتصوّفة، ويستخدمها المسيحيّون في شتّى الممارسات التّعبّديّة، كوسيلة للتّواصل الرّوحي. وتختلف مواضيعها حسب المقام.

أمّا موسيقى **أرفو بارت** ففيها **مواساة** للمسيحيين. "**شيء من ذلك التّوق الرّوحاني الذي تمتلكه حشود الغرب المسيحي، توق إلى موسيقى بسيطة ترن كالأجراس**".[4]

«Quelque chose de ce désir spirituel des foules occidentales, désir de musiques simples sonnant comme des cloches».[5]

ويبلغ تأثيرها حدّ تردّيدها قبل النّوم، ويعود الفضل لهذه التّهويدات للإستوني الشّديد التّقوى **أرفو بارت**. ألّفها حيث يطلق الرهبان "... أناشيدهم قبل أن يغطّوا في النّوم تحت إشراف قسّيسين ملتحين".[6]

«… Chanter avant de s'endormir sous la direction de popes barbus. Pourtant».[1]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.157.

[2]– البوصلة، ص 292.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.158.

[4]– البوصلة، ص 48.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.27.

[6]– البوصلة، ص 48.

وعليه نستنتج أنّ بطل الرّواية موسيقار تائه في الشّرق، يسرد أسماء الشّخصيات والآلات الموسيقية الخاصّة بهذه المنطقة من العالم، فالموسيقى في نظره إرث مشترك بين الشّرق والغرب، وأحد سبل التّواصل الثقافي، ولأهميّتها البالغة فقد أصبحت جزءا لا يتجزّأ من الدّيانة المسيحيّة، لتتعدّد أغراضها بين التّمجيد والمواساة.

ومنه يمكن القول إنّ المسيحيّة تدعو لتوطيد أواصر الأخوّة بين البشر؛ رغم ما اعتراها من تحريف. إذ جلّ الشرائع السّماويّة اُستغلّت لأغراض سياسيّة كهيمنة الكنائس لعقود بفرض سلطانها على الأمم المستضعفة.

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.27.

المبحث الثالث: الصّورة الاجتماعية للغرب

1. الأوضاع الاجتماعيّة للغرب في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الزّجبي
و *Boussoule* de Mathias Enard

1.1. الأوضاع الاجتماعيّة للغرب في روايتي في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الزّجبي

بتحرّر العقل البشري بعد الثّورة الصّناعية في الغرب، شهد هذا الأخير تطورًا هائلًا بتجديد منطق تأمّلاته انطلاقًا من بناء مدنيّته على العلم، والذي أحدث طفرة على تركيبة المجتمع الغربي في جميع مناحي حياته الاجتماعيّة، الاقتصاديّة، الدّينيّة. ويقصد بالتغيّر الاجتماعي كما يقول **عبد الهادي الجوهري** في كتابه "**مدخل لدراسة المجتمع**": "التّغيير في مراكز الأشخاص وهذا قد يحدث في أشخاص بالذّات يقومون بأدوار في النسق الاجتماعي..."[1]

استهلّت الروائيّة في رواية "لن أموت سدى" في تصويرها الحالة الاجتماعيّة، بجملة من الثنائيّات المتقابلة بين الشّرق والغرب، كسمات تلازمهما على الأقل في الزمن الرّاهن. كما يعدّ الغرب حسبها نموذجًا خالصًا للكثير من الشّرقيين، الذين **انبهروا** بنمط عيشهم من ترف ومساواة وعدل، ومن هندسة معمارية، واهتمام بالعلم وتشجيع لطلبته، في حين **يرى البعض الآخر** عكس ذلك. إذ يعتقد بأنّه يعيش على أنقاض خيرات أفريقيا والشرق الأوسط، بل يعدّ نموذجا يدعو **للإباحيّة** والتجرّد من الإنسانيّة لصالح العلم. أمام هذا التباين في الرؤى كيف صوّرت الكاتبة الحياة الاجتماعيّة للغرب؟

[1]– عصام توفيق قمر، سحر فتحي مبروك، محسن عبد الستار غرب، مرجع سابق، ص73.

أ. الانحلال الخلقي

أخذ تيّار اللّهو والمجون حيّزا واسعًا في حياة الغرب، نتج عنه تمزّق الأخلاق الفاضلة وتفكّك المجتمع كالرّوابط الأسرية، فمعاقرة الخمر واتّباع الشّهوات في الغرب بلغ حدّه للعلن، وبائعات الهوى يصطدن الزّبائن بلباس مغرٍ، يقفن على أرصفة الشوارع كسلع رخيصة، وهنّ يرسمن ابتسامة العهر والاعتزاز بانفتاح الغرب، وتحرّره من القيود، حدّ تشجيعه الإباحيّة بإنتاج آلاف الأفلام عنها سنويا.

الخمر والإباحية من بين القضايا التي ناقشتها الكاتبة، حيث تستعرض مشاهدًا تعكس حالة الغرب الماجنة. تقول هيلين: "**أينما وجدته تراه حاملًا زجاجة من الويسكي يجول فيها بحقده وكسله باحثاً عن جسد رخيصٍ، يمنحه بعض الدّفء، رغم أنّ أمي تنتظره طويلاً...**"[1]

ومادام الخمر حجابا للعقل، تغيب الأنا الرّقيبة فيه عن الوعي، فالباب مفتوح أمام اقتراف الآثام، وارتكاب أبشع الجرائم. تقول هيلين عن أبيها السكّير الذي توفي غدرا بطعنة، بسبب زجاجة الويسكي: "**مات والدي مقتولًا، قتله رجل ثمل من أجل زجاجة الويسكي التي كان يحملها، طعنة في الظهر، جعلته يفارق زجاجته...**"[2]

وما يترتّب أيضا عن الخمر أنّها تجعل الفرد يحسّ بأنّه منبوذ من الأنا الأعلى –**المتضمّنة الدّين والمجتمع**– ما يسفر عنه الانطواء عن الواقع والعيش تحت ظل الأوهام، معتبرا الكلّ عدوّ له، وبالتالي تتضرّر أسرته بتلاشي الرّابط الأسري. حيث تقول هيلين: "**بعد أسبوعين**

[1]– لن أموت سدى، ص 82.

[2]– المرجع نفسه، ص 82.

من وفاته فقط كنت أؤكّد لأمّي بأن ذلك الثّمل المأفون، لا يستحق دموعها، وكنت أتحدّاه في داخلي، حين أشعر بالعجز، فأقاوم البكاء !"[1]

ب. الانعتاق التحرّري

على النقيض من الشّرق المحافظ في تصرّفاته، نجد باسم الحرية والانعتاق الوجودي، شباب الغرب منغمسا في الشّهوات والملذّات؛ بتشجيع المنظمات والجمعيات الاختلاط بين الجنسين، حتّى لساعات متأخّرة من اللّيل بشعار "الإقبال على الحياة". "**موسيقى صاخبة، رقص، صرخات، مرح ونشوة، الكلّ يرقص والكل يضحك... جين تحمل كأسها وترقص، تنتقل من ذراع لآخر، تتوزّع على وجهها عشرات القبلات..."**[2]ومن معتقدات الغرب من خلال ممارسة الجنس دون وازع أو ردع، اعتبار الجسد ملك للجميع والرّوح والقلب ملك لشخص واحد، وهذا ما يجسّده حوار جين ووائل الذي نشأ في بيئة تتّسم بالغيرة الشديدة على العرض والشرف، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالمرأة. الأمر الذي قاده لتعنيف جين قائلًا: **"كيف تحبّ المرأة رجلاً، وتراقص آخر؟!"**[3] لتحاول تبرير تصرّفها بكل بساطة تقول: "**أنا أحبك أنت، قد أرقص مع شخص آخر، قد يقبلني ولكن أحبك أنت!"**[4]

[1]– لن أموت سدى، ص 83.
[2]– المرجع نفسه، ص 150.
[3]– نفسه، ص 51.
[4]– نفسه، ص 51.

ج. دلالة المكان

تصف الكاتبة وائل، وهو يتجوّل في أحد شوارع أمريكا بنيويورك. "... **سار وحيدًا في الشارع العريض...**"[1] يعكس العمران الحضاري أوضاع الغرب المادّيّة المترفة.

ممّا تقدّم نستنتج الرؤية التحقيرية من الكاتبة في رسم الصورة الاجتماعية للغرب، من انحلال خلقي وانعتاق تحرّري. يمتزج بذلك نظرة انبهار لما وصل إليه من تقدّم، نتيجة سيطرته على الآخر، بعكس الشّرق المنزوي.

[1]– لن أموت سدى، ص 81.

2.1. الأوضاع الاجتماعيّة في الغرب في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

دارت أدوار كل الروايتين في الشق الشّرقي لذا جاء وصف الغرب مقتضبا مقارنة بالشّرق، حيث يشير الكاتب للتحوّل الكبير لحياة الغرب، بحيث يرى أنّ "التغيّر هو سنّة الحياة فلا شيء يبقى على حاله، فالصّغير يكبر، والقليل يكثر، والقديم يزول، ولهذه التغيّرات طابع مشترك ألا وهو الاستمراريّة، الأمر الذي يساعدنا في التّعرف على طبيعة العصر الذي نعيش فيه..."[1]

أ. الإباحيّة

يرسم الكاتب الملامح الاجتماعية انطلاقا من وصف **إدمان الغرب للخمر**، والتي غدت تستهلك في جلسات رسميّة تعكس الوضع المادّي في اقتناء أجودها، وفي حفلات مختلطة يحضرها أفراد من العائلة والأصدقاء. يقول فرانتس عن سارة: **"فدعتني إلى شرب الشامبانيا برفقة أقربائها وأصدقائها".**[2]

«Elle m'a invité à me joindre à ses proches pour la coupe de champagne traditionnelle».[3]

ويضيف فرانتس: "أشرب النبيذ الأبيض تحت عريشة برفقة سارة..."[4]

«Sous une treille à boire du vin blanc avec Sarah».[5]

[1]– عصام توفيق قمر، سحر فتحي مبروك، محسن عبد الستار غرب، مرجع سابق، ص72.

[2]– البوصلة، ص 15.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.11.

[4]– البوصلة، ص 27.

[5] – Mathias Enard, *Boussole*, p.17.

ب. الأمن والسّلام

من سمات الغرب العيش الرّغيد، حيث يعمّ الأمن والسّلام، بعكس الشّرق الذي وسم بالصّراع الدائم، بالعيش في دوّامة الخوف من نيران الحروب المشتعلة.

وفيما كان **الأولاد** في جلّ البلدان العربيّة يذبحون أو تسلب طفولتهم، نجد نظراءهم في أوروبا يعيشون في أفضل حال. **"كان كل شيء في "بادآشيل" إمبراطوريا وراقصا، أمّا في تورين فكل شيء فرنسي، كنا نذبح الدّجاج والبطّ، نجمع الفاصولياء الخضراء، نصطاد عصافير الدوري، نأكل الأجبان المتعفّنة والمغلّفة بطبقة رقيقة من الرّماد، نزور قصورًا تشبه تلك التي في الحكايات الخرافية ونلعب مع أقاربنا لم نكن نفهم لهجتهم".**[1]

« A Ischl tout était impérial et dansant, en Touraine tout était français, on assassinait des poules et des canards, on ramassait des haricots verts, on chassait le moineau, on mangeait des fromages pourrissants roulés dans la cendre, on visitait des châteaux de contes de fées et on jouait avec des cousins dont on ne comprenait pas tout à fait l'idiome».[2]

يحنّ فرانتس إلى الماضي القريب لبلدته الغربية لمّا كان صبيّا، منتقدا الحالة التي آلت إليها بلدته، وساخطًا على التحوّل المجتمعي الذي تغلّب عليه نمط إقصاء الآخر، ما دفعه ليقارن ماضي بلدته التي كانت تسير على نسق الشّرق ووضعها اليوم، حيث ارتدت ثوب المادّية وانسلخت من الممارسات الرّوحانية، فطغى الإلحاد على المسيحيّة، والمنفعة على القيم، ما جعله حبيس الماضي. حيث يقول مستذكرًا: "**أرى نفسي على دراجة هوائيّة في**

[1]– البوصلة، ص 46.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.27.

الكروم التي حول بلدة "شينون" إنّ أمكنة الطفولة هذه تسبّب لي ألما رهيبًا، ربّما لأنّها اختفت فجأةً ما ينذر باختفائي أنا، وبالمرض والخوف".[1]

« A bicyclette dans les vignes autour de Chinon – ces territoires d'enfance me provoquent une terrible douleur, peut-être à cause de leur disparition brutale, qui préfigure la mienne, la maladie et la peur».[2]

ويواصل فرانتس فضح **قسوة الغرب** في ممارساته وإباحيّته المعلنة حينا والمضمرة أحيانًا أخرى، كالحملات الصليبيّة التي كانت في الشّرق، تنشط باسم المسيحيّة، كرجال دين ورهبان، لكنّها في الواقع تحاول قمع المدّ الإسلامي. ويعترف فرانتس: نحن أهل فيينا **"نخبئ في الأقبية النّساء اللّواتي عذّبن، نمارس الرّقابة على الشّهوات الجنسيّة، أمّا في الخارج فنتصرّف بعفّة مفرطة في احتشامها".[3]**

«Les femmes torturées à la cave, l'érotisme censuré et la plus prude chasteté au-dehors».[4]

وعن وحشية الغرب تّجاه المرأة عثر في المعرض على جسد امرأة بترت ذراعها وساقاها: **"امرأة جذع لم يجنبونا رؤية صورها التي تعود إلى تلك الحقبة، حيث نبصرها عارية ومشوّهة، سواد عانتها بسواد كتفيها وفخذيها، حيث سال دم الأطراف النّاقصة أبعد بقليل كانت ثمّة امرأة مبقورة اغتصبت قبل أن تنزع أحشاؤها".[5]**

« Un corps de femme, bras et jambes coupés, une femme-tronc dont on ne nous épargnait pas les photographies d'époque, nue et mutilée, pubis aussi noir que

[1]– البوصلة، ص 46.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.27.

[3]– البوصلة، ص 248.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.134.

[5]– البوصلة، ص 247.

les épaules et les cuisses où avaient saigné les membres absents. Un peu plus loin se trouvait aussi une femme éventrée».[1]

ما يلفت الانتباه في رواية ***Boussoule*** هو أنّ الكاتب قد تحرّى الصّدق في بلورة الواقع الاجتماعي للغرب، حيث انتقد الغرب اللاهث خلف المادّة، كما اعترف بخباياه ونواياه الحقيقيّة. فرغم الأمن والسّلام اللّذان يغلبان على بلدان الغرب إلاّ أنّ جسد بطل الرواية المريض يعكس حال الغرب اليوم، والذي يفتقد للسّعادة الرّوحية، بعدما طغت عليه المادّة.

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.134.

2. صورة الأسرة الغربيّة

1.2. صورة الأسرة الغربيّة في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

إنّ التقدّم التكنولوجي الهائل الذي حقّقه الغرب، حتّى يضمن العيش الرغيد لقاطنيه، كان له تبعات انعكست سلبًا على تركيبته الاجتماعية؛ نتيجة التفافه على الإنسان كمادّة لا بوصفه روحًا، ما خوّل انزياح المجتمع الغربي إلى كتلة جامدة تعاني من تمزّق الرّوابط الأسريّة، بعد قيام الغرب على تمجيد ثقافة الفرد لا الجماعة، وعجّل بانبثاق مجتمع لا يأبه حتّى بأحوال الأب والأم، ناهيك عن الأقارب، فالحريّة المفرطة للفرد جعلته متحرّرًا من كل القيود العرفيّة، إذ يكاد يحسب المتتبع لنسيج الأسرة الغربيّة أنّ مهمة الأب تقتصر على الإنجاب، وهذا ما نلحظه في الكثير من الرّوايات الغربيّة التي تتجاهل دور الأب بطريقة أو بأخرى، ليجد الطفل نفسه بين أحضان النزوات، ما ينجرّ عنه الانغماس في ارتكاب أبشع الجرائم، وهو ما يشهده الغرب اليوم، كما تجد المرأة نفسها تحذو نهج الرّجل، تحاول إشباع رغباتها الجنسيّة.

1.1.2. التفكّك الأسري في الغرب

قارنت الكاتبة بين التّشكيل الأسري في الغرب ونظيره في الشّرق، فالأسرة الغربية متفكّكة، حيث يكتفي الابن بمكالمة هاتفيّة تعبيرا عن حبّه لأمّه في عيد ميلادها، أو بإرسال باقة من الورود بداخلها بطاقة تهنئة. حيث تقول هيلين: **"أولادي الثلاثة تركوني، أكاد لا أراهم إلاّ لينثروا مشاكلهم في وجهي، لم يبق لدي في هذه الدّنيا سوى نور.**

نور لم تتركني لأنّها عاشت طفولتها عند العرب...ابني الأكبر لم أره منذ عامين... العام الماضي سمعت صوته بالتّلفون... ضحكت بحسرة وهي تقول: كان (عيد الأم)".[1] وقد

[1]– لن أموت سدى، ص 60.

استثنت **ابنتها نور**؛ لأنّها تأثرت بالعقليّة الشّرقيّة القائمة في نظامها الأسري على التّماسك، والعيش مجتمعين تحت سقف واحد.

الأمّ في الغرب غير محظوظة مقارنة مع الأم الشّرقية، تسعى دائما للمّ شمل أسرتها، إلاّ أنّ ذلك يكاد يكون مستحيلًا، بعد هجر فلذات كبدها عنها، فتساورها الشّكوك حول أحوالهم في كل حين، وفي المقابل لا يأبهون بها، خوفها الدّائم يجعلها منكسرة الخاطر، فبعد سفر ابن **هيلين** بطائرة كان فيها عطل. تقول: **"لأنّي عشت ذلك الإحساس، حين أصيبت الطّائرة التي أقلّت ابني إلى (روما) بعطل كاد أن يسقطها..."**[1]

هذا الموقف جعل **وائل** يتذكّر أمّه إلى حدّ تشبيهه هيلين بها، فقلب الأم جوهر ثابت، **"نظر إليها بحبّ، يا الهي! كيف لم يكتشف قبل هذه اللّحظة أنّها تشبه أمه ؟!"**[2] مهما اختلف جنس، ولون، وانتماء الأم، فهي دائما تحمل بداخلها حبًا لا يضاهيه حبّ، كيف ولا وأولادها قطعة من روحها، تبكي كلّ ما أصابهم مكروه، وتسعد لنجاحهم، حتّى وإن خذلهم الجميع، وتسهر إن مرضوا. تقول **هيلين** عن أمّها أنّها كانت تواسيها إذا أصابها مكروهٌ: **"...وكانت أمّي تبكي بكل دموعها تبكي من أجلنا جميعًا..."**[3]

- الأب:

إنّ فكرة التحرّر المفرط أفقد الأب مكانته في الغرب، وجعلت منه فردا متخليًا عن مسؤوليته، ما دامت الأم تشاركه العمل والوظيفة الأسريّة، تراجعت زعامته وأصبح مجرّد موجِّهٍ يكتفي بتقديم بعض النصائح، منقطع الوصال عن أولاده، فالابنة تمارس الحبّ، والابن يعاقر الخمر على مرأى منه ولا يحرّك ساكنًا، وإذا كان الزواج رابطًا مقدسًا والطّلاق في

[1]- لن أموت سدى، ص 70.

[2]- المرجع نفسه، ص 67.

[3]- نفسه، ص 81.

المسيحيّة قد حرّم، فالإباحيّة حلّ بديل أوجدته المنظّمات العلمانيّة الملحدة، حتّى تقضي على الرّابط الأسري، ما جعل الغرب يستبعد فكرة الزواج بوجود ما يعوّضه.

فمن النتائج الوخيمة لتراجع قوامة الرّجل في الغرب **كره الأولاد لأبيهم**، فدور الأب حتّى في الرّوايات الغربيّة يكاد ينعدم. تقول **هيلين** عن كرهها لأبيها في صباها: **"كنت صغيرةً، كنت أكره أبي، أحسبه ظلًا ثقيلًا يفقأ عين الحبّ في داخلي، كان قاسيًا كصخرةٍ، وكنت أضعف من نملةٍ حين يهوي بيده الثّقيلة على كتفي... دائمًا يضربني، أرفض البكاء، فيعيد الكرّة ليرى دموعي، وأصرّ على الوقوف صامتةً رغم الألم، أنا مدينة لأبي بكل العناد الذي يزرع رأسي بإرادةٍ لا تعرف الخذلان".**[1]

رغم محاولات **هيلين** التّظاهر بحبّها لأبيها، إلاّ أنّ تصرّفاته وممارساته القذرة، من تجاهل وتعنيف، حالت دون ذلك، فما زُرع في نفسيّتها يحصد الأب ثماره. **"كان أبي يكره الكتب يمزّقها حين يراها بين يدي..."**[2]

وتضيف أنّها رغم كلّ ما تواجهه من أبيها: "**أجبر نفسي على تصديقه، كي أصدّق أنّه يحبّني !! رغم أن أمّي كانت تنتظره طويلا، جميلة وحزينة، تسرق من أنفاسنا حرارتها، وتقسم أنّها لا تشعر بالبرد رغم أنّها ترجف!"**[3]

الأب الغربي الذي عصفت به رياح العلمانيّة، ومخلّفات الاهتمام المفرط بالعلم، وبتناسي قيم الإنسان الرّوحية، دفعت به إلى إقصاء دوره الكوني، ممّا زاد من تأزّم علاقته بالآخرين، خاصّة أفراد أسرته، ليتّخذ من الخمر ملاذًا له. تقول **هيلين: "كان عمري تسعة أعوام، حين قلت للقسّيس: إنّي أعجب لأنّ الله لم يحرّم الخمر، وحرّم على أمّي إلقاء أبي من النّافذة ليعيش مع الزّجاجات الفارغة، حيث يمكنه أن يتنفّس هواءً نتنًا، كالذي نتنفّسه حين**

[1]– لن أموت سدى، ص 81.

[2]– المرجع نفسه، ص 81.

[3]– نفسه، ص 82.

يعود".[1] فالخمر كحل بديل ومهرب سبّب هلاك الكثير من العائلات؛ جرّاء تعنيف الأب واللّامبالاة بالدور الأساسي بصفته راعيًا وكافلًا لأسرته.

وبعد وفاته تداركت **هيلين** تصرّفها المشين. تقول: **"أثناء دفنه بكيت، دموعي غطّت عيني، تمنيت لو أنّه يراني ليغفر لي حقدي وكرهي له، وجهه كان غريبًا، يحمل ابتسامةً لم أفهمها، لكنّه بدا طيبًا، كما لم يبد كذلك من قبل!"**[2]

بعد أسبوعين من وفاته، كأنّ شيئا لم يحصل، سيطر الكره على نفسيّتها، تضامنًا أيضًا مع أمّها التي كانت جدارًا صلبًا، صمد في وجه التعنيف الجّسدي والمعنوي الذي ألحقه بها. **"كنت أؤكّد لأمّي بأنّ ذلك الثّمل المأفون، لا يستحق دموعها، وكنت أتحدّاه في داخلي حين أشعر بالعجز، فأقاوم البكاء!"**[3]

يبقى الأب ضحيّة التحوّلات الغربيّة الهجينة، التي عزلت دوره الطبيعي، وألقت على عاتقه الحرمان والأسى، وقطعت وصاله، ليعيش منعزلًا عن واقعه، ويتّخذ من الخمر وبنات الهوى ملجأً لنزواته، ويحلّ محلّ الحميميّة التعنيف بدافع مشاركة المرأة سلطته المطلقة، لدرجة اعتقاده أنّه عالة على أسرته، ما ينتج عنه غياب مشاعر أولاده تّجاهه تدريجيًا.

2.1.2. المرأة في الغرب

عاشت المرأة في الغرب لعقود ضحية سيطرة الرؤى الاحتقاريّة لها، باعتبارها مجرّد جسدٍ بالٍ مطيع لرغبات الرّجل، فعانت ويلات اتّهامات الكنيسة من جهة، وجهل الأعراف مكانتها الحقيقة من جهة أخرى. ومن الطّريف أن نذكر أنّ القانون الإنجليزي: **"حتّى عام 1805 كان يبيح للرّجل أن يبيع زوجته..."**[4]

---

[1]– لن أموت سدى، ص 82.

[2]– المرجع نفسه، ص 83.

[3]– نفسه، ص 83.

[4]– الشيخ مصطفى السباعي، **المرأة بين الفقه والقانون**، مرجع سابق، ص19.

وبانفجار الثّورة الصّناعيّة التي مسّت جميع الأصعدة، وسعت لتحرير العقل الغربي من تصلّبه العقائدي والفكري في انتهاك حقوق المرأة، التي كان يقتصر دورها على الواجبات لا الحقوق، أرسى الغرب بهذا مفاهيم جديدة عن المرأة، ونحى للقضاء على الصّور النّمطيّة العالقة في ذهن الغربي، وبعد فترةٍ طويلةٍ حقّقت المرأة مبتغاها؛ فتحرّرت وتبوّأت مكانةً مرموقة في المجتمع، لكن في المقابل أقصت دور الرّجل، فقد ولجت المرأة عالمه، نافسته حتّى في مجاله بمطالبتها المساواة في الحقوق والواجبات معه، وبهذا خطت خطوة كبيرة لتنال مركزيّتها في الغرب.

يقول العلّامة الإنجليزي **(ساموبل سمايلس)** وهو من أركان النّهضة الإنجليزيّة عن المرأة الغربيّة العاملة ودورها في الأسرة قائلًا: "إنّ النّظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثّروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة الاجتماعيّة، لأنّه هاجم هيكل المنزل وقوّض أركان الأسرة، ومزّق الرّوابط الاجتماعيّة، كأنّه يسلبه الزّوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم... إذ وظيفة المرأة الحقيقيّة هي القيام بالواجبات المنزليّة..."[1]

وقد تطرّقت الكاتبة لمشاركة المرأة الرّجل في العمل خاصّة الأعمال الشّاقة، إذ تشبّهت بالرّجل إلى حدّ انصهارها معه، وفقدت الكثير من أنوثتها، ويتجسّد ذلك في الحوار الذي دار بين وائل وهيلين منتقدةً حالها في الغرب: **"أتعرف ما ينقص المرأة عندنا يا عزيزي؟**

-فأجابها بسخريّة حادّة:

-ينقصها القدرة على التحوّل إلى رجل !

تجاهلته غير مبالية بكلماته ثم قالت بطريقة آلية:

-ينقصها أن تكون امرأة".[2]

[1]- لن أموت سدى، ص198.

[2]- المرجع نفسه، ص 49.

اختلّ التوازن الأسري في تقمّص الأدوار، بعد أن اسندت مَهمّة الرّجل للمرأة، ولم يعد الرّجل آبها بمسؤولياته وكرامته. حيث يتواصل الحوار بين وائل وهيلين: "**ألم تتجاوزا في الغرب كلّ هذه الأمور، ألم يصبح العمل في البيت أمرًا لا يعين الرّجل وحتّى أن يترك دفّة الإنفاق لزوجته أمر لا علاقة له بكرامته !!**

-هذه ليست مساواة.....إنّها مجرّد تبادل أدوار".[1]

كما تجلّت صورة المرأة الغربيّة في جملة من النّقاط الإيجابيّة، منها التفوّق العلمي. "**ثمّ أخرجت من حقيبتها بعض المجلّات وبدأت تتصفّحها بصمت".**[2] وطيبتها التّي تمثّلت في شخوص غربيّة، منها **جين** و**هيلين**. يقول وائل لهيلين: "**أنت امرأة طيّبة.**"[3]

وعليه يمكن القول إنّ الغرب قد وقع في المحظور بمحاولته قمع الدّور الكوني للأسرة ما عجّل تفكيكها، بتقديم المرأة على الرّجل، ليترتّب عن ذلك تمزق في التركيبة الاجتماعيّة، ما يؤشّر على مستقبل غامض، فحالات الانفصال وانتشار الجرائم والعنف ضد المرأة كردّ فعل، يدقّ ناقوس الخطر، مادام الفرد محور المجتمع الغربي لا الأسرة.

[1]- لن أموت سدى، ص 50.

[2]- المرجع نفسه، ص 121.

[3]- نفسه، ص 60.

2.2. صورة الأسرة الغربية في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

يختلف النسيج الأسري في الغرب عن الشّرق، فالفرد في الغرب قوام الأسرة، يسعى دائمًا لإثبات وجوده، والاعتداء على مقوّماته، كالدّين؛ نتيجة التفكّك الأسري وما نجم عنه من آثار سلبية، شدّدت الخناق على قيم الأسرة، ونحت صوب تفكيكها.

جاءت الأسرة الغربية في رواية **البوصلة** مفكّكة، اقتصرت على تقديم صورة الأمّ التي تقوم بمهمّة الزّوج على أكمل وجه.

فالأم تعدّ المؤثّر الأسمى في تكوين شخصية الطفل، ومن ثمة سلوكاته وتصرّفاته مع الآخر. يقول يونغ: **"إنّ الأمّ هي الوعاء الأوّل عمليًا لصورة النّفس عند الرّجل"**.[1]

فالرّواية إن لم نقل كلّها ذكرت الأمّ ودورها، في حين تغافلت عن دور الأب، فحتّى اللّغة التي يتقنها بطل الرّواية لغة أمّه لا أبيه. يقول فرانتس: **"فالفرنسية التي كنّا نتكلّمها هي فرنسيّة الكبار، فرنسيّة والدتنا وبعض الفرنكوفونيين من محيطنا"**.[2]

«Car nous parlions un français d'adultes, le français de notre mère et des quelques francophones de notre entourage».[3]

في حين لم يذكر والده طوال أحداث الرواية، ممّا يؤكّد توتّر العلاقة بين الأب وأولاده وتأزّم الوضع، ويشير هذا إلى انعدام الحوار.

من عادة شباب الغرب العيش عن منأى عن أسرته، معوّضًا الدفأ الأسري بالوقوع في شتّى الممارسات التحرّرية، باتّخاذ الخليلات بلسمًا للفراغ الرّوحي. حيث يفضّل فرانتس جسد

[1]– كارل غوستاف يونغ، تر: نبل محسن، جدلية الأنا واللاوعي، مرجع سابق، ص 124.

[2]– البوصلة، ص 46.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.27.

الشّابة الجميلة على زيارة أمّه. **"... لديّ فرصة لتمضية السّهرة برفقتها، لوحدنا بدلًا من أن أمضيها برفقة والدتي وهو أمر ليس كريهًا، لكن في منتهى الاعتياديّة".**[1]

«… j'avais la possibilité de passer la soirée en tête à tête avec elle plutôt qu'avec Maman, ce qui n'était pas désagréable, mais trop habituel».[2]

علمًا بأنّه كان يزور أمّه مرّة في الأسبوع لتناول العشاء. **"وليس العودة لتناول العشاء مع والدتي كل نهار أحد".**[3]

«Pas pour revenir dîner avec ma mère tous les dimanches».[4]

ينبض قلب الأم على ابنها خوفًا عليه، حتّى حين أصبح رجلًا، يظلّ في نظرها حملًا وديعًا، فقبل سفر فرانتس إلى إسطنبول تغمره بالنّصائح، والتي أغدقته بها منذ نعومة أظافره، كما لا تهمل أبدًا بتعبئة حقيبته بأدوات قد يحتاجها أو لا يحتاجها. يقول: **"أرغمتني أمّي على أن آخذ معي صابونًا ومسحوق غسيل، وعليه إسعافات أوليّة ومظلّة".**[5]

«Maman m'avait forcé à emporter du savon, de la lessive, une trousse de secours et un parapluie».[6]

ويضيف عن حبّ أمّه له بوضع الكثير من الأدوات داخل حقيبته: **"لكنّني كنت مجرّد فتى مدلّل حملته والدته أدوية للإسهال، وأزرارًا وخيوط حياكة".**[7]

---

[1]–البوصلة، ص 56.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.32.

[3]– البوصلة، ص 56.

[4] –Mathias Enard, *Boussole*, p.32.

[5]– البوصلة، ص 66.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.37.

[7]– البوصلة، ص 67.

«Je n'étais qu'un fils à maman chargé de médicaments contre la diarrhée, de boutons et de fil».[1]

كما أنّها قد رافقته إلى المطار، حتّى تلقي عليه نظرات الوداع. **"إذ كانت قد تكرّمت علي ورافقتني".**[2]

« Elle avait eu le bon goût de m'accompagner».[3]

ويقول فرانتس عن اللّكنة الفرنسيّة التي تذكّره بأمّه: **"لطالما انزعجت من سماعها تتكلّم بلغتنا، ربّما – يا للفكرة الشنيعة– لأنّ لكنتها تذكّرني بلكنة والدتي".**[4]

«Il faut le dire, et j'ai toujours eu du mal à l'entendre parler notre idiome, peut-être, quelle horrible pensée, parce que sa prononciation me rappelle celle de ma mère».[5]

يواصل فرانتس الحديث عن أمّه، محاولًا إبراز مكانتها الكبيرة مقارنة بأبيه، رغم أنّه لا يعيش معها إلاّ أنّه تعلّق بها. **"لا يا عزيزي فرانتس المسكين أنت لا تزال ضحيّة أوهامك، كانت ستقول أمّي بفرنسيّتها العذبة للغاية، لقد كنت دائمًا هكذا، حالمًا، يا ولدي المسكين".**[6]

«Mon pauvre Franz, tu te berces toujours d'illusions, aurait dit Maman dans son français si doux, tu as toujours été comme ça, un rêveur, mon pauvre petit».[7]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.38.

[2]– البوصلة، ص 66.

[3] –Mathias Enard, *Boussole*, p.37.

[4]– البوصلة، ص 136.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.76.

[6]– البوصلة، ص 266.

[7]- Mathias Enard, *Boussole*, p.144.

ممّا سلف نلاحظ عدم ذكر الكاتب للأب ودوره في الأسرة الغربيّة كركن أساسي تقوم عليه بوصفه الفرد المسؤول الذي يعول عائلته، ويضبط سلوكاتها ، فقد اكتفى الكاتب بذكر دور الأم في رعايتها البطل وتسيير شؤونه، إلاّ أنّ بطل الرّواية والذي كان يزورها في كلّ عطلة نهاية الأسبوع كان يفضّل في الكثير من الأحيان جسد عشيقته على أمّه الوحيدة بين جدران منزلها.

وعليه فالأسرة الغربيّة تفكّكت بفعل المبادئ الجديدة التي تبناها الغرب ما كان له آثار سلبية جمّة على الواقع الاجتماعي من عقوق، وجرائم، وإباحيّة، بعد زوال الدّور الأسري لصالح حرّية الإنسان في ممارسة كل ما يجول بخاطره في النطاق المسموح به.

الفصل الرّابع:

التّلاقح الحضاري والقيمي بين الشّرق والغرب في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

و*Boussoule* de Mathias Enard

المبحث الأوّل: روحانيّة الشّرق

المبجث الثاني: مادّية الغرب

المبحث الثالث: قيم التعايش السّلمي

المبحث الأوّل: روحانيّة الشّرق

1. روحانيّة الشّرق في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

كرّس العلماء منذ القدم قدرًا كبيرًا من أبحاثهم عن حقيقة الشّرق. الذي ملأ الكون روحانيّة ومادّة في زمن مضى، كما عرف حضارات عديدة عمّرت لآلاف السنين، وفيه أُسدل الستار عن أعظم الشّرائع الإلهيّة، وبه تميّز الشّرقي بإيمانه الفطري المطلق عن الغربي، فبات ينظر إلى الحياة على أنّها ممرّ مؤقت لحياة خالدة بعد الموت؛ فجُبل على التّأمل والزّهد نتيجة عوامل كثيرة، وجابَه الانغماس في الملذّات والشّهوات بدعوى الابتلاء، كما وُصف بأرض الخوارق والأساطير، وقصص عن الجنّ والغول.

تناولت الكاتبة مفهوم الرّوحانيّة وتجليّاتها في حياة الإنسان الشّرقي، بداية من **نظرته للموت** ومصيره بعد ذلك، إلى فطرته في **الاستعداد الرّوحي** التلقائي لمقايضته أسرار الكون، وأخيرًا **لتأثير الإسلام** على الإنسان الشّرقي بعد فكّه العديد من الأسرار الكونيّة، والتي عجز الإنسان القديم على فهمها، رغم تقديمه مفاهيم تقريبيّة تمثّلت في **التّسليم بوجود قِوى غيبيّة** تُسيّر الكون الفسيح والمتجلّية في **الخالق**.

أ. الموت والرّوحانيّة

أثرى الحوار البنّاء بين وائل والعجوز هيلين فكر القارئ، وأطلعه على حقائق كثيرةٍ حول اعتقاد الإنسان الشّرقي وتصوره للموت، ففكرة الموت ترهقه أكثر من حقيقته؛ فهو شارد الذهن عن مصيره بعد الموت، إمّا مفلحًا ملاذه الجنّة أو مفسدًا مصيره جهنّم، عكس الغربي عمومًا، والذي يشكّ في الحياة ما بعد الموت. حيث تقول العجوز هيلين: **"أرى أنّكم تخافون الموت أكثر منا، فأنتم دائمو التّفكير في احتمال دخول الجنّة أو النّار، وهذا يجعل الموت تصفية لموقف الإنسان في دنياه فموته يفقده حقّه باكتساب فرصة جديدة ألاّ تظن أنّ فكرة**

دخولك النّار أمر يخيفك ؟! ويجعلك تتمنّى لو تعمر طويلًا!"[1]

يحاول وائل الذي نالت منه نظريات الغرب، وجعلت منه شرقيًّا عاشقًا للمادّة؛ نتيجة شخصيته المناقضة للأعراف التي ترعرع فيها، ضف إلى ذلك تخصّص دراسته الجامعيّة– **الفلسفة**–، إقناع العجوز بأنّ فكرة الموت لا تحرّك فيه شيئا. **"لكنّني لا أخاف الموت، بل وتمنيته أكثر من مرّة، كل ما يهمّني الآن أن تكفّي عن الكلام، أفضل الموت صامتا!"**[2]

إنّ التّسليم **بالقضاء والقدر** في الشّرق يقود المرء للخنوع والخضوع بجوارحه إلى الخالق، فكلّ شيءٍ يحدث للإنسان **ابتلاء** يقابله **صبر**؛ وبالتالي **الثواب** في الآخرة، ما يدفعه لإدراك حقيقة الحياة وشهوانيّتها. تقول هيلين: **"عندما يسعى المرء لمعرفة حقيقة الحياة، عليه ألاّ يتجاوز الموت، حتّى لا تكون حقيقته وهمًا كبيرًا، يسير به نحو النّهاية، دون أن يعرف".**[3]

يتذكّر **وائل** نصائح **جدّه** عن جوهر الموت وعن استعداد الإنسان المسلم **بجمع الزّاد** من **أخلاق** و**سلوكات ترضي الله** نحو الحياة الآخرة، فالكثير من الشّرقيين يبذلون أقصى جهودهم لضمان الجنّة، متناسين الحياة الدّنيا، وهذا منافي لما جاء به الإسلام، والذي أكّد في كثير من نصوصه على الموازنة بين الحياة والآخرة. يقول الجدّ: **"إنّ الموت امتداد لشيء نعيش حياتنا نبحث عنه ... "**[4]

ب. الشّرق والرّوحانيّة

تأثّر كثير من المسلمين اليوم بتيّارات فكريّة مجابهة لحقيقة الإسلام، والتي حصرت رسالته في مفهوم سلبي، بأنّه دعوة صريحة للانطواء على الذّات، وجعل النّفس مبرمجة على العمل؛ من أجل الآخرة فقط، وقطع الصّلة مع كل ما يمت بصلة للحياة، ودليلهم في ذلك

[1]– لن أموت سدى، ص 85.
[2]– المرجع نفسه، ص 91.
[3]– نفسه، ص 92.
[4]– نفسه، ص 110.

نصوص قرآنيّة وأحاديث نبويّة أُخرجت من سياقها الحقيقي، ما نتج عنه شرق متكاسل واهم، همّه ضمان تلبية حاجاته البيولوجيّة، فابتعد عن العلم والتكنولوجيا، فالمسلم اليوم لا يولي الحياة أهمّية بالغة، وفي المقابل يجمع الزّاد من أخلاق، وممارسات عقائديّة من أجل الآخرة. وهذا ما يتجلّى في الحوار الذي دار بين هيلين ووائل: **"فطرة الإنسان التي تتحدّث عنها ترغمه على الإحساس بذلك العالم الثّاني الذي ينتظره، فيسعى لخداع نفسه وإقناعها بأنّ الجنّة خلقت من أجله وحده... "**

الجندي المسلم يا سيّدتي، يكون الموت بالنسبة إليه فرصة جديدة للبدء من جديد، يتخطّى به حدود الأمنيات الصّغيرة... لأنّها طريق الخلود ؟"[1]

كانت الحضارة الإسلامية عامة والعربيّة خاصّة تتزعم العالم، وتسارع في تشجيع الأبحاث العلمية، فقدّمت للبشرية الكثير من الابتكارات العلمية والعلاجات لأمراض مستعصية، عمل لصالحها العربي والأعجمي آنذاك جنبا إلى جنب دون النظر إلى الخلفيات الإيديولوجيّة، لكن لم يدم ذلك طويلًا؛ نتيجة عدّة عوامل أهمّها العامل السّياسي، ليقبع الشّرق في دوّامة الرّوح بعدما فَقَدَ المادّة، فحمّل الغرب كل ما يحدث له، دون محاولة الوقوف مجدّدًا، وإنقاذ ما تبقى. تقول العجوز هيلين: **"لم يعد العرب كما كانوا، صاروا فريسةً للتناقض، لم تعد حضارتهم ترضيهم، رغم أنّ الخطأ فيهم، وليس في الحضارة، أنتم تفكّرون بأنفسكم لأنّكم تفكّرون طوال الوقت بنا. تريدون انتزاع عالمنا، لأنّ الاحتفاظ بعالمكم الحقيقي يتطلب الكثير من الجهد وأنتم تحلمون بالحياة المنجزة أهل عرض أيّها الشّباب لماذا أظنّ أنّي أعرف أكثر منك عن أمتك !!"**[2]

[1]– لن أموت سدى، ص 86.

[2]– المرجع نفسه، ص 43.

بقايا وآثار حضارات الشّرق القديم جعلت الإنسان الغربي اليوم يقف موقف تعظيم واعتراف بالرّوحانيّة الموجودة في ثناياه، فحضارة الفراعنة التي عمّرت لآلاف السّنين تشير إلى عظمة الشّرق، من خلال الأهرامات والكنوز الموجود إلى جانب قبور الفراعنة، الذين كانوا يعتقدون بوجود حياة أخرى، وسيحتاج لثروته. تقول العجوز هيلين: **"إنّ مجرّد التحدّث عن حضارتهم يحقّق الإثارة لأنّي باحثة عن الحقيقة عندما زرت مصر لأوّل مرة احتواني الذّهول وأنا أنظر للأهرامات حتّى ظننت الفراعنة رأس الحياة، لقد أجبروا الزمن على الاحتفاظ بآثارهم!"**[1]

فإعجاب العجوز هيلين بمصر وروحانيّتها التي تحاول الاغتراف من قبسها بعدما طغت عليها الماديّة في الغرب، دفع بها إلى تدوين كل ما عاشته بهذا البلد العجيب، الذي يشهد اجتماع الكثير من المعتقدات على أرضه، وانغماس أهله في غياهب الرّوحانية. تقول: **"لقد فكرت وقتها بتدوين مذكّرات خاصّة، عن الحياة في مصر وعن طبيعة العلاقات بين النّاس وبخاصّة مظاهر الدّين والحياة فيها كنواة لكتاب أتحدّث فيه عن الشّرق".**[2]

ج. الإسلام والرّوحانيّة

أثّر الإسلام كثيرا في الشّرق، فقد جاء على عكس المسيحيّة موازنًا بين الرّوح والمادّة، ما خوّله أن يكون دينًا ودولة، فبلغت الحضارة الإسلاميّة أغلب أصقاع العالم، بعلم أسّس الكثير من النظريات سواء أكان ذلك في الطبّ أو العلوم. ظلّ التّاريخ يمجّد الإنجازات التي بلغها الشّرق، قبل أن تمتدّ أيادي المغول والتّتار إلى المكتبات الضّخمة خاصّة الموجودة في العراق والشّام، ليجعلوا من الكتب بعد رميها في الأنهار جسورًا لهم، وتكمل بعد ذلك الحملات الصّليبيّة ما بدأه المغول والتّتار من فساد، ما جعل المسلم يلجأ إلى الرّوح، بعدما

[1]– لن أموت سدى، ص 43.

[2]– المرجع نفسه، ص 72.

قُضيَ على مظاهر المادّة من علوم وقصور وكل مظاهر التّرف؛ حيث تقول العجوز هيلين: **"لقد تغيّر المسلمون ولكنّ الإسلام لا يمكن أن يتغيّر!"**[1]

أعيت الحروب كاهل الشّرق، فتبدّدت أنظمته، وتشرّد علماؤه، وأحرقت جلّ مكتباته، ليضيع ما جُمع لعقود، لم يجد الإنسان ملجأً غير انتظار الأجل، فتغنى بالحياة الآخرة، وقاطع الحياة الدّنيا، فعمد إلى جمع الزاد للرحلة الآخرة، من عبادات وممارسات فاضلة، ونشرٍ للابتسامة والحب، فهو بهذا يلتف حول الرّوح، ويوقظ عالمه الداخلي، فالإسلام في نظره حقيقة تنصّ على الموازنة بين الحياة والآخرة. تقول هيلين: **"لم يقع الإسلام في شرك التناقض مع الحياة، بل كان باعثًا لطاقاتها ومنظمًا للعلاقات فيها وذلك من خلال ما يسمّيه المسلمون بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر".**[2]

جمع الإسلام من خلال رسالته بين ملذات الدّنيا المشروعة وبين متاع الآخرة، مع الحرص على العمل الصالح لنيل مكانة في جنّة الخلد، بذلك أرسى هذا الدّين نهج عيش المسلم، ونظّم له حياته. هذا ما اكتشفته العجوز هيلين في أبحاثها، أنّ سبب تأخّر الشّرق عن ركب العالم مردّه إلى قصورهم الفكري لجوهر الإسلام الجامع بين الرّوح والمادّة: **"ابتسمت بخجل ثم قالت لنفسها بتأمّل (الإسلام يعلّمك كيف تعيش، وفي لحظة واحدة يدفعك إلى الموت، بكل ما في الحياة من لذّة !)"**[3]

بالإضافة إلى الحملة الشعواء على الإسلام من طرف خصومه، حيث شهد الشّرق حروبًا دامية بين المذاهب الإسلامية نفسها، وحوّرت نصوص القرآن ودلالاتها؛ قصد نشر الفتن، ما زاد من تعلّق الإنسان الشّرقي بالحياة الآخرة، ونبذ الحياة الدّنيا وشهواتها. تقول هيلين:

[1]– لن أموت سدى، ص 140.

[2]– المرجع نفسه، ص 143.

[3]– نفسه، ص 93.

"الإسلام يتعرّض لكثير من التّشويه..... لتعرف عمق الهوى بيننا وبينكم".[1] وهذا أحد أسباب التصلّب الفكري في قعود الشّرق وتخلّفه.

تفكّر هيلين التي أعجبت بروح الشّرق حدّ الانصهار، من خلال قولها لوائل أنّها مسلمة بجوارحها، **في اعتناق الإسلام**، بعدما جالت في بلدانٍ كثيرةٍ من الشّرق، ووجدت فيه الطمأنينة، أين البساطة والقناعة. حيث تؤكّد: **"احتجت عشر سنين من البحث والعمل لأكتشف أن ما تركه المسلمون أعمق أثرًا وأقوى تأثيرًا... بينما يدهشك المسلمون بحضارتهم ويمنحونك القدرة على الاستمرار من حيث توقّفوا..."**[2]

زاوج المسلمون بين القلب النظري والعقل المادي، فكان همّهم العلم، ما دفع بهيلين إلى الانبهار، والاعتراف بفضل الشّرق على الغرب.

تأثّرها بروحانيّة الشّرق عامة والإسلام خاصّة امتدّ إلى ابنتها **نور**، والتي اختارت لها اسمًا عربيًا تيمّنًا بالشّرق، هذه الأخيرة عشقت الشّرق حدّ الذوبان. **"كانت نور مؤمنةً بكل ما أقول، وكانت تحبّ العرب، وتشعر أنّهم جزء من ثقافتها، رسمتهم في مخيّلتها طويلًا رجالًا طيّبين ونساء جميلات ..."** [3]

وفي الأخير يمكن أن نخلص إلى عدّة نقاط تطرّقت إليهم الكاتبة، أهمّها أنّه لا يمكن الحكم على تمسّك الشّرق بالرّوحانيّة فقط من زاوية حاضره دون الرجوع للأسباب التي جعلته ينزف الجهل والتخلّف، فقد عانى الأزمات السياسية من حروب وفتن مفتعلة، ليطال التزييف والتحريف مناهجه الإسلامية، والتي تدعو إلى المادّة والرّوح معًا، لتغدو ممجّدة للرّوح ومناوئة للمادّة.

[1]– لن أموت سدى، ص 143.
[2]– المرجع نفسه، ص 44.
[3]- نفسه، ص 47.

2. روحانية الشرق في رواية *Boussole* de Mathias Enard

تدور جلّ أحداث رواية ***Boussole*** لـ**Mathias Enard** **بعالم الشّرق**، الذي يتغنّى بروحانيّته التي فقدها الغرب، فقد ضمّن الكاتب عنوان روايته دلالات وإشارات كثيرة، فعادة ما تشير **البوصلة** إلى الشمال، إلاّ أنّها في روايته تشير إلى الشّرق الساحر، والعجيب بقصصه وخوارقه؛ حيث منبت أوّل جماعة بشريّة، كما شهدت مجريات الرّواية قصصًا عديدة، منها ما هو حقيقي ومنها ما كان من وحي الخيال.

أ. روحانيّة الشّرق

دائما ما كان الشّرق الوجهة الأولى للعلماء والأدباء الغربيّين الذين قصدوه لفكّ أسراره، والتي ألهمت الإنسان القديم في محاولة تفسير عديد الظواهر، هذه الحضارات الشّرقيّة التي توارت عن الوجود فجأة، تركت خلفها آثار عميقة. حيث يقول فرانتس: **"إنّ أجساد الفنّانين، والشّعراء، والرحالة الذين حاولوا استكشاف هذه الأمكنة، قد آلت شيئا فشيئا إلى الهلاك، لقد برى الوهم أرواحهم في انزواء".**[1]

«Les corps des artistes, poètes et voyageurs qui avaient tenté de les explorer étaient poussés petit à petit vers la destruction ; l'illusion rongeait».[2]

كما ذكر الكاتب عدّة شخصيات غربيّة، جعلت من الشّرق قبلتهم الروحانيّة؛ بهدف التخلص من كاهل الماديات وما ينجم عنها، من همّ وكرب حياتهم الاجتماعيّة، بالإضافة لشغفهم الكبير للتغلغل في أسرار الشّرق. من بين هؤلاء: **آنا ماري، الليدي "ستانهوب، فرانتس ليست، الليدي جين إيلينورو، بلزاك، لامارتين، أجاثا كريستي...**

[1]– البوصلة، ص ص 14–15.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.9.

– آنا ماري:

جالت **آنا ماري شفارتسنباخ** الألمانيّة أو كما اطلق عليها لقب "**الملاك الحزين**" عدّة بلدان في الشّرق، هربًا من الكآبة التي اجتاحت أوروبا بما في ذلك زيورخ، لتبدأ رحلتها الرّوحيّة من حلب بسوريا؛ حيث نزلت بفندق بارون شتاء ثلاثينات القرن الماضي، لتواصل رحلتها إلى إيران وأفغانستان بحثًا عن السكينة والطمأنينة. يقول فرانتس بهذا الشأن: **"تلك السويسرية الهائمة التي حاولت أن تداوي حزنها العميق في هذه الأصقاع..."**[1]

«Sa Suissesse errante, qui y avait promené son spleen».[2]

ويضيف: **"وكانت آنا ماري الفتية تسافر بولع، هربا من الكآبة التي اجتاحت أوربا وحتى زيورخ".**[3]

«La jeune Anne marie voyageait éperdument pour échapper à la tristesse européenne qui envahissait même Zurich».[4]

– اللّيدي "ستانهوب":

مغامرة إنكليزية، عرُفت بثرائها الفاحش وبذخها المترف، أرادت خوض تجربة جديدة في الشّرق، فعُيّنت ملكة **لتدمر** بسوريا بواسطة أخيها ذو المنصب العالي، حيث احتاجت سبعة جمال؛ لنقل عتادها من أواني فاخرة وملابس باهظة الثّمن إلى مكان إقامتها الجديد. وما هي إلاّ أيّام حتّى يتسلّل سحر الشّرق إليها، فتعلّمت كيفيّة قراءة أقدار الرّجال في حركة الأجرام السّماويّة، وتنقّلت بذلك من عالم الماديّات إلى عالم الرّوحانيّات، بعدما اصطدمت بواقع مغاير لما كانت عليه في أوروبا. يتساءل فرانتس بشأنها قائلًا: **"فما الذي دفع هذه**

[1]– البوصلة، ص 146.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.81.

[3]– البوصلة، ص 146–147.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.82.

الاستقراطية الثّرية والنّاقدة ابنة أخت أحد ألمع ساسة ذلك العصر إلى ترك كل شيء ولكي تستقرّ في بلاد الشام حيث حكمت وسط الدروز المسيحيين".[1]

«Qu'est-ce qui poussa Lady Hester Stanhope, riche et puissante, nièce d'un des hommes politiques les plus brillants de l'époque, à tout quitter pour s'installer dans le Levant ottoman, où elle n'eut de cesse de gouverner, de régenter le petit domaine qu'elle s'y était taillé, dans le Chouf, entre druzes et chrétiens».[2]

وقد استحوذ التصوّف عليها أيضًا: **"...الذي استحوذ شيئا فشيئا على الليدي ستانهوب".[3]**

«N'avaient pas toutes connu l'évolution mystique de Mme Stanhope».[4]

- فرنتس ليست:

موسيقي روماني، انتقل إلى الشّرق من أجل إحياء حفل موسيقي لأحد سلاطين الدّولة العثمانيّة بالقسطنطينيّة، وكذا لاكتشاف أسرار بعض الآلات الموسيقيّة القديمة، ليقع أسير سحر هذا العالم الرّوحاني، فعكف على التأمّل والتدبّر في الكون، ما أثّر إيجابًا على طابعه الموسيقى، مثريًا إيّاه إيقاعًا فريدًا، يبعث بالسكينة، ذو موقف ديني. يصف فرانتس هذا العازف كمايلي: **"إلاّ أنّني كنت أتخيّل أنّ هذا الغجري الرّائع فرانتس ليست قد عثر هو الآخر على شرارة أو قوّة ما في هذا المكان، في هذه المناظر الطبيعيّة وهذه الصّروح، أنّ شيئا من ضوء الشّرق الذي كان يحمله في داخله تأجّج خلال إقامته في القسطنطينية".[5]**

«J'imaginais que Liszt le Gitan céleste avait pu trouver là, lui aussi, un déclencheur, une force, dans ces paysages et ces bâtiments ; que peut-être un

[1]- البوصلة، ص 178.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.98.

[3]- البوصلة، ص 182.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.100.

[5]- البوصلة، ص ص 96- 97.

peu de cette lumière d'Orient qu'il portait en lui s'était ravivée lors de son séjour à Constantinople».[1]

– اللّيدي جين إيلينورو ديغبي:

مغامرة إنكليزية فاتنة، تطلّقت في سنّ العشرين؛ بسبب فجورها، تزوّجت بعد ذلك عدّة مرّات، عشيقة نبيل نمساوي، زوجة أحد بارونات بافاريا، خليلة الملك لودفيغ الأوّل البافاري، زوجة نبيل يوناني... بحثت طويلًا عن السّعادة الحقيقيّة فلم تجدها داخل أسوار أوروبا، إلى أن شاءت الأقدار أن تكون فاجعة موت ابنها ليونيداس البالغ من العمر ست سنوات سببا في تغيير مجرى حياتها، كان الطفل يُطلّ على الأم من نافذة أحد الفنادق؛ رغبةً في اللّحاق بها، ليسقط ويتهشّم رأسه على أرض الباحة، عانت ويلات الفقد والحزن في أرض المادّيات. يقول فرانتس: **"لعلّ هذه الحادثة الرّهيبة ما حال دون عثور جين على السّعادة إلاّ في أبعد أصقاع الأرض في صحراء النسيان والعشق، حياتها كحياة سارة، مسيرةً طويلةً نحو الشّرق سلسلة من المحطّات اقتادها بشكلٍ حتمي أبعد فأبعد نحو الشّرق بحثًا عن شيء لا تدري ما هو".[2]**

«C'est peut-être cet horrible accident qui empêcha Jane de connaître le bonheur ailleurs qu'au bout du monde, dans le désert de l'oubli et de l'amour – sa vie, comme celle de Sarah, est un long chemin vers l'est, une suite de stations qui la mènent, inexorablement, toujours plus loin vers l'Orient à la recherche de quelque chose qu'elle ignore».[3]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.54.

[2]– البوصلة، ص 119.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.67.

قرّرت السّفر صوب الشّرق علّها تعيد لمّ شملها، واستعادة بريق ابتسامتها. كان لها ما أرادت، حيث أمضت ما تبقى من حياتها في سعادة مطلقة في صحراء سوريا، والتي **"أمضت آخر عشرين عاما من حياتها في سورية في حالة من السّعادة القصوى".**[1]

«Elle vécut les vingt dernières années de sa vie en Syrie, dans le bonheur le plus parfait».[2]

رغم عيشها ويلات مجازر 1860م، والتي عرفت تدخل الأمير عبد القادر الجزائري الذي عاش هناك بعد عزله من الجزائر، أعادت بناء صرح حياتها، بمبادئ وأفكار جديدة مستوحاة من الرّوحانيّة، والتي تحاول إحكام السّيطرة على ملذات الجسد، وخدمة الرّوح؛ حيث الأمان، لتنتقل من ضجر وكآبة الغرب: **"إلى العثور على الاستقرار العاطفي في الصّحراء، بين دمشق وتدمر في أحضان الشّيخ مجول المصرب، قائد قبيلة الذي يصغرها بعشرين عامًا والذي تزوّجت به بعد تجاوزها سن الخمسين".**[3]

«Par trouver la stabilité amoureuse au désert, entre Damas et Palmyre, dans les bras du cheikh Medjuel el-Mezrab, prince de la tribu des Annazahs de vingt ans son cadet qu'elle épousa à cinquante ans passés».[4]

– أونوريه دي بلزاك:

روائي فرنسي، مؤلّف "**الكوميديا الإنسانيّة**"، أخذ في تحرير روايات كثيرة؛ بسبب شغفه وميله للنساء، عشق بلزاك الكونتيسة البولونيّة "هانسكا" سبع عشرة سنة قبل أن يتزوّجها، لينتقل طابع عمله بعد تأثره بما نِيْعَ عن الشّرق إلى روايات ذات طابع كوميدي، يجمع بين قصص حقيقيّة، وأخرى من وحي الخيال، استقى من الشّرق قصص العفاريت والجن، التي

[1]– البوصلة، ص 119.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.67.

[3]– البوصلة، ص 119.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.67.

تسكن الأماكن البعيدة عن البشر، خاصة المنازل والقصور التي هُجرت، فيصف هذا الشّرق وروحانيّته بالعجيب **"الذي تتقطّر روحه فتتحوّل بخارا مضيئا يلفّ العباد".**[1]

«Exsudant son âme, enveloppant ses fidèles d'une lumineuse atmosphère».[2]

وبهذا فقد أقام بلزاك **"تناقضًا بين متع الشرق الحسّية وعفّة الغرب الباهت".**[3]

«Oppose un Occident chaste et terne aux délices de l'Orient».[4]

- لامارتين:

شاعر وخطيب، مولوع بالليدي هستر، مرّت عليه فترة عصيبة بعد وفاة ابنته بمرض السّل، ما فتح حواسه على الألم والحرمان. **"وقد كان لامارتين "مثلما آخرون هم في حاجة إلى الوحي الإلهي".**[5]

«Il fallut, comme la Révélation pour d'autres».[6]

قصد الشّرق لزيارة خورس كنيسة- معبد مقفل منذ فترة طويلة- ليجد بين أحضان الشّرق أكثر ممّا توقعه. يقول فرانتس: **"أظهر لامارتين عبقريته خلال رحلته إلى الشّرق، خرج هناك من قوقعته الباريسيّة فصارت جملة رحيبة مشرعة على الدّنيا، هناك أمام سحر هذه البلاد الغامضة وجمالها".**[7]

[1]- البوصلة، ص 121.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.68.

[3]- البوصلة، ص 120.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.67.

[5]- البوصلة، ص 181.

[6]- Mathias Enard, *Boussole*, p.99.

[7]- البوصلة، ص 181.

«Lamartine se révélait dans son voyage en Orient, sortait de ses gonds parisiens, ouvrait sa phrase ; le politicien s'affranchissait, face à la beauté de l'inconnu».[1]

ب. الخوارق والأساطير

تناسلت الكثير من القصص الأسطورية المتوارثة عن الخوارق في الشّرق، فعندما عجز الإنسان الشّرقي القديم عن تفسير بعض الظواهر الكونية لجأ لاختلاق مفاهيم وقصص تقريبيّة لها، فقد اعتقد جازما بقوى خفيّة من وراء هذا التنسيق والإبداع اللامتناهي البعيد عن صنع البشر، هذا الشّرق الذي ذاعت عجائبه في الغرب، جعل من سارة وفرانتس أن يكون قبلتهما. يقول بطل الرواية: **"وكان كل ذلك يتطابق مع الصّورة التي رسمناها في شبابنا عن أسطورة الشّرق كأنّنا عثرنا أخيرا على أراضي ألف ليلة وليلة الضّائعة التي عادت تظهر من أجلنا فقط".**[2]

«Conforme à l'image que notre jeunesse avait construite du mythe oriental, nous donnait l'impression d'habiter enfin les terres perdues des Mille et Une Nuits, réapparues pour nous seuls».[3]

أخذت سارة التي فُتنت بالشّرق تبحث أكثر في الكتب علّها تشفي غليلها، بعدما سمعت بأنّه أرض الخوارق والأساطير. ساقها حبّها لهذه المنطقة من العالم إلى الاطّلاع على قصص المسوخ والمعجزات في كتاب "**مروج الذّهب**" **للمسعودي**"؛ حيث ألقت وقدمت بحثها أمام حشد كبير من العلماء الأوروبيين في النمسا بداخل قصر هامر-بورغشتال- وقدّمت ملخصًا عن هذا الكتاب فيما يخص المسوخ، ذاكرة بعضا من أنواع: **"كائنات الغول**

[1]- Mathias Enard, *Boussole*, p.99.

[2]- البوصلة، ص 158-159.

[3]- Mathias Enard, *Boussole*, p.87.

المرعبة، الحنّ والجنّ والنسانيس والهواتف، المخلوقات الغريبة والخطيرة، السّحر والتّنجيم والشّعوذة، الشّعوب النصف آدمية والحيوانات العجائبية".[1]

«Des goules terrifiantes, des djinns, des hinn, des nisnas, des hawatif, créatures étranges et dangereuses, pratiques magiques et divinatoires, peuples demi-humains et animaux fantastiques».[2]

فالجن مخلوقات لا تبصرها العين المجرّدة يؤمن بها الشّرق، تنطبق عليها صفات البشر من طاعة للّه وتلبية للحاجات البيولوجيّة كالأكل و التزاوج، بالإضافة للنظام الاجتماعي، وأقرب دليل على وجودهم تسمية سورة كاملة في القرآن باسم "**الجن**". تقول سارة: **"فالجنّ وكائنات الغول حقيقية جدًا بالنسبة إليه، هو يجمع عنها شهادات مقبولة بحسب معايير البرهان الخاصّة به".[3]**

«Les djinns et les goules sont bien réels pour lui».[4]

وتواصل سارة وصف هذه الكائنات على أنّها مزيجٌ بين البشر والحيوانات؛ حيث تسكن الصحاري في الغالب، على جانب الجبال والبحار؛ قصد الانعزال عن عالم البشر. **"إنّها تبحث عن الانزواء الأكثر توحشًا، ولا يروق لها العيش سوى في الصّحاري، شكل أجسادها دليل على أنّها منحدرة من البشر ومن الحيوانات الأكثر شراسة على حد سواء".[5]**

[1]– البوصلة، ص 37.

[2] –Mathias Enard, *Boussole*, p.21.

[3]– البوصلة، ص 38.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.21.

[5]– البوصلة، ص 38.

«Elles recherchent les solitudes les plus sauvages et ne se plaisent que dans les déserts. Par le corps, elles tiennent à la fois de l'homme et de l'animal le plus brutal».[1]

وتضيف سارة في مداخلتها عن إمكانية الجماع بين البشر ومخلوقات الغول؛ فالغول يقصد به أنثى الجن العاشقة للبشر؛ فتقول: **"إنّه في اليمن، وفي حال اغتصب غول رجلًا خلال نومه، الأمر الذي يمكن التثبّت منه عبر ارتفاع الحرارة وانتشار بثرات في غير محلها".**[2]

«Au Yémen, dit-elle, si un homme a été violé par une goule dans son sommeil, ce qu'on détecte par une forte fièvre et des pustules mal placées».[3]

وعن تضليل هذه المخلوقات للبشر فيضيف: **"كانت مخلوقات الغول المرتدية خرقًا رثّة وأقمشة عتيقة، تسعى إلى تضليل المسافرين بواسطة أغان تنشدها لهم، هي بمثابة حوريات الصحراء إلى حدّ ما".**[4]

«Les goules, vêtues de haillons, de vieilles couvertures, cherchaient à dérouter les voyageurs en leur chantant des chansons ; ce sont un peu les sirènes du désert».[5]

وتستدل سارة عن علاقة جمعت شاعرا جاهليّا بالغول، يلقب بـ "تأبّط شرّا" وهو ثابت بن جابر الفهمي من الشعراء الصعاليك، الذين انعزلوا عن قبائلهم، وخرجوا من نظام حكمها، بعدما كثر شرّهم في الغالب؛ حيث ينشد عن أنثى الغول؛ التي كانت تظهر بين الكثبان الرّملية بمظهر فتاة جميلة لإغوائه قائلا:

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.21.

[2]– البوصلة، ص 39.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.23.

[4]– البوصلة، ص 39.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p .23.

"فأصبحت الغول لي جارة فيا جارة لك ما أهولا

فطالبتها بضعها فالتوت علي وحاولت أن أفعلا

فمن كان يسأل عن جارتي فإن لها باللّوى منزلا"[1]

«Au lever de l'aurore, dit-il, elle s'est présentée à moi pour être ma compagne ; je lui ai demandé ses faveurs et elle s'est agenouillée. Si l'on m'interroge sur mon amour, je dirai qu'il se cache dans les replis des dunes».[2]

تمثّل سارة الشّرق من خلال اطّلاعها على حضارته بكل ما تحمله، هي لسان الشّرق وترجمانته؛ فيقول الموسيقى فرانتس بعدما فُتن بها: **"لأنّني لا أكتشف جسدها بعد أن سحرني عقلها".[3]**

«De ne pas découvrir son corps après avoir été charmé par son esprit».[4]

ج. التصوّف والموسيقى

إنّ المذهب الصّوفي الشّرقي في جوهره هو محاولة لإخضاع الجسد البالي للرّوح الخالدة حسب ثوابها في الآخرة؛ حيث يصبّ معتنقوه جام اهتمامهم على الجانب الرّوحي؛ فقد اتّخذوا من الموسيقى أحد أسس معتقداتهم في مخاطبة الوجدان، بما تبثّه من سكينة وطمأنينة في الذّات البشريّة؛ حيث يسرد البطل ما وجده الموسيقي فرانتس ليست في القسطنطينية من سحر في المقطوعة الصّوفيّة "بركة الله في العزلة" التي هي أيضا اقتباس موسيقي لقصيدة **"لامارتين بمثابة جواب عن سؤال البيتين الأولين (من أين أتت) يا إلهي هذه السّكينة التي تغمرني؟ من أين أتى هذا الإيمان الذي يفيض به قلبي وكنت مقتنعًا كل الاقتناع بأنّ**

[1]– البوصلة، ص 39.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.23.

[3]– البوصلة، ص 61.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.35.

هذا الوحي على علاقة باكتشاف فرانتس ليست السحر الخاص الذي يتميز به الضوء في بلاد الشّرق".[1]

«De Lamartine répondait à la question des premiers vers, "D'où me vient, ô mon Dieu ! Cette paix qui m'inonde ? / D'où me vient cette foi dont mon cœur surabonde ?" Et j'étais intimement persuadé qu'elle avait trait à la rencontre de la lumière orientale et non pas».[2]

فقد أسالت الموسيقى **الرّوحانيّة** في الشّرق لُعاب مجموعة من الموسيقيين الغربيين من بينهم: موزار، بيتهوفن، شوبرت، ليزت، برليوز، بيزيه، ريمسكي، كورساكوف، دوبوسي، بارتوك، شوينبيرغ...والذين عجزوا عن إيجاد تفسير للشعور الذي يعتري الإنسان عند سماعها. يتساءل فرانتس فيقول: **"...وكيف أشرح حالات انعدام الوعي التي أصبت بها في بعض الأمكنة المشحونة بطاقة روحانية، مثل مسجد سليمان أو التكية المولوية في دمشق؟ هذه كلّها ألغازٌ سأصطحبها معي إلى حياتي المقبلة".[3]**

«Que penser de mes absences dans certains lieux chargés de spiritualité, comme la Süleymaniye ou le petit couvent de derviches de Damas ? Autant de mystères pour une prochaine vie».[4]

د. الأماكن المقدّسة

إذا كان للموسيقى وقع على النّفس البشريّة، فإنّ لولوج الأماكن المقدّسة للمعتقد الإسلامي أثر بالغ الأهميّة؛ حيث يسمو الإنسان بذاته دون وساطة مع خالقه، وبعيدًا عن صكوك الغفران وبثّ الشكوى للرهبان، إحساس عاشه فرانتس المسيحي، بعد دخوله لمسجد سليمان

[1]– البوصلة، ص 93.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.52.

[3]– البوصلة، ص 140.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.77.

في تركيا، إذ انتابه شعور روحيّ أدرك به معنى الحياة البعيدة عن ضوضاء المادّة، وهو يتأمّل العمران الإسلامي. يقول: **"...المشاعر التي غمرتني في مسجد سليمان من ذكرى السّاعتين اللتين اختفت هناك، أوّل إحساس روحاني لم أختبره عبر الموسيقى- بعد بضع سنوات".**[1]

«Les heures disparues dans la Süleymaniye, premier émoi spirituel que je n'éprouve pas par la musique – quelques années plus tard».[2]

يتحدث فرانتس عن **بيلغر** وجنونه، فيقول عن تصرّفاته وأقواله غير المتّزنين: **"هل هي رحلاته الكثيرة جدًا إلى الشّرق ما وسّع صدعًا في الرّوح كان يعاني منه سابقًا، هل التقط هناك مرضًا روحانيًا أم أنْ لا دخل لتركيا وسوريّة في كلّ ذلك ..."**[3]

«Est-ce que ses trop nombreux séjours en Orient avaient agrandi une fêlure de l'âme préexistante, est-ce qu'il avait contracté là-bas une maladie spirituelle, ou est-ce que la Turquie et la Syrie n'avaient rien à voir dans tout cela».[4]

هـ. الزّهد

ومن نتائج الرّوحانيّة المفرطة في العصر الحالي في الشّرق **الزهد**، المتمثّل في الانشغال بالعبادة دون سواها، والانقطاع عن ملذات الدّنيا وشهوانيتها المادّيّة، حيث البساطة والسّعادة، بعيدًا عن وسائل التكنولوجيا الحديثة؛ فالغذاء ممّا تكسبه اليدان من جدّ وكدّ، والنظام الاجتماعي القبلي قائم على عاتق شيخ القبيلة.

[1]- البوصلة، ص 96.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.53.

[3]- البوصلة، ص 131.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.73.

هذا الزهد الذي جاء كردّة فعل على انتشار تيّار اللّهو والمجون في العصر العباسي أصبح محط إعجاب عند الغربيين، من بينهم الصّحفي **ليوبولد فاس** اليهودي، الذي ولد بغاليسيا– فيينا– حدّ اعتناقه الإسلام وتغيير اسمه إلى محمد أسد، انبهر بالحياة البعيدة عن التعقيد في هذا الشّق من العالم؛ حيث تتجلّى عظمة البارئ؛ يقول فرانتس: **"فكما حدس ليوبولد فاس، إنّ تواضع الحياة البدويّة إحدى أقوى الصّور التي يبثّها الإسلام: التخلّي المطلق عن أبهة الدّنيا، الزّهد وسط عراء الصّحراء، هذا هو النقاء، هي هذه العزلة ما جذبني أنا أيضا كنت أتوق إلى لقاء هذا الإله الحاضر للغاية".**[1]

«Comme chez Leopold Weiss, l'humilité de la vie nomade est une des images les plus fortes de l'Islam, le grand renoncement, le dépouillement des oripeaux mondains dans la nudité du désert – c'est cette pureté, cette solitude qui m'attirait moi aussi. Je voulais rencontrer ce Dieu si présent».[2]

سِحر الصّحراء يهذّب النّفس ويقلّم أفكارها، وقساوتها تجعل الجسد مطاوعًا لها؛ ذلك المكان سَلب ألباب الكثير ممّن أرادوا خوض تجربة روحيّة في غماره، أيقنوا أنّ المادّة دون روح لا طائل منها في هذا العالم الفسيح، شرف حظي به فرانتس ورفاقه باقتناص لحظات من هذا الوهج الرّوحي، بعد زيارتهم لأحد القبائل البدويّة في الصّحراء. فيقول: **"بل ألمح أيضًا، في الصّحراء هذه المرّة ذاك النّور الذي تكلّم عنه ابن سينا، الشعاع المنبعث من الكل الأكبر".**[3]

«Mais aussi d'entrevoir, au désert cette fois-ci, la lumière avicennienne du Tout. Car».[4]

[1]– البوصلة، ص 214.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.116.

[3]– البوصلة، ص 214.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.117.

ع. العفّة والشّهوانيّة

نحى الكاتب نهج تبرئة الشّرق من تهمة شهوانيّته الذائعة الصّيت بين أواسط المجتمع الغربي؛ حيث كان مصطلح الشهوانيّة أحد مرادفات الشّرق، وإن عَرف الشّرق حقيقةً انتشار في وقت مضى للجواري والخليلات في القصور وفي بيوت الأغنياء وغيرها من مظاهر الإباحيّة، إلاّ أنّ هذا قد تلاشى بمرور الوقت، ما عدا عند بعض المتشرّبين بالمذاهب التي تبيح هذا النوع من الممارسات بدعوى زواج المتعة، لكن لا يمكن تعميم هذا على باقي الشّرق بمعتقداته وتوجّهاته. يقول فرانتس: **"أنّ الشّرق نفسه هو الذي يبثّ مباشرة قوّته وإيروسيّته وطاقته الإكزوتيكيّة في فن نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كان الجميع يحبّ الشّهوانيّة والعنف والملذّات والمغامرات والوحوش والجنّ".**[1]

«Cette fois-ci on pense que c'est l'Orient lui-même qui insuffle directement sa force, son érotisme, sa puissance exotique dans l'art du tournant du siècle ; on aime la sensualité, la violence, le plaisir, les aventures, les monstres et les génies».[2]

تُلقي سارة مداخلةً في إحدى ندواتها مدافعة عن عفّة الشّرق الذي أُغدق بعدّة صور نمطيّة: **"أشارت سارة إلى أيّ حد كان هذا الرابط بين الجنس والشّرق والعنف، يلقى تجاوبًا كبيرًا من الرأي العام، ذلك حتّى يومنا هذا".**[3]

«Sarah fit remarquer à quel point l'association sexualité-Orient-violence avait du succès dans l'opinion publique, jusqu'à aujourd'hui».[4]

[1]– البوصلة، ص 250.

[2] –Mathias Enard, *Boussole*, p.135.

[3]– البوصلة، ص 193.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.105.

يرى فرانتس وهو قريب من سارة في دجى اللّيل عن الوضعية الحميمية التي يشبهها بالشّرق، في صورة الغرب المسيطِر والشّرق المسيطَر عليه: **"كانت حميمية هذه الوضعية تتّسم في الوقت ذاته، وعلى صورة الشّرق نفسه، بالعفّة والشّهوانية".**[1]

«L'intimité de cette position était à la fois chaste et érotique, à l'image de l'Orient lui-même».[2]

استنادًا لما تقدّم يمكننا القول إنّ الكاتب ماتياس إنارد تناول روحانيّة الشّرق بكل حياديّة وموضوعيّة دون التحيّز لخلفيّاته الأيديولوجيّة، مدافعًا عن هذا القطب حسبه الغني بماضيه، بعدما لخّص في روايته الكثير من الأسباب التي جعلت الشّرق يدخل مضمار الانطواء على الآخر، بعدما لجأ للتصوّف والزّهد؛ نتيجة ما عاناه من حروب وآثارها على كل مناحي الحياة، فأولى اهتماما بالغا بالرّوح دون الجسد؛ فالسّعادة الحقيقيّة في رؤى الشّرق اليوم تتلخّص في إيمانه القوي بنيل الجنّة، من خلال الالتزام بتأديّة الشعائر الدّينيّة، ليكون بذلك قبلةً للقطب الغربي المتعطش للوحي الرّوحي، بعدما غرق في المادّة زمنًا طويلًا، فالرّوائي قد اعترف بفضل الشّرق على العالم، ما يشير لانفتاح الغرب على الآخر أكثر من الشّرق الفاقد للثّقة في الغرب كما يبدو في الرواية.

[1]– البوصلة، ص 201.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.110.

المبحث الثالث: مادّية الغرب

1. مادّية الغرب في في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

لا شكّ أنّ الجهود الغربية الحثيثة في دعوتها إلى إعلاء القيم الأخلاقية أدركت أخيرًا ما آل إليه المجتمع الغربي من انفصام في شخصيته، بعدما سلبت التّكنولوجيا قيمه متناسيًا قيمة الإنسان الرّوحية ودورها في تثبيت أواصر الأخوّة؛ لتَنتج عنه أزمات وليدة العصر كالانتحار، والسّرقة، والإباحيّة المفرطة...

أ. المسيحيّة والمادّة

إنّ التقدّم الهائل الذي أحرزه الغرب في المجال العلمي والتكنولوجي أهّله لفرض نمط دخيل على المجتمع الغربي، منتقلًا به من الرّوحانية إلى المادّية العلمانية، فلا ننكر أنّ الغرب في وقت قريب كان روحانيّا محض، حيث كانت المسيحيّة تمجّد الحياة الفانية، وتقف موقفا معارضًا أمام العلم، مشدّدة اللّهجة على من يحاول فكّ شفرات أسرار الكون، كدوران الأرض وشكلها.

قمعت الكنيسة العقل الغربي لقرون، لتقوده وراء قضبان الجّهل والتّخلف، والعيش على وقع الخرافات والأساطير، ومع بداية القرن العشرين بدأت ملامح التخلّص من قيود الكنيسة تلوح في الأفق، فالكنيسة قد التفت حول الرّوح وتجاهلت عناصر المادّة والطّبيعة، لتتعالى حناجر المعارضين على الفكر المسيحي.

جدّد الغرب منظومة حياته وأسّسها على العلم برؤى وخلفيات محدثة، محاولًا تجاوز عصور الاستبداد والظّلم، بجملة من الأفكار الإلحاديّة والعلمانيّة، ومن الأفكار التي أُعلنت: الإيمان بالعالم الحسّي فقط وعدم الاكتراث للحياة ما بعد الموت، وأنّ هذا العالم جاء صدفة، ما دفع بالغربي للتحرّر من الرّقابة الدّينيّة، وبذل ما كل يستطيع؛ رغبة في عيش حياة

الرّفاهية، مادام يعتبرها الحياة الوحيدة، إضافة إلى انتقاله من كيان نظري للظواهر الطبيعيّة إلى كيان تطبيقي تجريبي.

تناولت الكاتبة موضوعي **الروّح والمادّة** بين قطبي **الشّرق والغرب**، حيث وصف الغرب ببلد الفرص المادّي المنسلخ عن قيمه وهويّته، ويظهر انبهار بعض الشّخصيات الشّرقيّة أمثال **وائل** بطل الرّواية، **عوض** الخائن بمادّيّة الغرب التي يمثّلها كل من **العجوز هيلين**، و**جين** عشيقة وائل والأب **إدوارد**، بالإضافة لبعض الشّخصيات الثانويّة.

عناد **وائل** منذ صباه ومعارضته للثوابت الشّرقيّة، وطرح أسئلة غريبة عن حقيقة اللّه، كان مؤشّرا على شخصية مطاوعة عاشقة للنمط الغربي في صور العيش والعدل والحرّية، وانسلاخ النظم من القيود الشّرعيّة، كما كان لا يحبّذ تلقي الأوامر من أحد، يميل لحبّ المادّة، ما دعا جدّه لعتابه وحثّه على عدم الاحتفاظ بالأشياء التي يمنحها إيّاه صديقه اليهودي حاييم، **"وأخرج زرا ذهبيا من جيبه، ووضعه في يدّ جدّه وأمسك جدّه الزّر تفحّصه جيدا، ثمّ نظر إلى وائل وهو يقول معاتبا: ظننتك تساوي أكثر من هذا !"**[1] حيث يقول الجدّ له عن ميله لحبّ الدنيا وتشبّثه بماديّتها: **"أنت تكبر بسرعة وبدأت مثلهم تحبّ الحياة !"**[2] إضافة لرفضه العيش فقيرًا تحت وطأة كيان الاحتلال اليهودي، والذي ألمّ اليأس به، وصقل عزيمته إلى حدّ إقدامه على ترك بلده إلى بلد يلبي متطلباته المادّيّة. يقول وائل: **"كان علي أن أذهب بعيدا عن الموت... ولدت لأحيا فلماذا تصرون على قتلي بضعفكم ؟! احملوا وحدكم الحجارة والخبز، ودعوني احمل حلمي ووطني الذي سأبنيه بنفسي".**[3]

[1]– لن أموت سدى، ص 104.

[2]– المرجع نفسه، ص 104.

[3]– نفسه، ص 16.

احتياجه للمال والسكن والأمن، جعل منه شابّا منبهرا بما حقّقه الغربيون من تقدّم، ليشكّل الغرب مصدر إغراء، يجذب الشّرق المفتقر للمادّة، بل مَركزا مؤثرا في شباب الشّرق، الذي طاله الإحباط النّفسي، فقد أصبح **وائل** بائعًا للسّمك، والذي اصطدمت أحلامه بشرق سالب لطاقته الشّبانيّة، بخلاف الغرب الذي اعتبره ملاذه الوحيد للعيش الرّغيد. يقول: **"الدّنيا تفتح أبوابها هناك، كي تحضن الباحثين عن أحلامهم..."**[1]

بعد أن جمعته الصّدفة **بجين الأمريكيّة** نشأت بينهما علاقة حبّ، تقنعه باصطحابها معه إلى نيويورك؛ حيث سترافقه أيضًا إلى أحد المستشفيات الكبيرة؛ من أجل إجراء عمليّة جراحيّة لقلبه الضّعيف، وقد أسرّت له بكلام أثلج صدره، بعد تحمّلها كل المصاريف، قائلة: **"سأدفع لك كلّ ما تريد".**[2]

لم تستطع أسرته المقاومة والثّابتة في قيمها هضم هذا القرار، فعارضته بشدّة، حيث ترجّته أمّه البقاء إلى جنبهم، في هذا الوطن الذي نشأ به. ليردّ عليها: **"الحياة تخلق الوطن....أي أرض تحتويني وتعطيني ما أستحق جديرة بأن تكون وطنا لأحلامي".**[3] تأثّره بالغرب أعمى بصيرته، وجرّه إلى طي ماضيه وهويّته فجأة.

تواصل الأمّ المغلوبة على أمرها بثّ نصائحها علّها توقظ فيه شيئا من روح الشّرق، وهو على مشارف **الانقياد** لعالم مغاير لواقعه؛ حيث يأمل أن يصبح ثريّا. فتقول: **"ما معنى الرّحيل، إن كنت ستتركنا فلسطينيا هشّا لتعود مليونيرا أمريكيا؟!"**[4] في رفض تامّ لقبول ماله، فالسّعادة الحقيقيّة عند الشّرقي نقاء وطهارة الرّوح من العلل.

[1]– لن أموت سدى، ص 7.
[2]– المرجع نفسه، ص 37.
[3]– نفسه، ص 7.
[4]– نفسه، ص 8.

يحاول **وائل** صدّ مناها مقدّما لنفسه مبررًا واهيًا، وجرعة أمل لعائلته، فيعلّل نيّته في السّفر بثلاثة أسباب: **المال والحب وإجراء عمليّة جراحيّة**، أمور لم يجدها في الشّرق. فيقول: **"المال الذي سأجمعه هو قوّتي التي أبحث عنها، جين تحبني، وستعمل على إسعادي، ستعرضني على أشهر الأطباء، وستمنحني الحياة !"**[1]

وجد ملاذه في **عشيقته جين** التي تمثّل **الغرب** بماديّته وإصراره في التمسّك بالحياة دون سواها؛ حيث تنعم بالسّلام بعيدا عن نيران الكراهية. **"جين هي فرصتي الوحيدة للحياة.... معكم سأموت ألف مرة قبل أن يطاردني رصاصهم، جسدي لن يتحمّل المزيد من الألم وروحي أكلها اليأس فما عادت على عنف المقاومة!"**[2]

ليتدخّل **علي** –الأخ الأصغر لوائل– كورقة بديلة أخيرة، وبنبرة حادّة مؤنّبة: **"... لأنّك عندما تعود إليهم لن تكون أنت ستكون شخص آخر لا يقدر أن يقدّم لهم الدولارات ...."**[3] يحاول أن يعيده لتلك الأيام الخوالي والجميلة؛ حيث الدفء العائلي والأصدقاء، يوم كانت النظم الأخلاقية تسيطر على كيانه، قبل أن تنال منه أهواء المادّيّة، وتعصف بقيمه لحد اعتبار المال بديل يغنيه عن سؤال الأحبّة. يقول: **"لا تخش علي... المال وحده يخلق الأصدقاء".**[4]

في المقابل يجد وائل بعض **الداعمين لسفره مادّيًا ومعنويًا**، بعدما نالوا من نفسيته الضعيفة، ووعدوه بغدٍ أفضل، فمنحوه كامل التسهيلات للرّضوخ إلى مطالبهم، بهدف تفكيك الأسرة

[1]– لن أموت سدى، ص 120.
[2]– المرجع نفسه، ص 120.
[3]– نفسه، ص 120.
[4]– نفسه، ص 10.

الشّرقيّة، بشعارات ونداءات تحفيزيّة. **"المحارب القويّ يفكّر في النصر، في النصر وحده، فكّر أنت بأحلام المستقبل الذي يليه، فكر في الوطن الجديد..."**[1]

خرج وائل وهو يحلم بالنّعيم المادّي للغرب، وشيء فيه يدفعه للسير قدما دون النظر للماضي الأليم، صوب أمانيه، **"استمر يا وائل...استمر... اتّجه كالبرق نحو الطائرة بأحلامك ولا تنظر إلى الوراء..."**[2]

يتّحد عميل الاحتلال اليهودي سالم مع إدوارد المسيحي لتوفير متطلبات وائل المادّيّة. حيث يقول: **"وعدت ادوارد بإرسالك إليه، إنّه يحبّك وابنته تحبّك... المال والجمال يرتميان تحت قدميك..."**[3] في حين لا يجتمع اليهود والمسيحيون في فلسطين حسب الكاتبة عادة إلاّ لمصالح شخصيّة ضد المسلمين.

ليتساءل وائل الميسور الحال عن سبب اهتمام إدوار الفاحش الثّراء به، إذ لا تجمعهما سوى علاقة **جين: "ماذا يريد ذلك المليونير من رجل معدوم مثلي؟!"**[4] في حين يريد النّيل من روحه الشّرقيّة، وجعله يلحق الرّكب الغربي.

يقف **وائل** في حيرة بين روح يداعبها سحر الشّرق وبين جسد يغازله لهيب الغرب، لكن **جين** أنهت تردّده، بعدما انتبهت لشيء ما يوحي بعودته إلى رشده، بعد سؤاله لها؛ فأجّجت حبّه بها، وجعلته سدًّا منيعا يحول بينه وبين عدوله عن قراره،

"لماذا لم تبقي معي هنا؟!"[1]

---

[1]– لن أموت سدى، ص 21.

[2]– المرجع نفسه، ص 20.

[3]– نفسه، ص 22.

[4]– نفسه، ص 22.

تقول جين:**"–المستقبل هناك !**

عندما نكون معا في أمريكا، ستنسى كلّ هؤلاء لن تتذكّر سوى جين أعدك يا حبيبي، أعدك بشيئين الحب والحياة!"[2]

يعاني **وائل** آلامًا حادّة على مستوى القلب، وجعل الخوف بفقدان حياته يتسلّل إلى نفسيته المهزومة أصلًا، لتكون له **جين** خير سند. **"لا تقل هذا يا حبيبي ، ستعيش من أجلي، لقد أعددت كلّ شيء ، انا لم آت بك هنا لتموت ..."**[3]

تخطّى وائل أوّل حاجز نفسي بصعوده الطائرة، لتذهب دموع عائلته وأصدقائه سدى. غادر وتجاوزه الأعراف السّائدة؛ بتخلّيه عن المقاومة. **"...لكن وجه علي كان يطل بعتاب مرير، يسير ببطء ويخبر ركاب الطائرة أن بينهم خائنا يحمل سيفا خشبيا ويدعي بأنّه سيحرّر بلاده حين يستبدل به سيفًا ذهبيًا".**[4]

وقد شاء القدر أن تجتمع شخصيتان على متن الطائرة، كلّ واحدة تفتقر لما تملكه الأخرى، وائل الشّرقي المتشبّع بالروحانيّة الباحث عن ماديّة الغرب، والعجوز الدكتورة هيلين الأمريكية اللاهثة وراء روح الشّرق، والتي دفعها عشقها للشّرق أن تقوم بأبحاث ودراسات عنه وتستلهم قسطا من عبقه، تلحظ ارتياب وائل بجنبها، وعلى عادة الغرب تحاول أن يكون لها أنيسًا في رحلتها، بعد مدّة من الحوار تكتشف المكيدة التي كان ضحيتها، والذي يطمح لتحصيل المال والحبّ، فتسأله عن سبب توتّره الشّديد: **"لماذا هذا الحزن، وأنت ذاهب لبلاد الفرص الكبيرة؟!**

[1]– لن أموت سدى، ص 145.
[2]– المرجع نفسه، ص 146.
[3]– نفسه، ص 169.
[4]– نفسه، ص 88.

" **تبحث عن المال ، أم الحب !**

– وجدت الاثنين معا".[1]

العجوز هيلين وبعد فقدها لأبنائها دفعها حنانها وعطفها أن تنصح **وائل** بالعودة إلى حضن أمّه، وعاداته وتقاليده، لكن عناده وتمسّكه بقراره منعه أن يتقبل كلامها: **"عندما تستقرّ حياتي في نيويورك، سآتي بأمي ستعيش معي وسأحقّق كل أحلامها....**

لكن ستشعر بالجوع، صدقيني.... سنعيش حياة رائعة لا موت، ولا رصاص ولا مزيد من الذكريات المؤلمة".[2]

دفعه غروره إلى مواصلة الاقتراب من حلمه المادّي؛ فسعى لأن يؤكّد للعجوز هيلين بأنّ كلّ شيء على ما يرام، وأنّه سعيد بقراره، إلاّ أنّ قلب الأم دائما ما يحرز الصواب، فلن يجد الحميميّة الأسرية خارج أسوار وطنه، في حين يعتقد أنّ الغرب سيلبي له حاجاته، فجعل يردّد بشأن جين: **"قامت بترتيب كل شيء وحدها، سأعمل مع والدها، وسأقيم في بيتها في نيويورك اتّصلت بأشهر الأطباء المتخصّصين وستتم معالجتي فور وصولي".**[3]

جعل الغربُ الحياةَ غنيّة بجملة من المفاهيم التي تصبّ في وعاء واحد يقوم على استمراريّتها وأبديّتها، ما يدفع بالغربي إلى تقديم كلّ ما في جعبته حتّى يحقّق الرفاهيّة.

ب. صورة الموت

يختلف مفهوم الحياة والموت بين أواسط الغربيين بصفة متفاوتة من شخص لآخر. فبعدما تراجعت هيمنة الكنيسة نتج عنه تذبذب في الإيمان، وانتقال من مرحلة الاعتقاد إلى الشّك

[1]– لن أموت سدى، ص 136.

[2]– المرجع نفسه، ص 117.

[3]– نفسه، ص 136.

ومن ثمة إلى الإلحاد، خاصّة بفصل الدّين عن الدّولة، ليغدو الدّين أمرًا ثانويًا هامشيًا في حياة الغرب.

عصفت التيارات الغربية اليوم بالمجتمع الغربي ومعتقداته حول حقيقة الموت وما بعده، ما نجم عنه انقسام المجتمع لفئتين، **فئة متمسّكة** ولو بالقليل بتعاليم المسيحيّة، تعيش في قمّة الانحلال والتمزّق الأخلاقي بحكم التحريف والتلفيق الذي أسر الرّسالة المسيحيّة، في كون الغربي يفعل ما يشاء؛ مادام النّبيّ عيسى في نظرهم صلب وأعدم ليطهّرهم من الذنوب، قد ضمنوا على حدّ قولهم دخول الجنّة. حيث يقول **وائل** عن هذه الفئة: **"...فيسعى لخداع نفسه وإقناعها بأنّ الجنة خلقت من أجله وحده وعندها لن يعدم الوسيلة التي تمكّنه من شراء أكبر عدد من صكوك الغفران، رغم أنّه يعلم في قراره نفسه أن لا فائدة منها ! وستجدينه ياسيدتي أحرص الناس على الحياة ويتمنى لو يعمّر ألف سنة من مواجهة الحقيقة التي يحسب لها رغما عنه !"**[1]

كما تعترف **العجوز هيلين** بوجهة نظر **وائل**، وهذا ما جرّها إلى محاولة التخلّص من هذه الأفكار، فكُرهُ الغربيّ الموت يعود لتمجيد الحياة. فتقول: **"الإنسان عندنا لا يفكر كثيرا بما بعد الموت، فهو متعلق بمظاهر الحياة كما ذكرت وهذا ما يجعله يكره الموت".**[2]

أمّا **الفئة الثانية فلا تأبن بتاتًا بالحياة البرزخيّة**، بل لا تؤمن بوجود خالق ومسيّرٍ لهذا الكون الفسيح، بحُكم أنّ الكون تشكّل وتطوّر صدفة، تؤمن بالعالم الحسّي الذي يخضع للتجارب والوسائل العلميّة والتكنولوجية، في المقابل لا تستطيع إيجاد أجوبة شافية لبعض الأشياء الإعجازيّة كالأحلام، والإحساس بالحبّ والكره... والتي تدعونا للإيمان بقوى غيبيّة خارقة تسيّر الكون، حيث تبقى هذه الفئة بعيدة بعد السّماء والأرض عن الاقتناع والتفكير

[1]– لن أموت سدى، ص 85.

[2]– المرجع نفسه، ص 85.

بأحقيّة الخالق، فهي تُحكّم كلّ الظواهر الطّبيعيّة والنّفسيّة لمنطق العقل. يذهب وائل قائلًا: **"أنتم الغربيّون تعرفون كيف تجعلون من الحياة عشيقة رخيصة، لذلك تسعون لقضاء أكبر عدد من الليالي معها، والمضحك في الأمر أنّ هذه العشيقة غالبًا ما تكون قبيحة تفرض جسدها الهرم على أحلامكم، ورغم ذلك تتمسكون بأذيالها وكأنها شيء مقدس ! أنتم سيدتي تكرهون الموت، لأنّه يشيلكم من متعة المشاركة في لعبة غامضة، لا تعرفون من سيفوز بها !!"**[1]

أدركت العجوز هيلين حقيقة وائل الهارب من روحانيّته، وبأنّه ضحية المادّيّة، وأصبح يخاف الموت، في حين إنّ الموت عند الشّرقي استراحة مؤقتة من متاعب الحياة، لتوارى روحه إلى مثواها الحقيقي بالثواب أو العقاب. فتقول: **"أرأيت يا وائل، أرأيت كم تحب الحياة وكم أنت خائف من الموت ؟!"**[2]

كَلامُ العجوز أثّر في وائل، ليلوم نفسه، وينتقد وضعه المحرج: **"عد يا وائل لا تتحدّث مع تلك العجوز عن كبرياء الموت، وأنت تزحف ذليلا نحو حياتهم؟!"**.[3]

وفي الأخير يمكن أن نخلص لفحوى ما تقدّم، أنّ الشّرق لم يتقيّد بتعاليم الإسلام، والتي أسّس فيما مضى بفضلها دينًا ودولة، والذي وازن ودعا صراحة للمادّة والرّوح، وهذا ما يمثّله **وائل**، وفي الجهة المقابلة نجد **الغرب المادّي** الذي تخلّى عن **روحانيّة المسيحيّة** وسعى لقمعها، بعدها أخذ يبحث له عن دين جديد يتماشى وقناعاته، وفحيح المادّيّة التي التهمت القيم الأخلاقيّة، ونالت من النظم الاجتماعيّة، ويتمثّل ذلك في شخصية **العجوز هيلين** الباحثة عن الرّاحة النّفسية والسّكون في كنف الشّرق الرّوحاني.

[1]– لن أموت سدى، ص 84.

[2]– المرجع نفسه، ص 89.

[3]– نفسه، ص 88.

2. مادّية الغرب في رواية *Boussoule* de Mathias Enard

كان ولا يزال الجدل قائمًا حول علاقة الشرق بالغرب، بين الأنا والآخر، بين عالم **الشّرق** الرّوحاني المتشبّث بهويّته العقائديّة والثقافيّة، وبين عالم **الغرب** الذي ينحو منحى الهيمنة المادّية على سائر بقاع الأرض.

أ. صورة الإنسان

تطرّق الكاتب إلى ثنائيّة الرّوح والمادّة باعتبار الأزمات الرّاهنة تعود لتفشي المادّة وتراجع القيم الرّوحية التي اجتاحت أوروبا، ونلمس افتقار الغرب للرّوحانيّة انطلاقًا من الإقبال الكبير للمستشرقين والعلماء بمختلف توجّهاتهم صوب الشّرق، اتّفقوا على مبدأ واحد متمثّل في استلهام روح الشّرق، أين زاوج بين المادّة والرّوح وأسّس حضارات عريقة، بعكس اليوم أين تمّ التمسّك بالرّوح وأهملت المادّة من علوم ومنشآت، ومع من يقابله ممّن اهتمّ بالمادّة والطبيعة، وتناسى قيمة الإنسان.

يعترف فرانتس بحالة الغرب عمومًا جرّاء اجتياح المادّة وتغلغلها في النّفس البشريّة الغربية. قائلًا:**"أمّا نحن فمجرّد رحّالة مسجونين في الذات، وقد يطرأ علينا تحول ما عند احتكاكنا بالغيرية، لكننا لا نختبرها بعمق، احتكاكنا السريع والعابر بالآخر هو احتكاك الجواسيس".**[1]

«Nous autres restons des voyageurs, enfermés dans le soi, susceptibles, qui sait, de se transformer eux-mêmes au contact de l'altérité, mais certainement pas d'en faire l'expérience profonde. Nous sommes des espions, nous avons le contact rapide et furtif des espion».[2]

[1]– البوصلة، ص 251.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.136.

انتقل الإنسان الغربي من مرحلة الإيمان وما يترتّب عنه من راحة نفسيّة وسكينة والعيش في طمأنينة إلى مرحلة الكفر، والاقتناع بأفكار سامّة، كالإلحاد الذي يؤدّي للكآبة والفرد بكونه منبوذًا دائمًا من الأنا الأعلى، غالبًا ما ينهي هذا الشّعور الأليم بالانتحار.

عرض الكاتب حالات كثيرة أقدمت على إقامة حدٍ لحياتها؛ نتيجة النظرية الدّونية للحياة وما يعتريها من نفسية محبطة. حيث يذهب فرانتس مؤكّدا حاله المماثلة لملايين النفسيات المحبطة، والتي وجدت في الشّرق ملاذها: **"يمكن القول إنّ حياتي الرّوحية خراب مماثل لخراب حياتي العاطفية، أجد نفسي اليوم ضائعا حائرا من أمري كما من ذي قبل، لا يواسيني أيّ إيمان لاشك في أنّني لست من بين من قدر لهم الله الخلاص".**[1]

«On peut dire que ma vie spirituelle a été le même désastre que ma vie sentimentale. Je me retrouve aujourd'hui aussi désemparé qu'autrefois, sans la consolation de la foi – je ne fais sans doute pas partie des élus».[2]

كما أصبح يُنظر **للإنسان** على أنّه **آلة** منقادة للأوامر، وفاقدة لكلّ العواطف، بإلغاء وتفكيك الأفكار المتعلّقة بالرّوح، ولعلّ من الأمثلة القريبة في الرّواية ما يتعرّض إليه الإنسان من ممارسات فظيعة، خلّدت في المتاحف كرمز للوحشيّة الغربيّة؛ حيث حُنّط أشخاص تظهر عليه علامات التّعذيب، دون أن يكلّف الغربيون أنفسهم عناء التساؤل:**"من هذا الرجل (أكان من لحم ودم أم مكونا من مادة أخرى) الذي ولج أحشاء في منتهى الكمال ليغرس فيها بذرته".**[3]

[1]– البوصلة، ص 212.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.115.

[3]– البوصلة، ص 24.

«De chair ou de résine, avait pénétré ces entrailles si parfaites pour les ensemencer, et vous détourniez immédiatement la tête».[1]

ينقل لنا فرانتس الذي صال وجال متنقلًا بين الشّرق والغرب حقيقة معاملة الإنسان في العالمين الشّرقي والغربي؛ حيث تكمن قيمة الإنسان فيما يقدّمه من إنتاج ملموس لا معنوي، وكمثال على ذلك يصف ما تقوم به إحدى البلديات الغربيّة التي توفّر النقل للعامل والمستهلك عند قدومهما إلى أماكن العمل، في حين لا تأبه بإعادتهم إلى منازلهم بمجرّد الاستفادة من وظيفتهم المحوريّة، ما يوضّح لنا النّظرة المادّيّة التي تستغلّ الإنسان قصد تحقيق مآربها. **"لعلّ البلديّة ترغب فقط في استقدام المستهلكين إلى وسط المدينة ولا تكترث كيف ستعيدهم إلى منازلهم".**[2]

«Il est possible que la municipalité souhaite amener les consommateurs vers le centre, sans se soucier de les ramener ensuite chez eux».[3]

ما يحيل لنا القول إنّ الأخلاق الفاضلة كما اصطلح عليها أضحت أخلاقا تجاريّة اقتصاديّة محضّة، بل وتتاجر بمشاعر النّاس؛ رغبة في جمع المادّة على حساب القيم الرّوحية.

ب. علمنة المقدّس

إنّ الفكر الإصلاحي في نظر رواد المادّيّة الغربيّة ينطلق من تحوير معتقدات الغربي الرّوحانيّة وأماكنها المقدّسة، كحال الكثير من الكنائس التي تحوّلت إلى متاحف، أي من كيان روحاني خالص إلى مادّي محض، ليضفي عليها بذلك صبغة علمانيّة.

زار فرانتس ورفيقته سارة الكثير من المتاحف، والتّي كانت في الأمس القريب أماكن روحيّة،

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.15.

[2]– البوصلة، ص 24.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.15.

منها متحف يهوديّ تهان فيه صورة اليهودي ومحموله العقائدي. تقول سارة: **"تسطح بحسب قولها، الفروقات الدينية والشعائرية والاجتماعية وحتّى اللّغوية، وتستبدلها بالثقافة المادّية لحضارة باهرة اندثرت، هذا يشبه تكديس الخنافس الفرعونية في واجهات عرض متحف القاهرة الخشب".**[1]

"Désamorçait", disait-elle, les différences religieuses, cultuelles, sociales et même linguistiques pour présenter la culture matérielle d'une civilisation brillante et disparue. Cela ressemble à l'entassement de scarabées fétiches dans les vitrines en bois du Musée du Caire».[2]

ج. الاستشراق والمادّة

إن الغاية التي أعلنها الغرب عن **دور الاستشراق** تتمثّل في نقل ماضي وحاضر الشّرق بمصداقيّة وأمانة علميّة، إلاّ أنّ الحقيقة تتعدّى ذلك وتختلف باختلاف الدوافع، والتي تتجلّى من خلال تشويه صورة الشّرق، وتلفيق اتّهامات جمّة عنه، سواء أكان على المستوى الدّيني أو الثقافي، في حين كان دافعه الأوّل اختراق عمقه الرّوحي، ومن ثمّة تشتيت كيانه، واستنزاف ثرواته الطبيعيّة.

يؤكّد الكاتب الغربي على الجرائم التي ارتكبها الغرب بحق الشّرق بحافز مادّي، كما يحمّل الغرب تدهور الأوضاع في الشّرق، والذي اتّسم **"بالسّيطرة الجنسيّة التي يمارسها الأقوياء على الضعفاء أو الأغنياء على الفقراء".**[3]

«Mais plus généralement avec la domination sexuelle des puissants sur les faibles, des riches sur les pauvres».[4]

[1]– البوصلة، ص 31.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.19.

[3]– البوصلة، ص 155.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.85.

رغم تعدّد وسائل ودوافع الاستشراق إلاّ أنّها تصبّ قاطبة في وعاء مادّي، فعن حقيقة **الحملات الصّليبيّة** على الشّرق بداعي نشر الحبّ والسّلام، هي في جوهرها امتداد للرغبة في النّيل منه، والاستمتاع بخيراته المادّيّة، بعدما أذاع الهلع، ونهب مقدّساته الدّينيّة والحضاريّة. يقول فرانتس: **"مثل الصليبيين هؤلاء المستشرقين الأوائل الذين كانوا يعودون إلى قراهم الأوروبية الحالكة محمّلين بالذهب والبكتيريا والشجن، مدركين تماما أنّهم باسم المسيح، دمّروا أبهى عجائب وقعت عليها أبصارهم في حياتهم، لقد نهبوا كنائس القسطنطينية وأحرقوا القدس وأنطاكيا، أي حقيقة أحرقتنا نحن؟"**[1]

«Comme les croisés, premiers orientalistes, revenaient dans leurs sombres villages de l'Ouest chargés d'or, de bacilles et de chagrin, conscients d'avoir, au nom du Christ, détruit les plus grandes merveilles qu'ils aient jamais vues. Pillé les églises de Constantinople, brûlé Antioche et Jérusalem. Quelle vérité nous a brûlés, nous».[2]

ومن بين **المستشرقين الصليبين** الذين سعوا إلى تشويه صورة الشّرق وتمويهه بتسويق **الدّين؛** قصد الولوج إلى أواسط الشّعب السّوري، ومن ثمّة الانقضاض عليهم، أمثال **أنطونان جوسان وألونين موزيل،** قادة وعساكر في زي رهبان ورهائن. **"وفيما كان لباس الرّهينة يقيهما شرّ العساكر، قد تطوعا للقتال على مواجهة أحدهما الآخر بغية السّيطرة على الشّرق العربي وبالتّحديد على تلك القبائل التي تتقاتل فيما بينها..."**[3]

«Alors qu'ils étaient protégés des militaires par leurs bures, se portèrent volontaires) à s'affronter pour la domination de l'Orient arabe et plus précisément de ces tribus guerrières».[4]

[1]– البوصلة، ص 221.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.120.

[3]– البوصلة، ص 304.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.164.

ومن المستشرقين من ارتدى صفة **المنقّب**، والمكتشف للحفريات، لبقايا الحضارات الشّرقيّة السّابقة، لكن هدفه في الواقع كان التنقيب عن مواقع **البترول** واستغلالها لصالح الغرب، يقول فرانتس عن تقاتل الشركات الغربية؛ من أجل الأماكن الآهلة بالنفط، بينما تدّعي إنقاذ ما تبقى من الشّرق: **"كانوا يتنازعون امتيازات التّنقيب السّورية كشركات تتقاتل على حقول النفط، وكانوا متمسّكين بحصاهم لا يتقاسمونها مع أحد، تمسّك الأولاد بكراتهم الزجاجية الصغيرة، إلاّ عندما تحين فرصة الاستفادة من أموال بروكسل".**[1]

«Ils se battaient pour les concessions syriennes comme des compagnies pétrolières pour des champs pétrolifères, et étaient aussi peu enclins à partager leurs cailloux que des enfants leurs billes, sauf quand il fallait profiter de l'argent de Bruxelles».[2]

إضافة إلى المساهمة في تسهيل حركية الاحتلال للشّرق كحال العراق وسوريا؛ حيث يؤكّد فرانتس دور هذه المؤسّسات الجبان إلى جانب الكثير من علماء التخصّصات الأخرى الذين ارتموا إلى أحضان السياسة، بعيدا عن مهامهم الحقيقيّة، **"لم يكن علماء الآثار وحدهم من يسر للجيوش مهمتها بل العكس تمامًا، إذ إنّ معظم فروع العلم تقريبا (علماء اللسانيات، الباحثين في علوم الأديان، المؤرخين، علماء الجغرافيا، الباحثين في الأدب، علماء الأنثروبولوجيا) كانت أقامت علاقات مع حكومات دولها خلال أزمنة الحرب".**[3]

«Les archéologues n'avaient pas été les seuls à servir les militaires, bien au contraire; à peu près toutes les branches de la science (linguistes, spécialistes de science religieuse, historiens, géographes, littérateurs, ethnologues) avaient eu des rapports avec leurs gouvernements».[4]

[1]– البوصلة، ص 69.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.39.

[3]– البوصلة، ص199.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.109.

بهذه الممارسات فقد الشّرق ثقّته في الغرب، يقف **بيلغر المنقّب** والرّامي لتصويب الأخطاء التي اقترفها أسلافه ولازمت الجيل الحالي، في دعوة لتضييق الهوّة وفتح صفحة جديدة بداية من الاعتراف بمركزيّة الشّرق التي سلبها الغرب. فيقول: **"كيف لنا اليوم أن نطمئن السوريّين حول نشاطاتنا، راح بيلغر يصرخ إن كان أشهر أسلافنا قد لعبوا أدوارًا سياسيا، بشكل سرّي أو علني في الشّرق الأوسط أكانت هذه الحقيقة تصيبه بالقنوط، حقيقة أن جميع علماء الآثار المرموقين قد لطّخوا أيديهم في وقت ما في شؤون سياسيّة من المحتوى الرّفيع".**[1]

«Si nos prédécesseurs les plus fameux ont joué un rôle politique, secret ou public, au Moyen-Orient ? Il était désespéré par ce constat : les archéologues célèbres avaient tous, à un moment ou un autre, trempé dans des affaires d'État».[2]

مَثَّلَ **الغرب** بعجرفته المادّية **ملاذًا** لشباب الشّرق المحروم على أرضه من أحلامه، أمر محزن أن تجد حضن الآخر(الغربي) أحنّ وأنصف من الوطن الأم(الشّرق) على شباب هذا الأخير بحسب الكاتب؛ حيث يتوافد آلاف الشباب للعمل في ورشات الغرب في سوريا والعراق... وهم يدركون تباين الأجور مع نظرائهم في الورشات الشّرقيّة. **"كان هؤلاء الحفّارون (المحليون) يتقاضون أجورًا زهيدة، لكنّها أقلّ بؤسًا مما قد يحصلونه لو عملوا في ورش أبناء بلدهم".**[3]

«Ces terrassiers "locaux" gagnaient une misère, mais une misère bien supérieure à ce qu'un chantier de construction du cru leur aurait rapporté».[4]

[1]- البوصلة، ص 199.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.109.

[3]- البوصلة، ص 70.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.39.

من المسلّم به أنّ الشّرق يمتلك ثروات باطنية هائلة، جعلته محل أطماع العالم، وبؤرة للصراعات والنزاعات بداية من التّتار والمغول وصولًا إلى الحملات الصّليبيّة المادّيّة. حرّكت هذه الإغراءات الغرب فزحف نحوه تحت شعارات تمويهيّة، عمد إلى زرع الفتن ثمّ محاولة إيجاد حلّ لها، ليتدخّل الجيش الغربي كمنقذ أسطوري في البلدان المستضعفة؛ حتّى يؤمّن عمليات استنزاف النّفط والذّهب والحفريات، في حين يبقى الشّرق غارقًا في معاركه الدّمويّة، يعيش على وقع الصّدمة بعد أن فارق الواقع، وغاص في أعماق الرّوح كبلسم يخفّف عنه سقم المادّيّة التي التهمت عالمه، وقيّدت عقله وطاقاته البشريّة، ما مكّنت هذه الذّهنية الغرب من الاستحواذ على كنوز الشّرق وخيراته، في حين **"أنّ الأجانب كانوا ينعمون بالرّفاهية في ظلّ الأنظمة البوليسية، بسلام ناعم وساكن يمتد من درعها إلى القامشعي..."**[1]

«Les étrangers dans les régimes policiers, une paix ouatée et silencieuse de Deraa à Qamishli».[2]

بين **شرق** واهن حالم، وبين **غرب** أقنعه قسرًا بأنّ هذه الثّروات والحفريات ملك للجميع، بحكم أنّها كانت قبل الإسلام، أفكار أُريد بها استغباء العقل الشّرقي الخانع لإرادة المادّة الغربيّة. يقول **المنقّب بيلغر** متعاطفًا مع الشّرق: **"إذ كان يزعم أنّ هؤلاء الحفارين يعتبرون أنّ كلّ ما سبق الإسلام ليس ملكهم، بل ينتمي إلى حيّز آخر إلى عالم يصنّفونه "قديما جدا".**[3]

[1]– البوصلة، ص 149.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.82.

[3]– البوصلة، ص 71.

« Il soutenait que pour ces terrassiers tout ce qui est antérieur à l'Islam ne leur appartient pas, est d'un autre ordre, d'un autre monde, qu'ils relèguent dans».[1]
"قديما جدا"

د. الشّرق والمادّة الغربيّة

إنّ منجزات الغرب الباهرة وما قدّمه للبشريّة، تحدّتها روح الشّرق عمومًا ببساطتها وعفويّتها، لأنّ الحياة المادّيّة ليست بالشّيء الجديد عليه؛ حيث يظهر ذلك أيضا بزيارة فرانتس ورفاقه لإحدى القبائل البدويّة بسوريا، هناك، أين واجهوا حقيقة مغايرة، أعادت صياغة وجهات نظرهم. **"ورغم أن حياة البدو أمامنا بواقعيتها الحسّية والملموسة اصطدمنا بتصوّراتنا وتوقّعاتنا التي شوّشت إمكان اختبارنا تلك الحياة، إذ كنا نرى أن فقر هؤلاء النّساء والرّجال ينضج بشاعرية وبساطة العصور الغابرة، كان عوزهم يذكرنا بعوز النسّاك والمتصوّفين وخرافاتهم تتيح لنا أن نسافر عبر الزمن".**[2]

«Des Bédouins, pourtant face à la réalité la plus tangible de la vie nomade, nous nous heurtions à nos propres représentations qui parasitaient, par leurs attentes, la possibilité de l'expérience de cette vie qui n'était pas la nôtre ; la pauvreté de ces femmes et de ces hommes nous paraissait emplie de la poésie des anciens, leur dénuement nous rappelait celui des ermites et des illuminés».[3]

الكونتيسة دانوران مستشرقة مغامرة زارت سوريا، عرضت المال على أحد البدويين يسمّى **سليمان دقماري** ليتزوّجها مقابل المال؛ حتّى يتسنّى لها الولوج إلى السّعوديّة، لتصبح أوّل مستشرقة تحجّ إلى مكّة. نلمس هنا **تأثّر البدوي بالمادّة** مقابل معتقده وأعرافه؛ حيث غرّه المال ليتنازل عن قيمه، ما يدلّ على استغلال الغرب للشّرق من أجل الوصول إلى غايته المادّيّة. **"هو رجل بسيط أمي، لم يغادر الصحراء بتاتا، مقابل مبلغ كبير من المال يدفع له**

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.40.

[2]– البوصلة، ص 250.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.136.

عند العودة قبل بمرافقة الكونتيسة إلى شبه الجزيرة العربية، إلى مكة والمدينة المنورة ثمّ إلى السّاحل البحريني وبإعادتها أخيرا إلى سورية".[1]

«C'est un homme simple, illettré ; il n'ajamais quitté le désert. Il accepte, moyennant une forte somme qui lui sera payée au retour, d'accompagner la soi-disant comtesse en Arabie, à La Mecque et Médine, puis sur la côte à Bahreïn et de la ramener en Syrie».[2]

كما يعتقد فرانتس أنّ الشرق المتشبّع بهويّته وقيمه لا يهتم بما وصل إليه الغرب، فلكلّ شقٍ زاوية يُطلّ من خلالها على العالم، بمحمول وتصوّرات تتماثل تارة وتختلف تارة أخرى، إلاّ أنّ العالم الشّرقي يفتقر للمال حتّى يحيا حياةً كريمةً: **"وإكزوتيكية عيشهم تحوّل دون فهمنا نظرتهم إلى الحياة مثلما هم كانوا يروننا مع امرأتنا السّاخرة وسيّارتنا ذات الدفع الرباعي ولغتنا العربية البدائية، كحمقى غريبي الأطوار فيحسدوننا على أموالنا ربّما، أو حتى سيارتنا".[3]**

«L'exotisme de leur condition nous empêchait de comprendre, certainement, leur vision de l'existence de la même façon qu'eux nous voyaient, avec notre femme en cheveux, notre 4×4 et notre arabe rudimentaire, comme des idiots originaux, dont ils enviaient peut-être l'argent, voire la voiture».[4]

السّعادة الرّوحيّة التي اكتشفها **فرانتس** في الشّرق مكّنته من إدراك أنّ السّعادة في الغرب مادّية مصطنعة تمسّ الجسد لا الرّوح، فيحاول أن يستثني نفسه من رفاقه الذين يجدون راحتهم وسرورهم في وسائل التكنولوجيا، أمر يدفع بسارة فيما بعد للبحث عن ديانة تروي ظمأها الرّوحي، هذا ما وجدته في البوذيّة بعد الإسلام. فيقول: **"لا أمتّ بصلة إلى بيلغر أو**

[1]– البوصلة، ص 186.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.191.

[3]– البوصلة، ص ص 251–250.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.136.

فوجيه أو سارة الذين لا يعثرون على السّعادة، سوى خلف مقود سيارة ذات دفع رباعي، في العوالم السفلية الأكثر، كيف أقولها، الأكثر إثارة..."[1]

«Rien à voir avec Bilger, Faugier ou Sarah qui n'étaient heureux qu'au volant de leurs 4×4, dans les bas-fonds les plus, comment dire, exaltants».[2]

ليقرّر **فرانتس** أخيرًا أنّ الغرب عامّة ولندن خاصّة بافتقادهما للرّوحانيّة كحال الشّبح الذي انعزل عن الحياة كليّا، وانتقل إلى حياة تَوراى فيها عن الوجود الإنساني، متجرّعًا الوحدة والعزلة بعد تفكّك المجتمع ومن وراءه الأسرة بفعل المادّيّة والعلمانيّة. ويبرز ذلك **"في نصوصه ورسائله اختبر هناك في "مدينة الوهم" وصار شبحًا من بين أشباح لندن".[3]**

«Il avait fait l'expérience de l'Unreal City, était devenu une ombre parmi les ombres du London Bridge».[4]

ويضيف سعدي الشيرازي في "روضة الورد مؤكدا عن حقيقة الإنسان الغربيّ اليوم: **"هم لا يبصرون شيئًا يعتقدون أنّهم يبصرون، لكنّهم لا يرون سوى انعكاسات".[5]**

«Ils ne voient rien. Ils croient voir, mais n'observent que des reflets».[6]

"فعلى عكس محمد أسد المعروف بليو بولد فايس، رأيت أنّ البادية السّورية، شهوانية أكثر منها روحانيّة، بعد ليلتنا التّدمرية".[7]

---

[1]– البوصلة، ص 262.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.142.

[3]– البوصلة، ص 301.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.162.

[5]– البوصلة، ص 251.

[6]– Mathias Enard, *Boussole*, p.136.

[7]– البوصلة، ص 221.

«Contrairement à Muhammad Asad alias Leopold Weiss, la badyié syrienne m'était plus érotique que spirituelle : après notre nuit palmyréenne».[1]

وممّا تقدّم يمكن القول إنّ الكاتب الفرنسي قد اتّفق مع الكاتبة العربيّة في عديد الرؤى، فشخصيّاته الغربيّة المثقلة بكاهل **المادّية** اتّخذت من الشّرق فضاءً لسبر أغوار الرّوح، فرغم ما وفّره العلم والتكنولوجيا للغرب إلاّ أنّه لم يحرز السّعادة الرّوحيّة والسّكينة، بعد تزايد نسب الانتحار المهول، فاتّجه باحثًا عن شرائع غير **المسيحيّة الرّوحية** التي أقصت **المادّة**. لذا حاول الغرب عدم الرّضوخ لتعاليمها بداية من فصلها عن شؤون الدّولة، وباتّخاذه موقفًا معارضًا تحت شعار "**الدّين للّه وحكم الدّولة للشعب**"، حاصر المقدّسات وأحال جلّها على المتاحف بصفتها موروثًا متناقلًا، وهو ما تشهده بعض الكنائس العتيقة التي يُحجّ إليها من باب السّياحة. كما قادته مطامعه بعد ذلك إلى توجيه هدفه التالي نحو الشّرق؛ قصد تحقيق مصالح ماديّة بوسائل وخطط ممنهجة، ليكون الشّرق الأرض التي تغذّيه غصبًا، في المقابل نلحظ أنّ **الشّخصيات الشّرقية** الثابتة روحيًّا قد **فقدت المادّة**، وتسعى لاستعادتها من جديد بعد العصور الذّهبيّة، أمر ينقصها فوجدت في الغرب ما اعتبرته متنفسا ماديًا.

وما نلحظه في كلا الرواتيين التغنّي برّوح الشّرق، إذ اعتبره الكاتب والكاتبة أنّه مهد الحضارة الإنسانيّة الأولى؛ حيث يحمّلان الغرب سبب البؤس والحزن المخيّم عليه اليوم، نلحظ أيضًا كونهما يأملان بعالم يسوده الأمن والسّلام، بدعوتهما إلى نبذ الاختلاف. وعلى ضوء هذه المعطيات يمكن القول إنّ كلا الطرفان يسعى إلى البحث عمّا يحوجه، فكلّ قطب يكمّل الآخر، فالشّرق بهذا روح الإنسان والغرب جسده، وهذا ما لمسناه في كلا الروايتين **بين شرقٍ روحاني وغرب مادي** يسعيان إلى محاولة إيجاد سبل التلاقح بينهما، وإنّ كانت هذه العلاقة أزليّة.

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.120.

المبحث الثالث: القيم الإنسانية والحضارية بين الشّرق والغرب

1. القيم الإنسانية والحضارية بين الشّرق والغرب في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

في ظلّ الأزمات السّياسيّة والاقتصاديّة التي يشهدها العالم اليوم، أصبح هذا الأخير مخيّرا بين الحوار القائم على التّعايش السّلمي وقبول الآخر دون النظر لخلفيّاته الإيديولوجيّة وتوجّهاته الفكريّة، أو بين الصّراع ونبذ الآخر، والعيش بمعزل، وبالتالي الدّخول في متاهات العصور السّحيقة.

يرى الرّوائيون باختلاف تصوّراتهم وتعدّد ألوانهم وألسنتهم أنّ المحاورة النّقديّة البنّاءة إحدى سبل الالتقاء الحضاري، بين **شرق** أنهكته الحروب الدّامية و**غرب** مجدّد لنظام حياته، مستفيدًا من صدمة الأوّل، فعليه تناسلت الجمل والعبارات قصد تحقيق التعايش السّلمي، بعيدًا عن التصادم والتنازع، مقيمين بذلك صرحًا لتمجيد الأخلاق الفاضلة بين القطبين، انطلاقًا من تفعيل القيم الإنسانيّة المشتركة، وصوغها بصدق وأمانة، نحو تأسيس علاقات حضاريّة، مفادها الاقتراب من الآخر بتحفّظ.

أ. القيم الدّينيّة

الشّرق منبع الأديان، منه انبثقت تعاليم الأديان مجتمعة على توحيد اللّه، مؤسّسة للإنسان نظام الحياة، حثّت على غاية الاختلاف في اللّون واللّسان، والتي تكمن في التّعارف لا التنافر، أي الاعتراف بالغيرية لا إقصائه، وهو ما شهدته الحضارة الإسلامية التي عاش في حضنها اليهود والمسيحيون والمسلمون في أمن وسلام على امتداد مئات السّنين، ما يعكس حقيقة جوهريّة تكمن في التعايش السّلمي مع الآخر دون الانصهار به، وإسقاط خصوصياته من معتقد وهويّة.

تطرّقت الرّوائية لجملة من النقاط المرتبطة بطبيعة العلاقة بين الأديان من خلال شخصية وائل الذي يتساءل وهو في سن مبكّرة عن سبب الصراع المحتدم بين المسلمين واليهود. حيث يقول لجدّه: **"لماذا عليهم أن يكرهونا، ولماذا علينا أن نقاتلهم، لماذا لا نعيش معًا كما نفعل مع النصارى؟!"**[1]

بحلم بريء وقلب طاهر، تتكوّن صداقة؛ بفعل الغريزة والفطرة الإنسانيّة، بين طفلين من عقيدتين مختلفتين، بين **وائل المسلم** و**حاييم اليهودي**، صداقة أتقنها الصغار دون خلفيات. يقول وائل لجدّه: **"حاييم يريد أن يصبح صديقي، لقد أعطاني هذا".**[2]

بفعل جرائم الاحتلال الذي انتهك حقوق المسلمين في فلسطين باسم اليهودية، يرفض الجدّ هذه العلاقة بحكم ما قاساه، ويقصي بالتالي الآخر اليهودي، فيرفض أن يكون طرفًا في هذه الصّداقة. يعلّق على قول حفيده: "**ويظنّ أنّ اليهود يمكن أن يكونوا أصدقاء...**"[3]

كما تعدّدت صور القيم الإنسانيّة والحضاريّة منها: **الإحسان، الأمانة، النّصح، الاعتراف بالآخر...**

ب. الإحسان

صعد وائل إلى الطائرة لأوّل مرّة، وهاجس الخوف يسيطر عليه، إذ يتساءل كيف سوّلت له نفسه ترك أرضه وأسرته من أجل حياة واهنة؟ تتسارع دقّات قلبه، وتتضارب أفكاره، يجهل ماذا سيفعله؟ ليجلس أمام عجوز أمريكيّة. لاحظت اضطرابه الحاد، فحمّلتها نواياها الحسنة على السؤال عن حاله. **"أحسّت العجوز باضطرابه فسألته بالإنجليزيّة: هذه أوّل**

[1]– لن أموت سدى، ص 104.

[2]– المرجع نفسه، ص 104.

[3]– نفسه، ص 108.

مرة؟"[1]خطوة إنسانية أثبتت روح الحوار البنّاء.

تسرد العجوز هيلين أيّاما قضتها في الشّرق متنقلة بين بلدانه، وشاءت الأقدار أن تلد ابنة في مصر، أطلقت عليها اسم نور، والأجمل من ذلك ردّة فعل رفيقتها **هدى العربية**، التي أرادت أن تقاسمها إحساسها بألم الولادة. تقول العجوز هيلين: **"كانت هدى تقف عند رأسي وتمسك بيدي... على فكرة هدى امرأة عربيّة مسلمة لها نفس تخصّصي، كانت تطلب مني أن أضغط على يدها كلما اشتدّ الألم، وكنت أنظر إلى وجهها الطيّب لأقتبس منه بعض الهدوء".**[2] توضّح هذه الصّورة للقارئ مدى طيبة وعفوية قبول الشّرق للغرب، بتفاعله معه وقبوله في كلّ حالاته.

ومن مضامين القيم الإسلاميّة **الحياء**، الذي يميّز الشّرقي على الغربي. حيث تقول العجوز هيلين: "**تذكّرت هدى وهي تعطي يدها، وتذكّرت عبد الله وهو يهرب بعينيه مني حين يتحدث معي..."**[3] هذا ما يجسّد الحوار الديني الحضاري بين الشرق الغرب، والذي لا تشوبه مصالح، وبذلك يؤسّس علاقة وطيدة، بعيدًا عن الخلافات العقيمة.

وعليه فإنّ توحيد الصّفوف والرؤى بين معتنقي الدّيانات السّماويّة يؤدّي إلى نتيجة حتميّة، تتمثّل في نبذ الكراهية، ونشر الوعي كحل بديل للتعصّب والتشدّد.

ج. التعاطف والتآزر

تباينت أعمال المستشرقين بين الصّدق والأمانة من جهة في نقل حقيقة الشّرق، وبين مشّوه سالب لرمزيّته من جهة أخرى. وظّفت الكاتبة شخصيّة **الدكتورة المسيحيّة هيلين** لتعكس مصداقيّة بعض المستشرقين؛ والتي تسعى لأن تؤلّف كتابًا **تحمّله تعاطفًا** مع القضية

[1]– لن أموت سدى، ص 3.

[2]– المرجع نفسه، ص 45–46.

[3]– نفسه، ص 48.

الفلسطينيّة، وتدعّمه بصور فوتوغرافيّة؛ لتجسّد واقع فلسطين، فقد دفعتها غيرتها الإنسانيّة للدفاع عن الفلسطيني. حيث تقول: **"بالتأكيد، لن يلتفت الناس إلى الكتاب الذي أعدّه عن حقيقة الوضع في فلسطين، بدون صور وثائقية!"**[1] وهي تفاصيل يجهلها الكثير من الغرب، لتعاطفهم مع الاحتلال ، ترمي هيلين لتفنيدها مستقبلاً.

د. النّصح

بعد وصول وائل إلى نيويورك، والذي استفاد كثيرا من حواره مع العجوز هيلين، يودّعان بعضهما، حيث كانت علاقتهما في بادئ الأمر متّسمة بانفتاح العجوز هيلين، في المقابل ميّزت شخصيّة وائل الشرقيّة التحفّظ في قبول الآخر، وبعد تلاقح الأفكار بينهما نتج عن ذلك صداقة بين الطرفين، وطلبت منه الاتّصال بها؛ حتّى تقدّم له المساعدة، أو النّصيحة إن اختلط عليه الأمر، كردّ جميل من العجوز لما وجدته في الشّرق من رحابة الصدر، فتقول: **"ربّما أفتقدك في نيويورك.**

- **يمكنك أن تراني.**

وأعطته ورقة كتبت عليها العنوان، طواها بعناية ووضعها في جيبه، فقالت مؤكّدة:

- **إذا احتجت لأيّ شيء اتصل بي، يسعدني أن تفعل".**[2]

كما نلمس ثراء الرواية بالقيم الإنسانيّة بين الشّخصيات التي تمثّل الشرق. ولأنّ دين الإسلام يحثّ على ضرورة **النّصيحة** في التّوجيه والإرشاد، لما لها من أثر بالغ في المجتمع، **فالسّائق عوض**، رغم خيانته لقضية وطنه فلسطين والعمل لصالح الاحتلال، بفعل التهديد إنْ هو رفض التعاون معهم قتلوا عائلته، تدفعه إنسانيّته بإسداء جملة من **النصائح** لوائل،

[1]- لن أموت سدى، ص 116.

[2]- المرجع نفسه، ص 152.

وهو يهمّ بمغادرة فلسطين صوب نيويورك: "**عد يا وائل... أمّك لا تزال تبكي في ساحة الدار... لازالت ترفع يديها المتعبتين منذ عرفت بأمر سفرك**".[1]

عوض بخيانته يعتبر نفسه جبانًا، بعد أن سرت عليه لعبة المحتل، يحاول جاهدًا إقناع وائل: "**... لماذا لا تعود إلى أمّك وإخوتك؟! مازال الطريق بعيداً... صدقني يمكنك الرّجوع... أنت مازلت نقيًا... لا تتلوّث بهم... أعلم أنّك سوف تضحك... أنا نفسي لا أفهم لماذا لا أريدك جباناً !!**"[2]

انتهج الاحتلال خططًا كثيرة، لتفكيك الرّوابط الاجتماعيّة بين الأفراد، حيث هيمن بالقوّة على جلّ شرائح فلسطين من استيطان، وعملاء أغدقهم بالمال والجاه وبتوفير متطلباتهم، حيث يقول عوض: "**صدقني إنّها لعبة، بدأنا قبلك بكثير...**"[3]

ويضيف آملًا أن تتحرّك مشاعر وائل برفض مواصلة الفرار، لحظة يستذكر **عوض** فيها حالته التي لان فيها قلبه للمادّة: "**لماذا لا تعود يا وائل... صدقني... أنت أوّل شخص أقول له هذا... ليس حبًا لك... ربما لأنك تملك جزءًا آخر من لحظة ضعفي... لا تدعها تكبر يا وائل... ستقضي على كلّ شيء، جميل في حياتك... أنت مازلت تملك كلمة (لا)...**"[4]

هـ. القيم الاجتماعيّة

إنّ التآزر والتّلاحم بين أفراد المجتمع الشّرقي يتجسّد في مواقف كثيرة، كإعانة الفقراء والمرضى، والانسجام تحت طارئ الحروب الدّموية، ولعلّ المجتمع الفلسطيني أقرب المجتمعات لهذه الصّفات، حيث تسود القيم في أبهى صور التآخي، ويتجلّى ذلك أكثر في أمّ

[1]– لن أموت سدى، ص 26.
[2]– المرجع نفسه، ص 31.
[3]– نفسه، ص 32.
[4]– نفسه، ص 33.

وائل، التي تخبز الأرغفة للمقاومين، وأخته حياة وهي تقوم توزيعها عليهم: **"...هربت من عيونه إلى (التنور) كي تخبز الأرغفة التي أعدّتها ابنتها حياة لتوزيعها على الشبّان الواقفين بحجارتهم، يقاومون الجوع والخوف واليأس المر!!"**[1]

إضافة إلى **أخيه علي** الذي يساهم في إطعام المقاومين، المتّخذين من الحجارة أسلحة. **"...ثم أخذ الخبز من أمّه الصامتة، وخرج للشبان المشعلين نيران الانتفاضة الفلسطينية".**[2]

و. القيم الإنسانيّة

تزور "**جين**" فلسطين لأوّل مرّة، وفي مخيّلتها صور نمطيّة سلبيّة عنها، تكتشف أزقّة هذا المكان الرّوحي، الأرض التي مارس فيها الإنسان معتقده لعقود، دون الاعتداء على معتقدات الآخر. كانت برفقة مستوطن يهودي، حتّى تلحظ قدوم دوريّة للاحتلال، تهجم على طفلين فلسطينيين فتدهسهما، فيثير هذا الموقف حفيظتها، تحاول جاهدة إنقاذهما صائحة: "**طفلان على بعد لحظات من الموت (سيارة الاحتلال تريد دهسهما)**

«صاحت جين غير مصدقة: (لا... لا) وركضت باتجاه الصغيرين»

"جسد مجد على الأرض بلا حراك، وصرخة ألم تاهت بين الأصوات".[3]

حرّكت إنسانيّة جين وجدانها، لتلقي بجسمها أمام عجلات سيارة الاحتلال، مايدلّ على القيم النبيلة التي يتحلّى بها الغرب، الذي لو أدرك حقيقة الشّرق المسلوب لعاشا سويّا وكذا بقية العالم في أمن وسلام.

[1]– لن أموت سدى، ص 7.
[2]– المرجع نفسه، ص 14.
[3]– نفسه، ص 124.

وضعت "**جين**" حياتها على المحك، وأصيبت إصابة بالغة، في وسط هذا الحشد من النّاس **"... خرج من بينهم شاب وصاح بلهفةٍ:**

هات منديلك بسرعة يا أمي إنّها تنزف!

وبسرعة ضمدوا أكثر إصاباتها خطورة...»

"... أهي فلسطينيّة؟ !

أجنبية ولكن أنقذت طفلين من دورية إسرائيلية، وهذا هو الزمن!"[1]

رغم الألم الذي عانته "**جين**" سألت مباشرة عن حال الطفلين بمجرّد فتح عينيها، وتساءلت كيف وصلت لهذا المستشفى؟ " **ماذا حدث للصغيرين ؟!**

...إنّه الشاب الذي حملك إلينا، عليه أن يستريح..."[2]

بعد مدّة تردّد "**وائل**" على زيارة "**جين**"، لتنشأ بينهما علاقة حبّ، ما يدلّ على قبول الآخر رغم اختلاف المعتقد، والعادات، والتقاليد، والأعراف، لتغدو "**جين**" مدافعة عن الفلسطينيين، بعدما بحث عنها والدها بين المستشفيات، وبعد أن ظنّها وقعت في الأسر، **"وهؤلاء الفلسطينيّون الذين تتحدّث عنهم هم الذين أتوا بي إلى هنا..."**[3]

[1]– لن أموت سدى، ص 124.

[2]– المرجع نفسه، ص 127.

[3]– نفسه، ص 128.

ز. الاعتراف بمركزيّة الآخر

من مظاهر التعايش والتسامح الاحترام المتبادل، بداية من الاعتراف بالخطأ، ومحاولة تصحيحه، والسّعي إلى تقريب المفاهيم وتذليل الفوارق، تقول **هيلين لوائل: "أنا أؤمن بأنّكم على حق، أريد أن يعرف الجميع هذه الحقيقة لهذا أتيت".**[1]

فالعالم أحوج من أي وقت مضى للمّ شمله من جديد، ولفرض القيم الدّينية بدل الحضاريّة التي أوجدتها العلمانيّة وشجّعتها الاشتراكيّة الغربيّة، انطلاقًا من محاولة تمزيق الرّوابط الاجتماعية من أسر وأفراد، فالصراع انتقل من المسلح للحضاري عن طريق فرض التبعيّة الكاملة لنموذجه، مادامت التكنولوجيا خير دليل على تفوّقه، والتي يفاخر بها، متناسيًا سبب دمار الأمم التي سبقت، من فساد روحيّ، وظلم آسر لمجتمعاتها والذي شلّ قطاعاتها، ودمّر آلياتها، فعجّل اندثارها.

[1]– لن أموت سدى، ص 115.

2- القيم الإنسانية والحضارية بين الشّرق والغرب في رواية

Boussoule de Mathias Enard

أ. القيم الدّينيّة

تجانست الأديان في فكرة التسامح، انطلاقًا من تهيئة العقل البشري المتديّن؛ رغبةً في ضبط سلوكه وتصرّفاته، وهذا ما يسعى إليه الكاتب بمحاولته إبراز **دور الدّين وقيمته** في تنظيم العلاقات الاجتماعية، وبرسم معالم تجمع المعتقدات السّماويّة، مقابل النّزاعات الحضاريّة التي تسير بخطى ثابتة نحو إثراء النّفس البشريّة بالمادّة. يقول فرانتس عن أحد الرّوابط المشتركة بين الرّسالات السّماويّة: **"الدّانوب هو النّهر الذي يربط بين الكاثوليكية والأرثوذكسية والإسلام، أضافت هذا بيت القصيد: هو أكثر من صلة وصل، هو ... هو... وسيلة نقل إمكانية عبورا".**[1]

«Le Danube est le fleuve qui relie le catholicisme, l'orthodoxie et l'islam, ajouta-t-elle. C'est cela qui est important : c'est plus qu'un trait d'union, c'est… C'est… Un moyen de transport. La possibilité d'un passage».[2]

لينتقل إلى أحد الأماكن الأكثر تأثيرًا في تاريخ التلاقح البشري **–القدس–**؛ حيث تتمظهر **القواسم المشتركة** بين اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلام في أسمى **صور التعايش الدّيني**. حيث يقول فرانتس: **"جميع هؤلاء الفقهاء والباحثون المخضرمون كانوا ينضوون تحت راية مدارس وتفسيرات لاهوتيّة ومجلّات علميّة مختلفةٍ لا تقلّ عددًا عنهم، وكانت القدس**

[1]- البوصلة، ص 29.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.18.

تفيض بالمترجمين والحجّاج ومفسّري النّصوص الدّينية والرؤيويين المتنبئين وسط الأسواق واستعراض البضائع وكل ما هبّ ودبّ من باعة الشّالات ..."[1]

«Toutes ces sommités se regroupaient en autant d'écoles, de revues scientifiques, d'exégèses ; Jérusalem se découpait entre traducteurs, pèlerins, herméneutes et visionnaires, au milieu de tout le saint-frusquin de la parade commerciale, des marchands de châles».[2]

عاشت الأديان في سوريّة التي أنجبت العديد من العلماء في دعة وسلام، إلى أن ألمّت بها الفتن، فانتشر الحقد والكراهيّة بين أتباع المسيحيّة والإسلام، في فترة من الفترات فشل النّظام الحاكم في احتواء الأزمات بينهما، ليتدخّل الأمير عبد القادر الجزائري مصلحًا. فيقول فرانتس: **"حيث أنقذها تدخل عبد القادر الجزائري الذي كان وقتذاك في منفاه الدّمشقي ووفّر الحماية لكثير من المسيحيّين السوريّين والأوربيّين".[3]**

«Où elle fut sauvée par l'intervention de l'émir Abd el-Kader, en exil à Damas, qui protégea de nombreux chrétiens syriens et européens».[4]

وعن التقاء وتعايش الشعوب والحضارات، يقول فرانتس: **"ها نحن مرّة أخرى أمام بنيان مشترك، فعل معقّد للزمن؛ حيث يتداخل خيال بخيال آخر، إبداع بإبداع، أوربا بدار الإسلام".[5]**

«Une fois encore, une construction conjointe, un travail complexe du temps où l'imaginaire se superpose à l'imaginaire, la création à la création, entre l'Europe et le Dar elIslam».[1]

[1]- البوصلة، ص 139.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.77.

[3]- البوصلة، ص 119.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.66.

[5]- البوصلة، ص 255.

ب. المودّة والإحسان

ومن تجلّيات القيم الإنسانيّة بين الشّرق والغرب **إحسان البدو** وكرمهم باستضافتهم **لفرانتس ورفاقه**، إذ عكست الليلة التي قضوها في البادية الطّيبة والكرم العربيين، وهي سمات مترسّخة في وعي الشّرقي. يقول فرانتس: **"وأن لا أمل في ذلك قبل حلول اللّيل: وعملًا بأعرق الأصول البدويّة، دعونا لبيت في خيمتهم الوداء لم نكن الضيوف الوحيدين: كان سبقنا إلى "الصالون" بائع جوال غريب".**[2]

«Que nous ne l'atteindrions jamais avant la nuit : ils nous avaient invités à dormir sous leur tente noire, dans la plus grande tradition bédouine. Nous n'étions pas les seuls invités : installé dans le "salon" se trouvait déjà un étrange colporteur».[3]

يواصل الجدّ كعادته سرد القصص في الخيمة عن الضباع وبنات آوى التي تهاجم ماشيته، فعلى النّقيض وبعيدًا عن الضّوضاء والتكنولوجيا التي تقصي الرّوابط الاجتماعيّة السّائدة في المجتمع الشّرقي عامّة والبدوي خاصّة؛ يجمع الجدّ أولاده وأحفاده بعد يوم مضنٍ، يغمرهم بقصص مرعبة تارة، وأخرى مضحكة يثلج بها صدورهم، ليجد فرانتس ورفاقه أنفسهم محاطون بسياج الحبّ والبساطة، ممّا يعكس مدى حرص الشّرق والغرب وعملهم على إمكانيّة إقامة صرح تواصل بين الطرفين. يقول فرانتس: **"وكانت قصص الضّباع التي رواها لنا العجوز وأولاده والبائع الجوال، تجعل شعر الرّأس يقف في فظاعتها كانت سارة في حالة نشوة تقريبًا".**[4]

---

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

[2]– البوصلة، ص 234.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.127.

[4]– البوصلة، ص 236.

«Les histoires de hyènes que nous racontaient le grand-père, ses fils et le colporteur faisaient dresser les cheveux sur la tête. Sarah était aux anges».[1]

فضلًا عن الكّم الهائل الذي يحمله الجدّ من موروث شعبي المتمثّل في القصص والنّكت، كان كريما أيضا بحرصه على إطعام ضيوفه القادمين من **الغرب، "كان لا يأكل إلاّ القليل القليل، فيما يصرّ علينا أن نتناول مجدّدًا من هذا الطعام أو ذاك".**[2]

«Le vieil homme mangeait peu, insistait beaucoup pour que nous reprenions de ceci ou de cela».[3]

خيمة البدو رغم بساطتها تأوي كبار الشّخصيات الغربيّة باحتفاء ومودّة، قلوب ساكنيها التي طبعت على اللّين والمرونة، تحدّت قسوة البيئة وشظفها، لتمدّ يدها ترحيبا بالوافدين من الغرب. ومن بين الشّخصيات الغربيّة التي استقبلها البدو **المستشرقة مارغا.** التي انسجمت بسرعة مع تقاليدهم، وذهبت إلى حدّ اعتبار الجدّ البدوي بصفاته النّبيلة والدا لها. **"وتصف في مذكّراتها رحلات صيد الغزلان برفقة البدو، اللّيالي التي أمضتها تحت الخيم، مودّتها لشيخ القبيلة وكأنّه والدها".**[4]

«Elle raconte dans ses Mémoires ses chasses à la gazelle en compagnie des nomades, ses nuits sous la tente, la tendresse filiale qu'elle éprouve pour le cheikh qui commande cette tribu».[5]

يؤكّد الكاتب على رابط المودّة وأثره في توطيد الفجوة بين الشّرق والغرب، فالثّقة والاحترام ثمار للحبّ، والتناقض بين بيئة الصّحراء وروح سكانها يبرز لنا حقيقة الحبّ في تجاوز

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.128.

[2]– البوصلة، ص 238.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.129.

[4]– البوصلة، ص 185.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.101.

الحسّي إلى قيم خلقية سامية بين البشر، والتي يقدّم لنا فرانتس نماذجًا ممّن أسهموا في إثراء الأدب العربي، من بينهم قيس بن الملوّح. فيقول: **"وحده الحب يتيح لنا الانفتاح على الآخر، الحب بما هو تخل عن الذات، انصهار بالآخر ليس غريبًا أن يلتقي هذا المطلقان، الصحراء والحب، فينبثق عنهما أحد أهم آثار الأدب العالمي جنون قيس بن الملوّح الذي صرخ هيامه بليلى إلى الحصى والأفاعي السّامة".**[1]

«L'amour comme renoncement, comme fusion – rien d'étonnant à ce que ces deux absolus, le désert et l'amour, se soient rencontrés pour donner un des monuments les plus importants de la littérature universelle, la folie de Majnoun qui hurla sa passion pour Leyla aux cailloux et aux vipères à cornes».[2]

ج. الاعتراف بالخطأ وتصحيح التّاريخ المغلوط

شاع على ألسنة الحاقدين على الإسلام الكثير من المصطلحات المسيئة؛ حيث حمّلوه مسؤولية الجرائم التي اقترفها ممّن يسمّون أنفسهم **المنظّمة الإسلامية**، إلاّ أنّ الكاتب الفرنسي له رأي آخر؛ حيث يتحرّى الصّدق في كشف حقيقة هذه المنظّمة، من خلال شخصيّة فرانتس الذي جاء في الرّواية أنّه زار سوريا، وتقرّب أكثر لحقيقتهم؛ حيث اعتبرهم مجرّد مجموعة من قطّاع الطّرق، حالهم كحال الكثير في المجتمعات والمعتقدات الأخرى. فيقول: "**مساكين السّوريّين. مصيرهم لا يثير اهتمام وسائل إعلامنا إلا قليلًا جدًا في الواقع لاشكّ في أن عودة أبو تايه، المحارب الأبي ورفيق لورنس وموزيل كان سيقاتل اليوم في صفّ "الدولة الإسلامية".**[3]

[1]– البوصلة، ص 252.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.136.

[3]– البوصلة، ص 308.

«Pauvres Syriens. Leur destin intéresse bien peu nos médias, en réalité. Le terrifiant nationalisme des cadavres».[1]

اعتراف كهذا يؤسّس للبشر مستقبلًا موحّدًا، قوامه تضافر الجهود لاستئصال الجماعات الإرهابية.

ومن القيم النّبيلة **تعاطف سارة** مع الشّرق الغني بالكنوز، والذي تُسلب خيراته باسم الاكتشافات، في حين تمثّل هذه الحفريات هويّة مجتمعه وماضيه. تقول: **"لديّ فضول لمعرفة ما تمثّله هذه الحفريات لهؤلاء العمّال، هل يشعرون بأنّنا نسلبهم تاريخهم بأنّ الرّجل الأوربي يسرق منهم مرّة أخرى، شيئًا ما".**[2]

«Je suis curieuse de savoir ce que représentent ces excavations, pour ces ouvriers. Est-ce qu'ils ont la sensation qu'on les dépouille de leur histoire, que l'Européen leur vole, une fois de plus, quelque chose ?»[3]

فغاية علم الآثار استنزاف الثروات الباطنية للشّرق، مثل البترول، والذّهب... فتطوّرُ الغرب رجّح كفّته، ومكّنه من الانقضاض على الشّرق الغرير، لتقف **سارة** موقف المنصف، متحلّية بقيم إنسانيّة؛ إذ تندّد قائلة: **"لقد سحبت أوربا التاريخ القديم من تحت أقدام السّوريين والعراقيّين والمصريّين، لقد استولت أممنا المجيدة على العالميّة عبر احتكارها العلم عمومًا وعلم الآثار في وجه التّحديد".**[4]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.167.

[2]– البوصلة، ص 71.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.41.

[4]– البوصلة، ص 71.

«L'Europe a sapé l'Antiquité sous les Syriens, les Irakiens, les Égyptiens ; nos glorieuses nations se sont approprié l'universel par leur monopole de la science et de l'archéologie».[1]

سعى الاستشراق بالتفافه حول الشّرق إلى تفكيك وتمزيق مقوّماته، ببثّ واقع متخيّل مناقض يسلب حقيقته، ممّا ساق فرانتس للاعتراف بالدور الحقيقي للكثير من المستشرقين في زعزعة كيان الشّرق، حيث يُرجع هذه الفكرة الاستدماريّة لنابليون. **"هو من اخترع الاستشراق، هو الذي جرّ العلم إلى مصر خلف جيوشه وأدخل أوربا للمرّة الأولى إلى أصقاع الشّرق ..."**[2]

«Est l'inventeur de l'orientalisme, c'est lui qui entraîne derrière son armée la science en Égypte, et fait entrer l'Europe pour la première fois en Orient».[3]

الاعتراف بالحقيقة خطوة جريئة لها تبعات إيجابيّة، تعيد تصحيح التّاريخ المغلوط، وتؤمّن تواصلًا إنسانيًا جادّا على كلّ الأصعدة، لتكتب تاريخًا جديدًا قد يحيل الصّدمة التي تعرّض لها الشّرق؛ بسبب الاستبداد الاستدماري إلى طيّ النسيان، فاعتراف الكاتب الفرنسي بظلم بلده إلى جانب بريطانيا تحدّ كبير. حيث يقول بطل الرّواية: **"لقد استولى الغباء على السياسات الفرنسيّة والبريطانيّة التي غاصت عميقا في مستنقع الظّلم والعنف والتخاذل".**[4]

«La politique de la France et de la Grande-Bretagne était prise de bêtise, engluée dans l'injustice, la violence et la veulerie».[5]

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.41.

[2]– البوصلة، ص 125.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.70.

[4]– البوصلة، ص 161.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.89.

إضافة إلى **إسماعيل أوربان "أوّل فرنسي جزائري، أو أوّل جزائري من فرنسا، الذي حان الأوان ليتذكّره الفرنسيون، هو أوّل رجل، أوّل متشرق عمل لإقامة "جزائر للجزائريّين" منذ ستينات القرن التّاسع عشر، فوقف في وجه المالطيين والصقليين والإسبان وأهل مرسيليا ..."**[1]

«le premier Français algérien, ou premier Algérien de France, dont il serait temps que les Français se souviennent, le premier homme, premier orientaliste à avoir œuvré à une Algérie pour les Algériens dès les années 1860, contre les Maltais, les Siciliens, les Espagnols et les Marseillais».[2]

- رفض الآخر:

وعن قبول نديم للآخر (فرانتس) إلا أنّ هذا الأخير لم يبادله نفس السلوك **"بالرغم من كل الصّداقة التي كانت قد بدأت تنشأ بيننا، بالرغم من كرم نديم، أغلقت نفسي حول كبريائي المجروح، مثل بلزاك، تحوّلت محارًا متوقعا وداخل صدفته، تابعت طريقي وحيدًا وها أنا الآن واقف أبحث عن خفي".**[3]

«Malgré toute l'amitié qui semblait naître entre nous, malgré la générosité de Nadim je me suis refermé autour de mon orgueil blessé, j'ai fait l'huître, comme Balzac. J'ai suivi mon chemin de Damas en solitaire et maintenant me voilà debout à chercher mes pantoufles».[4]

مجتمع الشّرق محافظ ثابت في قيمه وعاداته، من تعاون وأخوة وصبر، معظم علاقاته مع الآخر من أجل تمتين أواصر المودّة.

[1]- البوصلة، ص 161.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.89.

[3]- البوصلة، ص 271.

[4]- Mathias Enard, *Boussole*, p.147.

د. القيم الحضارية

- الأمن والسّلام:

عاش المسلمون والمسيحيّون في بلاد الشّرق جنبا إلى جنب في أمن وسلام لمئات السّنين، رغم المكائد التي نُسجت؛ من أجل تفرقتهم، إذ إنّ إيمانهم بالأخوّة المشتركة حال دون ذلك، فكلّ الأديان تتّفق على وحدانية اللّه؛ حيث نستنبط من الرّواية قيمًا دينية؛ غايتها تقريب الشّرق من الغرب، إلى جانب الأماكن المقدّسة نلمس أيضًا الصداقات الإيجابيّة بين الشّخصيات الشّرقية والغربيّة، ومن دلالات التعايش السّلمي للأديان **البيت** الذي استأجره المستشرق **فيبر**. **"...بيتٌ من الطّراز العربي في قلب الجزء القديم من المدينة في زقاق من الحي المسيحي المحاذي لباب توما".**[1]

«Une belle maison arabe au cœur de la vieille ville, dans une ruelle du quartier chrétien, à Bab Touma».[2]

هـ. النّمسا أرض للتعايش

تعدّ **النّمسا** في رواية "البوصلة" على غرار القدس ونهر الدّانوب أرضًا **للّقاء الحضاري بين الشّرق والغرب**، كما تمثّل بوابة الشّرق بالنسبة للغرب، فرغم التنوّع العقائدي الذي سادها فقد ظلّ **الآخر الشّرقي** جزءًا لا يتجزّء من الذّاكرة التّاريخيّة لها، عكس بعض الدول المنغلقة على الذّات، و**الرّافضة** للتّواصل مع **المختلف**، معتقدًا، ولسانًا، ولونًا. حيث يذهب **المستشرق** "**هو فمانستال**" مفاضلًا النّمسا على ألمانيا ومؤكّدا على **"النّظرية القائلة إنّ**

[1]- البوصلة، ص 152.

[2]- Mathias Enard, *Boussole*, p.84.

النّمسا أرض للتلاقي، أرض حدودية غنيّة بالتّواصل وأخلاط البشر أكثر بكثير من ألمانيا التي تحاول على العكس، استئصال الآخر من ثقافتها".[1]

«Selon laquelle l'Autriche est la terre des rencontres, une terre de frontière bien plus riche en contacts et mélanges que l'Allemagne proprement dite qui, au contraire, cherche à extirper l'autre de sa culture».[2]

و. الموسيقى وسيلة للحوار

إنّ التآلف الحضاري الذي ينضوي تحت رهانات كثيرة، منها تمتين أواصر الصّداقة بين الشّخصيات المتقابلة ثقافيًا وإيديولوجيًا، والتي تتماثل بالقيم والفاعليّة في مواقف كثيرة، فمن أطراف الحوار في هذه الرّواية نلمس العلاقة الطّيّبة بين **الموسقيين الإيراني نديم(الشّرق) وفرانتس(الغرب)** اللّذان جمعتهما **الموسيقى**. يقول هذا الأخير: **"احتضنني نديم بطريقة أخويّة، ما أعادني على الفور إلى دمشق إلى حلب، إلى عود نديم في الليالي".[3]**

«Nadim m'a aussitôt donné une accolade fraternelle qui m'a ramené en un instant à Damas, à Alep, au luth de Nadim dans la nuit».[4]

ويضيف فرانتس عن دور الموسيقى في تضييق الهوة بين الشقين، باتّخاذها أحد سبل الحوار الحضاري. فبيتهوفن **"كان أيقن تماما أنّه علينا أن نقرب من خلال الموسيقى بين الطرفين بين الشرق والغرب، لكي نبعد نهاية العالم التي تدنوا أكثر فأكثر..."[5]**

«Avait bien compris qu'il faut rapprocher les deux côtés dans la musique, l'Orient et l'Occident, pour repousser la fin du monde qui s'approche».[1]

[1]– البوصلة، ص 105.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.58.

[3]– البوصلة، ص 16.

[4]– Mathias Enard, *Boussole*, p.11.

[5]– البوصلة، ص 130.

وممّن كرّسوا حياتهم لأجل إيجاد **روابط إنسانيّة** بين الشّرق والغرب عبر الموسيقى، نجد **فيليسيان دافيد "أوّل موسيقى أوربي كبير كان مستشرقًا، لقد نسي مثل جميع من كرّسوا أنفسهم بالكامل للرّوابط التي تجمع بين الشّرق والغرب، ولم يكترثوا بتاتا لمعارك وزارات الحرب والمستعمرات".**[2]

«Premier grand musicien oriental, oublié comme tous ceux qui se sont consacrés corps et âme aux liens entre l'Est et l'Ouest, sans s'arrêter aux combats des ministres de la Guerre ou des Colonies».[3]

ويعتقد الموسيقي فرانتس أنّ **القسطنطينيّة** هي **جسر لتعاقب الحضارات،** وتلاقحها بين الشّرق والغرب. فيقول: **"القسطنطينيّة في نظري حدود الموسيقى الأوربيّة، أبعد مكان في الشّرق وصل إليه فرانتس لسيت الذي لا يكلّ ولا يتعب، وهي في نظر سارة بداية الأراضي التي تاه فيها رحالتها قادمين من هذا الاتّجاه كانوا أم من الاتّجاه الآخر".**[4]

«Pour moi, c'était la limite de la musique européenne, la destination la plus orientale de l'infatigable Liszt, qui en avait fabriqué les contours ; pour Sarah c'était le début du territoire où s'étaient égarés ses voyageurs, dans un sens comme dans l'autre».[5]

ز. الانصهار مع الآخر

حقيقة إقبال الغرب على الشّرق؛ قصد التواصل الحضاري واكتشاف أسراره أكثر منه من هذا الأخير، المنطوي على ذاته، والذي أبى النهوض من جديد. تقول سارة: "نحن ندين للوسي

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.73.

[2]– البوصلة، ص 160.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.89.

[4]– البوصلة، ص 75.

[5]– Mathias Enard, *Boussole*, p.42.

دولارو ماردروس لهذه الجملة الرائعة **"الشّرقيون يفتقرون إلى أيّ حس بالشّرق، نحن من لدينا هذا الحس بالشّرق، نحن الغربيّون، نحن الرّوم".**[1]

«C'est à Lucie Delarue-Mardrus que nous devons cette phrase extraordinaire : "Les Orientaux n'ont aucun sens de l'Orient. Le sens de l'Orient, c'est nous autres les Occidentaux, nous autres les roumis qui l'avons».[2]

ح. السّياحة

تعدّ السّياحة أحد أهم سبل التلاقح الفكري بين البشر. يتجوّل فرانتس **المسيحي** مع السّائق **اليهودي** في تركيا– البلد **المسلم**–؛ بحيث يتجلّى هذا كحوار ديني خالص، من خلال تعريف السّائق **فيرانو** بأهم المعالم الدّينيّة والتّاريخيّة الموجودة بتركيا، ليقف فرانتس مندهشا من المحمول الثقافي والحضاري المشترك لهذه الأرض، فيتنقل بين المساجد والكنائس واصفًا إيّاها، وبين شوارع الجالية اليهوديّة التي تتقاسم الأرض مع المسلمين والمسيحيين، ممّا يشير لثقافة الأتراك المتنوّعة الألسن، ففي موقف إنساني يشدّ انتباه فرانتس مركزًا للمسنّين وهم يستنشقون الهواء. يقول: **"صرت أفكر وبينما السيد فيرانو يتّجه نحوهم لإلقاء التّحية إنّهم لا شكّ بدأوا حياتهم بين هذه الجدران وأنّهم درسوا العبريّة والتركيّة والفرنسيّة هنا، أنّهم مارسوا ألعابهم في هذه الباحة، في هذا المكان وقعوا في الحبّ ونقلوا القصائد وتعاركوا التفاهات..."**[3]

«J'ai pensé, alors que M. Virano allait les saluer, qu'ils avaient sans doute commencé leur vie dans ces murs, qu'ils avaient étudié ici l'hébreu le turc, le

[1]– البوصلة، ص 261.

[2]– Mathias Enard, *Boussole*, p.141.

[3]– البوصلة، ص 111.

français, qu'ils avaient joué dans ce patio, qu'ils y avaient aimé, recopié des poèmes et s'y étaient battus pour d'insurmontables peccadilles».[1]

وبعد **وصول فرانتس وسارة** إلى **طهران** أرادا الولوج إلى أحد القصور البرتغالية القديمة لاكتشافه، فقد ظنّا أن الأمر في بادئ الأمر مستحيل، لكن بمجرّد الالتقاء بالحرّاس دار بينهم حوار إيجابي تخلّلته ابتسامات، توحي **بقبول** العسكر الإيراني لفرانتس ورفيقته سارة. **"وعلى عكس ما كنا نخشاه إن هؤلاء الـ "باسداران" بالزي العسكري الرملي اللون، لم يتّهمونا بالتحسّس، بل بدوا مسرورين بتبادل أطراف الحديث معنا وبإرشادنا إلى الطّريق للالتفاف حول الحصن".**[2]

«Contrairement à ce que nous redoutions, ces Pasdaran en tenue sable n'allaient pas nous accuser d'espionnage, ils étaient au contraire enchantés de pouvoir échanger quelques mots avec nous, et de nous indiquer le chemin qui permettait de contourner le fort».[3]

وخلاصة لما جاء يختم الكاتب الفرنسي علاقة الشّرق والغرب التكامليّة على كون القطبين وجهين لعملة واحدة، لتماثلهما وتقاطعهما في جلّ الخصائص خاصة الموروث الإنساني المشترك. إذ يقول فرانتس عن وحدة البشرية: **"وكيف أن كثيرًا ممّا نعتبره "شرقيًا" صرفا، إنّما هو في الواقع استعادة لعنصر "غربي" يمثل هو نفسه تعديلا لعنصر شرقي آخر وسابق، وهلم جرا، وسوف تصل إلى خلاصة أنّ الشّرق والغرب لا يكونان أبدًا كل على حدّه".**[4]

«Et comment ce que l'on considère comme purement "oriental" est en fait, bien souvent, la reprise d'un élément "occidental" modifiant lui-même un autre

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.61.

[2]– البوصلة، ص 298.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.161.

[4]– البوصلة، ص 255.

élément "oriental" antérieur, et ainsi de suite ; elle en conclurait que l'Orient et l'Occident n'apparaissent jamais séparément».[1]

وتضيف المستشرقة سارة عن طبيعة العلاقة بين الشّرق والغرب بكونهما: **"متمازجان على الدّوام، كل منهما حاضر في الآخر وأن هاتين الكلمتين – الشّرق، الغرب– لا قيمة علميّة لهما ماعدا الدّلالة على الاتّجاهين المشار إليها واللّذين يستحيل بلوغها".**[2]

«Qu'ils sont toujours mêlés, présents l'un dans l'autre et que ces mots –Orient, Occident – n'ont pas plus de valeur heuristique que les directions inatteignables qu'ils désignent».[3]

نستنتج أيضًا أنّ قيم **الشّرق ثابتة** بحكم تأثير الدّين على سلوك الأفراد عكس قيم **الغرب المتغيّرة**، ومَردّ ذلك لتفشي أفكار الاشتراكيّة ودعوتها لفصل الدّين عن الدّولة، بل وإقصاء دور الكنيسة، التي كانت في الأمس القريب تضفي على النّفس البشريّة قيما خلقيّة، في حين تظل مسألة تفعيل القيم أحد أهم سبل التقارب والتآلف، بتحديث الوسائل والطّرق **كالسياحة والموسيقى، والاعتراف بمركزيّة الآخر** عبر الأعمال الأدبيّة، التي تلقى صدى واسعًا، دون الاعتداء على معتقد الآخر، بانفتاحه، واحترام خصوصيّاته الثقافيّة.

[1]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

[2]– البوصلة، ص 255.

[3]– Mathias Enard, *Boussole*, p.138.

خاتمة

خاتمة:

لقد حاولت من خلال هذه الدّراسة تقصّي صورتي الشّرق والغرب وطبيعة الجدل القائم بينهما، وعليه كانت أهم النتائج والاستنتاجات المتوصّل إليها كمايلي:

- للجدل عدّة مفاهيم في المعاجم العربيّة، اتّفقت جلّها على مجموعة مرادفات تقابل هذا المصطلح، مثل: الإحكام، القوّة، الشدّة، الصّلابة، إلى جانب المناظرة، المقابلة، المحاجّة، المِراء، الخصومة؛ تكمن غايته في محاولة إيضاح المفاهيم المتنازع عليها، وتقريبها بين الطرفين المختلفين فكريّا، أو عقائديّا، أو حتّى جغرافيّا.
- مصطلحا الشّرق والغرب من أكثر المصطلحات المستعصية الضبط، فقد ارتبطا بعدّة ثنائيات متقابلة انطلاقا من التّحديد الجغرافي، والذي لم يعد معيارًا بعد دخول عدّة دول ضمن مصطلح الشّرق، كإيران، وتركيا، تبعًا لمعتقدهما الإسلامي، وبعض الدّول كاليابان، واستراليا، اللّتان انضمّتا لعالم الغرب؛ لتماثل خصائصهما مع بلدان أوروبا وأمريكا، فقُصد مؤقتا بالشّرق العالم الإسلامي، والغرب العالم المسيحي، ليلجا إلى التقابل السّياسي، بين شرق مهيمَن عليه وغرب مهيمِن، وأخيرًا إلى التقابل الحضاري، بين شرق متخلّف واهن روحاني، وبين غرب حضاري مثقّف ومترف مادّي.
- الأنا في نظر فرويد سيجموند تمثّل الوعي والشعور، أمّا يونغ فيقصد بها الذّات التي تشمل الأنا الفرديّة، إلى جانب الأنا الجماعية، وبهذا فالأنا بمثابة ضابط أخلاقي يرتكز على منظومة من الأفكار والمعتقدات. ويقصد بالآخر الحياة اللّاشعوريّة.
- أمّا الآخر في علم الاجتماع، فهو المختلف في الجنس، أو الانتماء الدّيني، أو الفكري، أو العرقي، والقصد من محاولة تفكيك ظاهرة الاختلاف بين الأنا والآخر هو السّعي إلى فهم الأنا في علاقتها بالآخر والغيريّة.
- صوّرت الكتب المدرسيّة الغربيّة العرب بجملة من الصّفات المتباينة بين **السّلبية**، مثل: ثري يبذّر الأموال، ويتسبّب في ارتفاع الأسعار، ولا سيما العقارات، عدو للعالم مثير

للحروب، زير نساء، خبيث لا يمكن الوثوق به، جنس متوحّش، أنفه طويل مدبّب، شواربه ضخمة وقذرة، تصرّفاته غير إنسانية...

- كما تنطوي هذه الكتب أيضًا على بعض الصفات **الإيجابية**، مثل: المسلمون خيّرون، مهذّبون، شديدو الحفاوة بواجب الضّيافة المقدّس، اتّسموا ببراعة فائقة في مجال **الفلك**، إلى جانب اختراع **ساعات الشّمس**، أوّل من أدرك مدار الشّمس والكواكب، إضافة إلى **الميكانيك** بابتكارهم المضخّات ورافعات الماء التي تعمل بالنار، أسّسوا مناهج بحثهم على العلميّة والموضوعيّة في تقصّي الحقائق.
- جاء الإسلام بمعنيين متناقضين في الدّراسات الغربيّة:

أ) **تيّار معاد** له يزعم أنّ الإسلام يدعو للجهاد والتطرّف، يمثّل العنف، والحرب، والتسلّط، متخلّف يناقض المنطق والواقع؛ وسبب هذه الصّور النمطيّة ترجع لجهل الكثير من القساوسة حقيقته.

ب) **تيّار ذو نظرة موضوعيّة** يرى أنّ الإسلام نظام للعقيدة والعباد، يقدّم العقل على الإرادة، كما يصبو لتعزيز العيش المشترك بين البشر باختلاف ألوانهم وألسنتهم. فالشّرق عمومًا متشبّث بالدّين، عكس الغرب الذي أصبح صاحب معتقد ظاهري؛ لأنّ قيمه متغيّرة متوقفة على منطق المنفعة والمصلحة.

- لطالما اختزل الإسلام في صور نمطية تحقيرية من وحشية وعنف، في حين نجد أنّ الروائي في رواية *Boussole* قد أقصى هذه النظرة الضيّقة، وبرّأ الإسلام من الجماعات الإرهابيّة؛ التي تسفك دماء الأبرياء باسم الدّين، مشدّدًا بأنّهم لا يمثّلون الإسلام بتاتًا.
- يحاول ماتياس إينار تذكير اليهود والمسيحيين والمسلمين بالقيم الإنسانية المشتركة، ويرمي لإحياء الأخلاق الفاضلة التي سادت بينهما في زمن مضى، ويحثّهما على الحوار الحضاري البنّاء، بوقف العداء والعنف، وإيجاد سبل للخروج من الأزمة النّفسية، فقد بيّن لنا دعوة الأديان إلى نبذ التعصّب والكراهيّة والتطرّف؛ قصد تنظيم العلاقات البشريّة.

- كما ينقسم أدباء الشّرق في نظرتهم للغرب إلى قسمين، قسم معاد، له نظرة ضيّقة، رافض للتطبيع والانفتاح على الآخر، في المقابل نجد قسم آخر مقبل ومنبهر بالحضارة الغربيّة.
- الأوضاع الاجتماعيّة للشّرق تجبره على الحوار؛ بسبب افتقاره للمادّة من جهة، ولتحقيق مساعي دينه، والتي تدعو إلى التعارف على الآخر لا إنكاره ومحاولة إبادته، كما أنّ حاجة الغرب لإشباع جانبه الرّوح المفتقد يجرّه لبسط يديه على الشّرق الرّوحاني؛ حيث البساطة والرّاحة النّفسية، إلى جانب الثّروات المعرفيّة، كالمكتبات القديمة، وآثار الحضارات الشّرقيّة الأولى، وكذا الكنوز الباطنيّة، كالغاز، والبترول، ومختلف المعادن الثّمينة.
- الأسرة في الشّرق قوام المجتمع؛ حيث يتجلّى ذلك من خلال التآزر والتلاحم بين أفرادها. أمّا في الغرب فالفرد وحدة المجتمع؛ حيث تشارك المرأة الرّجل في تسيير شؤون الأسرة.
- يعترف الروائي ماتياس إينار بتميّز الأسرة الشّرقية المرتوية بالقيم الأخلاقية على مثيلتها الغربية المتفكّكة، بعدما غلبت على هذه الأخيرة المدنية الحديثة. فالغرب وقع في المحظور؛ بمحاولته قمع الدّور الكوني للأسرة، ما عجّل تفكيكها بتقديمه المرأة على الرّجل، ليترتّب عن ذلك تمزّق التركيبة الاجتماعيّة.
- العلمانيّة استبدلت حوار الأديان بحوار الحضارات؛ لذا يؤمن الغرب المادّي بالعالم الحسّي فقط، بل ويسند العقل والمنطق لكلّ ظاهرة كونيّة، ولا يولي الظواهر الغيبيّة أهميّة، حيث انتقد ماتياس إينار الغرب اللاهث خلف المادّة، كما اعترف بخبايا الغرب ونواياه الحقيقيّة، في المقابل كان قيام حضارة الغرب على العلم، في حين لا يزال الشّرق يتخبّط في الموروث دون قيامه على الدّين، والذي يدعو صراحة إلى العلم.
- جدّد الكاتب ماتياس إينار صورة الإسلام الحقيقيّة، والمتمثّلة في رؤية حوارية بنّاءة؛ قصد التعايش السّلمي، انطلاقا من تصحيحه عدّة مفاهيم نمطية عالقة في ذهن الغرب، وبمحاولته الجريئة تصحيح التّاريخ المغلوط، إلى جانب تجديده رسم الصّور المتخيّلة عن الشّرق، والاعتراف بمركزيته السّابقة.

- افتقار الغرب للمنظومة الأخلاقيّة بتحرّره من الشّرعيّة الدّينيّة؛ أي أنّ هذا التقدّم الذي أحرزه الغرب ماديا كان بتخلّصه من قيود الرّوحانيّة المفرطة، المستوحاة من المسيحيّة المزيَّفة لنصوصها الأولى.
- الشّرق منطوي متحفّظ في الانفتاح على الآخر، لازمه الكبت والرّهاب من الآخر في كثير من الأحيان؛ نتيجة الحروب والحملات الصّليبية، التي حاولت اجتثاث هويته ومقوّماته، ما خلّف أثارًا نفسيّة عقّدت نظرته للآخر.
- من معيقات الحوار حسب الروائيين في المخيال الشّرقي أنّ الغرب سبب انهيار الشّرق؛ بفعل الحروب والاستلاب لكنوزه الماديّة من علوم وثروات طبيعيّة، حيث تضيف الروائية **جهاد الرّجبي** أنّ فلسطين أوّل القضايا المطروحة على بساط النقاشات بين الشّرق والغرب كبؤرة للتوتّر، في حين يعتقد **ماتياس إينار** أنّها قاسم مشترك بين مختلف النحل والملل، كما يعترف بالاستبداد الغربي محمّلا إيّاه الأسى والحرمان الذي يعيشه الشّرق اليوم، حيث يرفض الغرب وجود مركزيّة منافسة له، لذلك يسعى لقمعها حتى لا تشكّل أي تهديد لمنظومته الاقتصاديّة والسياسية على وجه الخصوص.
- أثّر الاستشراق كثيرا في تصوير الشّرق عامّة برؤى إقصائية عدائية، فرسمه في ذهنيات الأجيال الغربيّة المتعاقبة بصورة سلبيّة خانقة لحقيقته، والتي عمد الكثير إلى إخفاء الذّات الاستعلائية الغربيّة؛ نتيجة ما حققّه على حساب الشّرق الواهن، فلابدّ من استشراق موضوعي، ومن استغراب جدّي، بتجديد وسائل الحوار التي لا تخضع لغايات ذاتيّة.
- تدعو الروايتان إلى تفعيل القيم المشتركة بين البشر، بإقامة جسور جدّية للحوار البنّاء بين الشّرق والغرب، وإلى طي نزاع الماضي بدءا بتصحيح التّاريخ المزيّف، ومن خلال الاعتراف بمركزيّة الشّرق في إقامة أولى الحضارات على وجه الأرض، حيث عرف الإنسان أوّل اجتماع؛ بمعتقدات ورؤى شهدت تغيّرات وتحوّلات من جيل لآخر، فاعتراف الغرب بما اقترفه من ممارسات مزّقت الشّرق هي إحدى أهم الخطوات نحو تأسيس علاقات إنسانيّة جادّة بين الطرفين.

- السّلم والتسامح من أهم وسائل الحوار، فهما ضمن قيم الإنسان العليا للتعايش، للقضاء على تيارات التعصّب، ولتجاوز الأزمات السّياسية بدافع العداء التّاريخي بين الشّقين.
- اتّخاذ السّياحة والموسيقى وسيلتا للتعرّف على الآخر، ومن ثمة تجسيد وتوطيد العلاقة به.
- العالم أحوج من أي وقت مضى للمّ شمله من جديد، ولفرض القيم الدّينية بدل الحضاريّة التي أوجدتها العلمانيّة وشجّعتها الاشتراكيّة الغربيّة.
- قيم **الشّرق ثابتة**؛ بحكم تأثير الدّين على سلوكه، عكس **الغرب المتغيّر**؛ ومَردّ ذلك لتفشي أفكار الاشتراكيّة ودعوتها لفصل الدّين عن الدّولة.
- لا يمكن الحكم على تمسّك الشّرق بالرّوحانيّة فقط من زاوية حاضره دون الرجوع إلى الأسباب التي جعلت منه جاهلًا متخلّفًا.
- الشّرق لم يتقيّد بتعاليم الإسلام، والتي فيما مضى أسّس بفضلها دينا ودولة أسرت العالم.
- الشّخصيات الغربيّة مثقلة بكاهل **المادّية**، اتّخذت من الشّرق فضاءً لسبر أغوار الرّوح، فرغم ما وفّراه العلم والتكنولوجيا للغرب إلاّ أنّه لم يحرز السّعادة الرّوحيّة والسّكينة، ممّا أدى إلى تزايد نسب الانتحار المَهول.
- يسعى كلّ من الشّرق والغرب إلى البحث عمّا يحوجه في الآخر، فكلّ قطب مكمّل للآخر، ويعدّ الشّرق روح الإنسان، والغرب جسده، لذا تحوّلت جدليّة الشّرق والغرب من مرحلة الانبهار إلى المساءلة الحضاريّة والسياسيّة لإشكاليّة التخلّف والتقدّم.
- حضور تيمة السّفر والتّرحال، ممّا ينسب الروايتين إلى أدب الرّحلة؛ بسفر البطل وائل من فلسطين إلى نيويورك في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي، وسفر البطل فرانتس في رواية "البوصلة" من فرنسا إلى عدّة بلدان بالشّرق، كسوريا، تركيا، إيران... فغالبا ما يسافر البطل الشّرقي نحو الغرب من أجل العلم والمال والحب؛ ليتحرّر من الكبت والحرمان ويحقّق غايته، ويسافر البطل الغربي إلى الشّرق؛ أملًا في اكتشاف سحره وروحانيّته كبلسم لشقائه المادّي.

- تجلّت ثنائية الرّجولة والأنوثة في كلا الروايتين بوضوح، حيث يحب البطل الشّرقي فتاة أمريكيّة في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي، في حين نجد في رواية "البوصلة" لماتياس إينار أنّ رجلا غربيّا جعل من أحد شباب الشّرق خادما له، وأُشيع عنه أنه يلبّي حاجاته الغريزية رغم إنكار الرّجل الغربي، في إشارة لسيطرة الغرب على الشّرق بحبكة جديدة نادرا ما تطرّقت إليها الرّوايات الغربيّة.

الملاحق

الملحق الأوّل:



1. نبذة عن السيرة الذّاتيّة و الأدبيّة ل "جهاد الرّجبي"

ولدت الكاتبة جهاد الرّجبي في مدينة عمان الأردنيّة عام 1968 م، حصلت على الثانويّة العامّة من الأردن عام 1987، وحصلت على بكالوريوس زراعة عام 1992. كما حصلت على ماجستير في الإرشاد النفسي والتّربوي من الجامعة الأردنيّة عام 2004. نُشرت لها العديد من القصص وسيناريوهات الأطفال والمقالات في الصّحف والمجلّات العربيّة. كتبت في مجلة (فلسطين المسلمة) تحت زاوية بعنوان "مع الغروب" من 1993-2009.

- **أهم المناصب التي تقلّدتها**

* معدّة ومقدّمة برامج إذاعيّة في إذاعة ماسة النسائيّة بالسعوديّة.

* معدّة ومقدّمة برامج إذاعيّة في إذاعة حياة إف. إم بالأردن.

* معدّة ومقدّمة قصص للأطفال عبر برنامج إذاعي للأطفال في إذاعة الأردن.

* عملت في مجال الزّراعة في شركة (في ومي) لتنسيق الحدائق بالأردن.

* عملت مساعدة بحث وتدريس في الجامعة الأردنية.

كما لها أكثر من **سيناريو فيلم وثائقي** مثل: "أطفال الانتفاضة" و"شباب الحق". نالت عدّة جوائز عن قصصها، وتعدّ من الروائيّات المهتمات بالقضيّة الفلسطينيّة. شاركت في أمسيّات قصصيّة بدعوة من مهرجانات ثقافية وملتقيات أدبيّة في الأردن، مثل: مهرجان مؤتة بالأردن، وملتقى الأدباء في الموسم الثّقافي الأوّل لأدب العودة بدمشق.

- **الأعمال الروائيّة**

* لن أموت سُدى، 1993.
* الصّحراء، 2003.
* رحيل، 2003.
* أيّنا قتل الآخر، 2017.

- **الأعمال الأدبيّة القصصيّة**

*محاكمة في الغابة (قصة للأطفال)، 1993.
*لمن نحمل الرّصاص (مجموعة قصصية)، 1993.
*اليقين (مجموعة قصصية)، 2003.

- **الجوائز**

* جائزة القصّة القصيرة في الجامعة الأردنيّة عن قصّة (المنفى) عام 1991.
* جائزة القصّة البيئيّة و التي نظّمتها الجمعية الأردنيّة لمكافحة تلوّث البيئة عن قصّة (محاكمة في الغابة) عام 1992.
* الجائزة الأولى عن رواية (لن أموت سُدى) في المسابقة التي نظّمتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية لعام 1993.
* جائزة القصّة القصيرة في المسابقة التي نظّمتها القنصليّة الإيرانيّة في دمشق عن قصة (البحار تسأم لونها) لعام 1993.
* الجائزة الأولى عن قصّة "صوب الوطن" في المسابقة التي نظّمتها مؤسّسة الأرض

المقدّسة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة لعام 2000.

* الجائزة الأولى عن مقالة (القدس وانتفاضة الأقصى) في مسابقة يوم القدس العالمي و التي نظّمتها السّفارة الإيرانيّة في الأردن لعام 2001.

* جائزة فلسطين للرواية عن رواية (رحيل) في المسابقة التي نظّمتها مؤسّسة فلسطين للثّقافة لعام 2010.

2. ملخّص رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

في هذه الرواية دارت الأحداث على أرض فلسطين، متنقلةً بين مدنها، وقد تعّدت إلى بعض الدول الغربية، وتتمحور حول شخصية"وائل" الذي ترك أرضه وتخلّى عن حقّه في فلسطين من أجل أموالٍ يملئ بها جيوبه الفارغة، ومن أجل حب ربطه بالشخصية الثانية"جين"، بعد أن كان مثلًا يضرب في الجهاد عن الحق الفلسطيني في أرض فلسطين مع أشقائه وأصدقائه، وائل شاب فلسطيني من غزّة، من أسرة فقيرة، مات أبوه حزنًا على أخيه المعتقل، يعيش في بيت صغير مع أمّه وأخيه وأخته. بعد أن أتمّ دراسته الجامعيّة عمل بائعاً للسّمك، يكسب منه عيشه، وما يعول به أسرته. مثله مثل أي شابّ فلسطيني يرى الاحتلال يجثم على صدورهم، ويسيء معاملتهم، وقد سلب وطنهم وأرضهم، ويلاحقهم على هذه البقعة التي لم يعد فيها متّسع لقدم، يمارس غطرسته بصور مطلقة. بعد أن عجز العرب – بجيوشهم النظامية– عن كسر شوكته، يهب الناس في انتفاضة مباركة لإيقاف جبروت وغطرسة آلة الحرب اليهودية، سلاحهم الإيمان، وقذائفهم الحجارة، ودواء جروحهم الصبر، وبلسم أوجاعهم الأمل.

يُعتقل وائل، ويحقّق معه، ويعذّب بوحشيّة لا متناهية في قسوتها، فلا يضعف، ولا يلين. وتمارس ضدّه الضغوطات الجسديّة والنفسيّة من كل شكل ولون، ويتساقط من حوله بعض زملاء الانتفاضة تحت وطأة التّعذيب، ويعترفون عن بعض خلاياهم، ويُستدعى أحد المنهارين (سالم أبو الفتوح) ليؤثر على وائل بعدما قبل التعاون مع العدو. وائل يصاب

بالإحباط، وقد صوّر له اليهود وأعوانُهم استحالة النّصر، وبدأت خدرات اليأس تغزو أعصابه وقلبه.

في إحدى مواجهات الحجارة مع اليهود، يقذف طفل سيارتهم بحجره، فتختار السيارة طفلين لتطاردهما، تشاهد هذه المطاردة فتاة أمريكيّة سائحة، في مقتبل عمرها وشبابها (جين) فتركض لتنقذ الطفلين من حقد عجلات سيارتهم، تسقط، يغمى عليها، لا تصحو إلاّ في المستشفى، وتعلم أن الذي حملها بين ذراعيه إلى المستشفى (وائل)، تراه وسيمًا وادعًا، يتعلّق قلبها به، وتحاول – بعد اتفاق مع والدها– على مكافأته، بأن تأخذه معها إلى أمريكا ليعمل عند والدها، بعيدًا عن أجواء الصّراع في غزة.

تحت ضغط الحب الوليد بين قلبيْ (وائل) و(جين)، وإغراء المال، وحلم الاستقرار، واليأس من إصلاح الأحوال تحت الاحتلال، يوافق وائل على اللّحاق بـ (جين) إلى بلدها، حيث أنّه في حاجة لعلاج قلبه المريض أيضاً، وقد وعدته (جين) بذلك، بل هي التي أغرّته بذلك ومنّته.

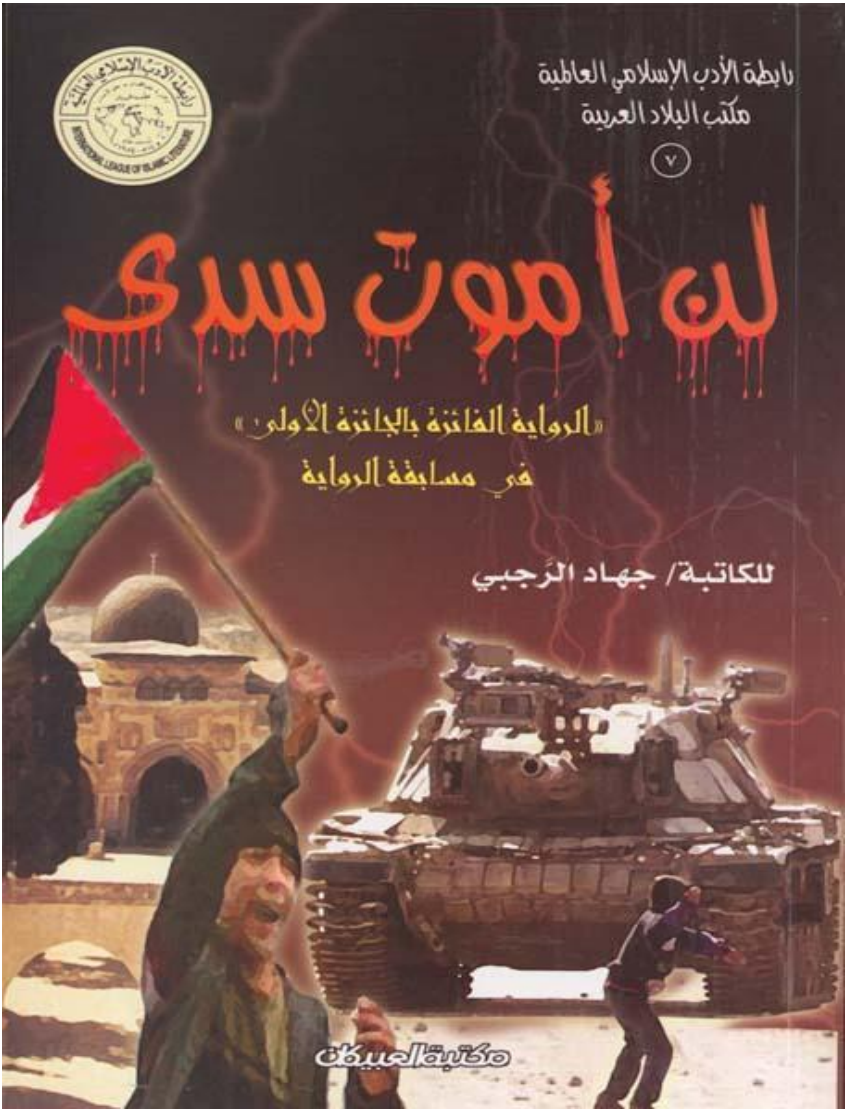
جبهة الرفض داخل أسرته لهذا القرار المشين تشتد، وتعتبره هروبًا من مواجهة المشكلة، يحاول وائل إقناع أهله أنه ليس هروبًا، ولكنّه نوع من الهدوء والتقاط الأنفاس، والبحث عن مكان أكثر أمنًا وسعادة من الأراضي المحتلة!! الكل يرفض توجّهه هذا، حتى أن أخاه وأخته الصغيرين، وأمّه العجوز، لا يقبلون هذا المنطق.

يسافر (وائل) بمساعدة أحد الخونة المتعاونين مع العدو (سالم أبو الفتوح)، ويلتقي في الطائرة بامرأة عجوز غريبة، يزجي الوقت بالحديث معها، هي تمثّل الإيمان والصّمود والنّظرة الصّائبة والعقل الرّاجح، وهو يمثّل اليأس والنزق والعقلية الفجّة. وتدور بينهما حوارات عدّة، إنّها الدكتورة (هيلين جيرن). وعندما وصل (وائل) إلى مطار في أمريكا بعد رحلة طويلة، شاهد في صالة القادمين تلفازًا معلّقًا يعرض بعض الأخبار، فشاهد صورة أخيه (عليّ) وهو تُحطم عظامُهُ بأعقاب بنادق الجنود الإسرائيليين في غزة، فيهبّ صارخًا راكضًا باتّجاه التلفاز، ولأنّه مريض بالقلب، يغمى عليه. وعندما يصحو يجد نفسه في غرفة العناية المركّزة

بأحد المستشفيات في المدينة الأمريكية التي تقيم فيها (جين)، ويجد (جين) حبيبته تحيطه برعايتها وحبّها، وتغسل يديه بدموعها وقبلاتها.

ينتهز فرصة خروج (جين)، ويغافل من في المستشفى، ويلبس ملابسه، ويعود إلى المطار في محاولة يائسة للعودة إلى بلده، ليشارك أهله في قتال العدو، بعد أن أيقن خطأه، وتبيّن له أن أهله كانوا على حقّ، وأنّ بحثه عن جنّة أخرى غير وطنه لا يفيد، لكنّه يموت في قاعة المغادرين وهو ينتظر إقلاع الطائرة. تلك هي أحداث الرّواية بصورة مجملة.

3. الغلاف الخارجي لرواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي



الملحق الثاني:



1. نبذة عن السيرة الذّاتيّة و الأدبيّة ل "

ماتياس إينار Mathias Enard

كاتب ومترجم فرنسي شغوف بالفن المعاصر ولد في 11 يناير 1972في نيورت (فرنسا)، درس اللّغة العربيّة والفارسيّة بعد إقامة طويلة في الشّرق الأوسط، ثم انتقل إلى إسبانيا ليعمل أستاذا لمادّة اللّغة العربيّة في مدينة برشلونة، كما أدار العديد من المجلات في كل من فرنسا و برشلونة. ظهر أوّل عمل له بعنوان "*La perfection du tir*" في عام 2003، وفي عام 2012، نشر "Rue des voleurs"في Actes Sud . وهي رحلة قام بها شاب مغربي يتجول في إسبانيا خلال الربيع العربي والحركة الساخطة خلال معرض بيروت للفرنكوفون للكتاب (26 تشرين الأول – 4 تشرين الثاني 2012).

- **الأعمال الرّوائية**

* ، (2003)م.مال الرماية

* ، (2008)م.المنطقة

* ، (2010)م.تحدث معهم عن المعارك والملوك والفيلة

* ، (2015)م.بوصلة

*شارع اللّصوص

*كاتب السيناريو "اللجوء" (2018)م، من تصميم زينة أبي راشد.

- **الجوائز**

- جائزة القارات الخمس للفرانكوفونية، (2004) م.
- جائزةEdmée-de-La-Rochefoucauld ، (2004) م.
- جائزة ديسمبر، (2008)م.
- جائزةCandide (2008) م.
- جائزة كتاب إنترInter (2009) م.
- جائز Goncourt des lycéens (2010) م.
- جائزة الرواية الجديدةRoman-News (2013) م.
- جائزة جونكورGoncourt (2015) م.

- ضابط في وسام الفنون والآداب(2016) م.

- جائزة لايبزيغ للكتاب لعام (2017) عن التفاهم الأوروبي.

2. ملخّص رواية "البوصلة" لماتياس إينار Mathias Enard

تتناول رواية "بوصلة" العلاقة بين الشّرق والغرب من خلال قصة حب ثرية مكتوبة بأسلوب مركّز، تشتبك فيها اللغة بالموسيقى بتفاصيل المكان وأجوائه، فبطل الرواية موسيقار نمساوى من فيينا، مصاب بالأرق ويجافيه النوم غذ تطارده ذكريات إقامته فى الشرق الأوسط والعلاقات التى نسجها هناك، ففي "بوصلة" يتابع ماتياس إينار من مدينة فيينا، حدود العاصمة المطلّة على أبواب الشرق الهارب، قلوبا هائمة في اتجاهات كثيرة، تعود إلى أزمنة مضت وتشرف على أخرى جارية إلى ضياع. العين الغربيّة التي تزور وترتحل في أمكنة من شرق أليف في العمق، في أبخرة الأفيون والمعارف المبهرة العابرة للحدود، حيث لا غرباء إلاّ في ذكريات فات أوان سعادتها وضاعت. ماهلر ومجنون ليلى، حلب وطهران، اسطنبول– النمسا– تدمر، كلّ الحكايات هي أمكنة هاربة، كلّ الأمكنة مرايا لانعكاس القلب، كلّ القلوب هي القلب الآخر إيّاه... في هذه الرواية يعيد إينار تعريف اللفظ الشائع والمعتمد أدبيا لأهداف ترويجيّة: "جسر بين الشرق والغرب"، ينزع عنه كلّ ما شابه منذ عقود من نوايا حسنة وفولكلور دبلوماسي سياحي. الغرب في "البوصلة" هو أيضا حيث تشرق الشمس. وأختار الكاتب ماتياس إينار أن تكون المنطقة العربية مسرحا لكتاباته، وتدور أحداثها فى بلد عربى يعانى من حرب أهلية لكن الكاتب لم يحدّد اسمه، وفى هذه الرواية يستعرض إينار مداركه ومعارفه مقحمًا إيّاها داخل جمل طويلة، تتداخل فيها الفصول والذكريات. ومع توالى الصّفحات، ندرك بما لا يقبل الشّك أن هذا الأسلوب السّردى استدعته الشّخصية الرئيسية فى الرواية للموسيقي "فرانتس ريتر"، الملتجئ إلى شقّته فى فيينا، يحاول، خلال ليلة مؤرّقة، القيام بجولة رفقة مجموعة من هدايا السفر التذكارية التى تتحوّل إلى تأمُّلات وأفكار يتجاور فيها، جنبًا إلى جنب، بلزاك مع عمر الخيام، وليسزت مع الكندى...

ومن هذه الذكريات يبدأ البحث عن زمن الشرق الضائع، حيث تبدأ الرحلة إلى الشّرق التى تشهد بداية علاقة جوهرية بـ"سارة" التى تملك معرفة هائلة عن الشرق وسحره الأخّاذ. خلال

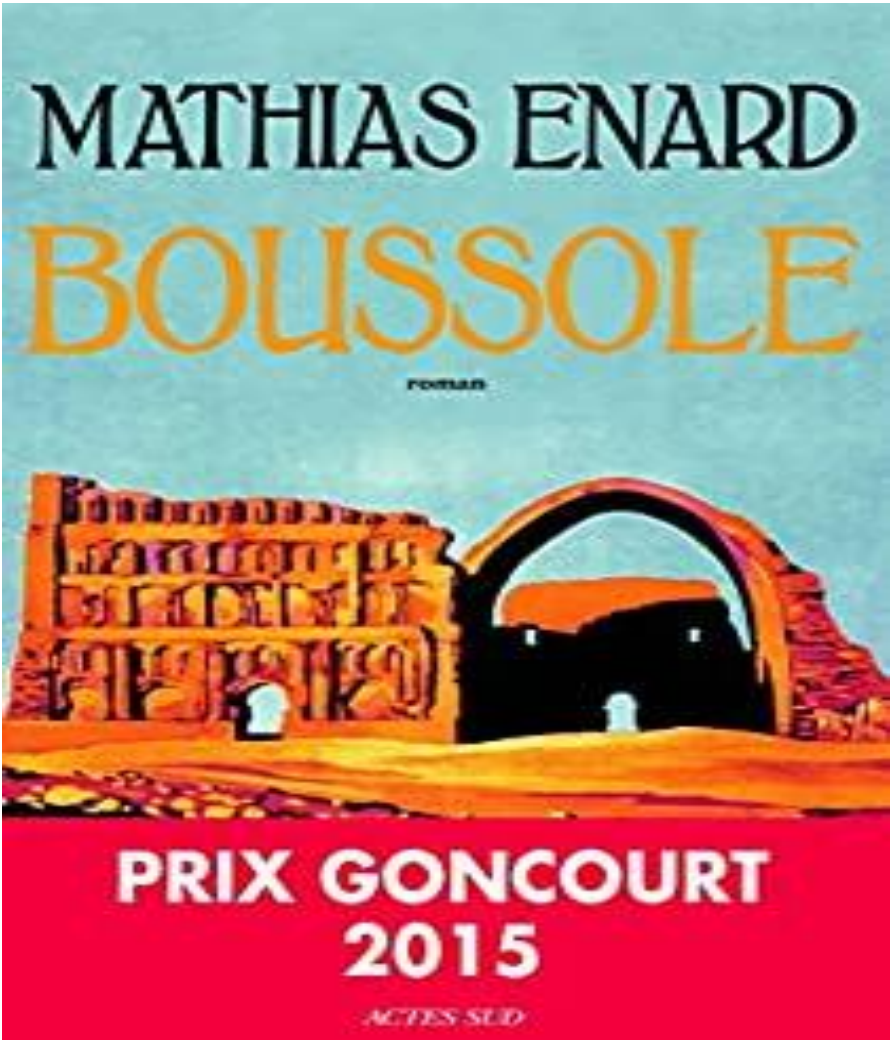
ساعات الليل المنسابة، بعذوبة، يتبادل الموسيقى وسارة الحديث الجميل الموشَّح بالأحاسيس والموسيقى والمعرفة والذكريات، كانت بوصلة المعرفة وحبّ الاستكشاف تقودهما، حتمًا، نحو الشرق. هذه البوصلة التى تفضى إلى الجمال، لا تشير إلى الشمال، بل إلى الشرق وإلى مزيد من الشرق. الآن، أصبحنا نعرف وجهة السارد الحالم بعوالم الشرق وسحره البليغ، بدءًا باستعراضه المستفيض لأدب الرحلة، وهو أدب ازدهر مع المستشرقين خلال القرون الماضية.

ولأنّ بطل الرواية مهتم بالموسيقى فإنه يحملنا إلى عوالم موسيقى موزار، وبيتهوفن، وشوبرت، وليزت، وبرليوز، وبيزيه، وريمسكى، وكورساكوف، ودوبوسى، وبارتوك، شوينبيرغ...، عبر أنحاء أوروبا جميعها، مبرزًا أنه، منذ القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، انتشر، فى أوروبا، تثاقُف وتلاقُح وانفتاح على الحضارات الأخرى، بحيث كانت أوروبا إسفنجة ضخمة تمتصّ مياه الأدب والفكر والجمال الشرقى، جاعلةً منه مشتلًا خصبًا للتفكير والتغيير. فى السياق ذاته يصرِّح بطل الرواية قائلًا: «هؤلاء الرجال العظماء كلُّهم استخدموا ما يأتى من الآخر لتغيير ذواتهم، وتهجينها، لأن العبقرية تحبّ التهجين، وذلك باستخدام العمليات الخارجية لزعزعة دكتاتورية موسيقى الكنيسة». هكذا يفكِّر فرانتس ريتر، وهو يناقش، بعمق ودأب، هذه القضايا مع سارة، الجامعية المرتحلة عبر العالم، المفتتنة بالحضارة الماليزية والحضارة الهندية، التيلا تكفّ عن البحث للعثور على أجوبة لأسئلتها الوجودية، هذه المرأة ذات الشعر النحاسى، التى أحبّت فرانتس حبّا عفيفًا، وخلال رحلتهما عاشا عرسًا فكريًا تخلَّلته لقاءات كثيرة بباحثين ودارسين للشرق وثقافته وجغرافيته. ومنهم جواسيس.

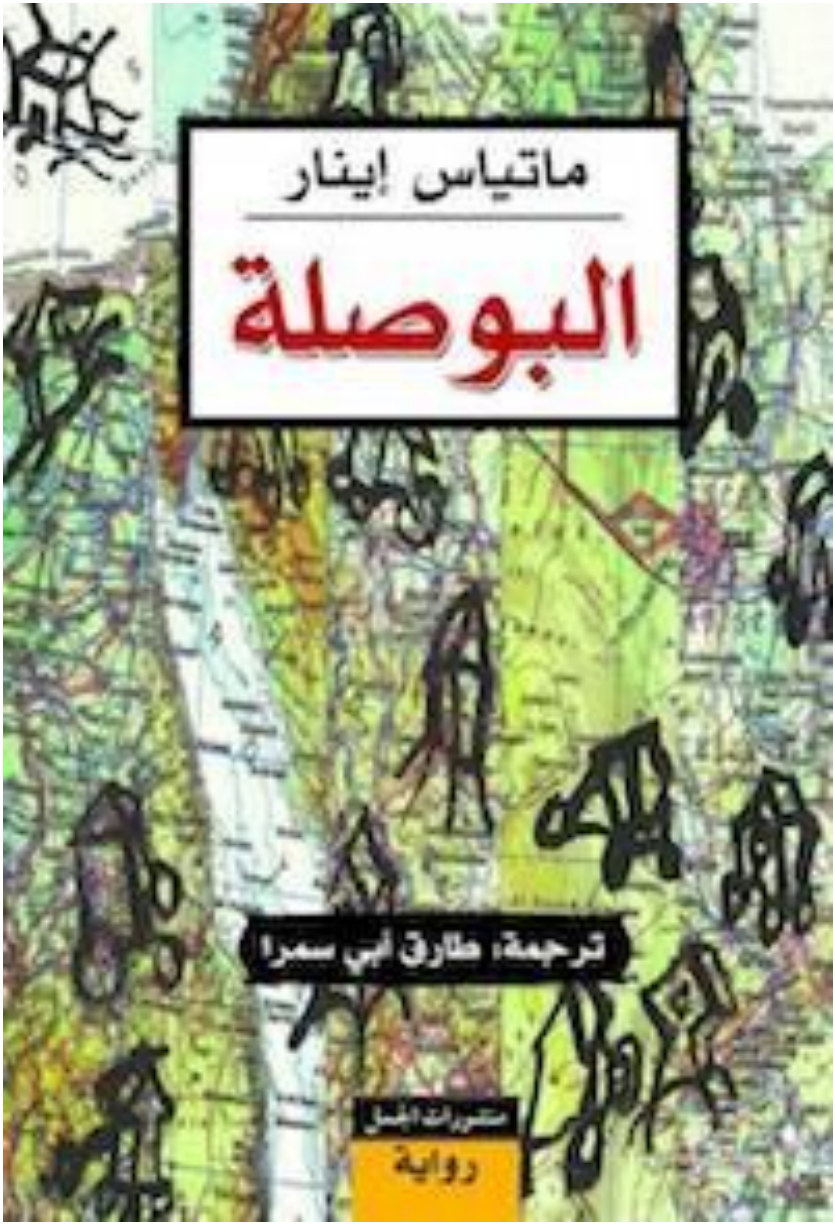
يكثِّف ماتياس إينار روح الشّرق ونوره فى بطلته "سارة"، وهى مستشرقة متخصِّصة، من نوع المستكشفين المنفتحين على رياح الصحراء جميعها، سارة تبحث عن جمال الشرق وروحه منحازة إلى التواصل والحوار والاندماج، تبدو فى بحثها كأنها تبحث عن الأصول

المشتركة للحضارة الإنسانية. الرحلة تتصاعد، باستمرار، سارة هى بوصلتها، بينما يكون ريتر مجرّد مؤشّر للاتجاه، غارق فى حلم اليقظة، يستعيد الماضى من فيينا بوابة الشرق، حيث يعيش، متذكّرًا سارة، المرأة التى أحبها، المستشرقة التى تغيّر البلد والثقافة كما تبدل الحياة نفسها: تارةً نجدهما فى دمشق، وتارةً أخرى يقضيان ليلة فى طهران، وفجأة، ها هما فى ساراواك بماليزيا، وإذا اقتفينا أثر هذين المخلوقين الحالمين فسنجد أن ريتر يقدِّم جردا للصّور، دون تناسق كرونولوجى، ناسجًا مخيلة تتقاطع وتتلاقى، وكأن ماتياس إينار يضمّن، مرّة أخرى، رسالته الفكرية والإنسانية التى طالما عبر عنها فى رواياته السابقة: مادام الشّرق بلا سلام فلا يمكن أن يعيش العالم فى أمان.

3. الغلاف الخارجي لرواية "البوصلة" لماتياس إينار *Boussole* de Mathias Enard



4. الغلاف الخارجي لرواية "البوصلة" المترجمة لماتياس إينار – تر: طارق أبي سمرا



قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن.

- الإمام الحافظ أبي الحسين المسلم بن الحجّاج القشيري الياسوري، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 1177.

- جهاد الرّجبي، لن أموت سدّى، مكتبات ونشر العبيكان، الأردن، ط1، 2015.

- البوصلة، ماتياس إنار، تر: طارق أبي سمرا، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2018.

- Mathias Enard, Boussole, Actes Sud, France, 1, 2015.

المراجع:

1. إبراهيم بن مبارك الجوير، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية، مكتبة العبيكان، الرياض، السّعودية، ط1، 1994.
2. أحمد أمين، الشرق والغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ط، القاهرة، مصر، 1955.
3. أحمد جبرون، تجربة الحوار الثقافي مع الغرب "قراءة تقويمية ونموذج مقترح"، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2014.
4. أحمد محمد الشنوائي، موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية، ط1،2007.
5. أحمد محمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري "بين الإحياء الإسلامي واللحدين الغربي"، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1995.
6. أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، وزارة الثقافة، الجزائر، د ط، 2007.

7. آمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية "دراسة جذرية"، دار المدار الإسلامي بيروت، ط 1، 2007.

8. أنور الجندي، المرأة المسلمة في وجه التحديات، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ط، 1979.

9. جميل حمداوي، مناهج علم النفس وعلم النّفس التّربوي، المغرب، ط1، 2017.

10. حسين مصطفى عبد المعطي، الأسرة مشكلات الأبناء، دار السحاب للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

11. سالم المعوش، صورة الغرب في الرّواية العربيّة، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، لبنان، ط1، 1998.

12. سعد البازعي، مقاربة الآخر "مقارنات أدبية"، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

13. سعيد الأفغاني، الإسلام والمرأة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 1970.

14. سيّد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشّروق، بيروت، لبنان، د.ط، 1995.

15. صالح بن ابراهيم البليهي، يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تنخدعي، مطابع السّلمان، السّعوديّة، ط2، 1407هـ.

16. صلاح صالح، سرد الآخر "الأنا والآخر عبر اللغة السردية"، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

17. عابد توفيق الهاشمي، سعادة الأسرة المسلمة في جنة الدّنيا بالحياة المطمئنة الكريمة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

18. عامر عبد العزيز الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2017.

19. عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، مجلة 6 الإسلاميات، 1997.

20. عبد الحكيم لعبد، الفكر السّياسي الغربي والقومية المحافظة في الشّرق، ط2، 2006.
21. عبد الحليم حمود، الإعلام التضليلي "دور الدعاية الإعلان الغربية في تشويه صورة الإسلام"، مركز الدّراسات والتّرجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
22. عبد الرزاق المسلم الماجد، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، د.س.
23. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتّعايش بين الأديان في أفق العرب 21، منشورات المنظّمة الإسلامية للتّربية والعلوم والثّقافة، إسيسكو، الرّباط، المغرب، ط2، 2015.
24. عبد الله ابراهيم، المركزيّة الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدّار البيضاء، المغرب، 1997.
25. عبد الله العروي، الإيديولوجية العربيّة المعاصرة، دار الحقيقة، ط4، بيروت، لبنان، 1981.
26. عبد الله كاظم، الرّواية العربيّة المعاصرة والآخر، "دراسات أدبية مقارنة"، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إيريد، الأردن، ط1، 2007.
27. عبد الوهّاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، مصر، ط1، 2001.
28. عصام توفيق قمر، سحر فتحي مبروك، محسن عبد الستّار غرب، مدخل إلى دراسة المجتمع العربي، دار الفكر، الأردن، ط1، 2008.
29. عطيّة صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، تربية الأولاد في الإسلام، ج4، مكتبة وهبة، القاهرة، د ط، 2006.
30. عمرو حسن أحمد بدران، تحليل الشّخصية، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، د.ط، د.س.

31. ماجدة حمود، إشكاليّة الأنا والآخر (نماذج روائيّة عربية)، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2013.

32. مالك بن بني، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1969.

33. مجاهد عبد المنعم مجاهد، رحلة في أعماق العقل الجدلي، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، د ت.

34. مجموعة من المؤلفين، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا–بريطانيا–فرنسا–إيطاليا–ألمانيا–إسبانيا– روسيا– الهند– كوريا– البرازيل– إسرائيل، مجلة الموفة، الرياض، السعودية، ط1، 2003.

35. مجموعة من المؤلفين، معجم علم النفس والتّحليل النّفسي، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، د.ت.

36. محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، ط3، 2005.

37. محمد أمين المصري، المجتمع الإسلامي، دار الأرقم، الكويت، ط1، 1980.

38. محمد حافظ دياب، ذاكرة الإسلام والغرب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.

39. محمد راتب الحلاق نحن والآخر، دراسة في بعض الثّنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 1997.

40. محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، دار عباد الرحمن، مصر، ط2، 2010.

41. محمد رفعت، الآخر بين الرّواية والشّاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 2015.

42. محمد سيّد محمد، الغزو الثّقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1994.

43. محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مكتبة الإمام البخاري للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009.

44. محمد نور الدّين أفايه، المتخيّل المتواصل "مفارقات العرب والغرب"، دار المنتخب العربي للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

45. محمود عبّاس العقّاد، الإسلام دعوة عالميّة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، ط3، ج6، 1987.

46. مصطفى السّباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الورّاق، الرّياض، السّعودية، ط7، 1999.

47. مصطفى حلمي، الإسلام والأديان "دراسة مقارنة"، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

48. مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظريّة علم الاجتماع، مركز البحوث والدّراسات الاجتماعيّة، القاهرة، د.ط، 2002.

49. مصطفى عبد الغني، الاتّجاه القومي في الرّواية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1994.

50. منصور زويد المطيري، الصّياغة الإسلاميّة لعلم الاجتماع "الدواعي والإمكان"، كتاب الأمّة، قطر، ط1، 1413.

51. وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، دار الصّحوة للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1994.

52. يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي "الفرص والتّحديات"، المجمع الثّقافي، أبوظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط1، 1997.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Philippe Hamon, Pour un statut sémiologique du personnage , version remaniée d'un article paru dans la revue littérature, Larouse, Paris, 1972.
2. Roland Barthes, le degré zéro de l'écriture suivi de nouveau essaies Critique, Paris, Seuil, 1972.

المراجع المترجمة باللّغة العربيّة:

1.أ.لوشاتلييه ، الغارة على العالم الإسلامي، تر: محمد الدين الخطيب، مساعد الباني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

2.إدوارد سعيد، الاستشراق "مفاهيم الغربية للشّرق"، تر: محمد عناني، [دار بنجوين العالميّة]، رؤية للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

3.إدوارد سعيد، تر: فخري صالح.

4.إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، تر: صبعي حديدي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

5.تفريقيتان تورودوف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996.

6.زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربيّة في أوروبَة"، تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط8، 1993.

7.سيجمند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشّروق، القاهرة، بيروت، ط4، 1982.

8.ضياء الدين ساردار، الاستشراق، "صورة الشّرق في الآداب والمعارف الغربيّة"، تر: فخري صالح، مينة أبوظبي للسّياحة والثّقافة، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2012.

9.علي عزّت بيجو فيتش، الإسلام بين الشّرق والغرب، مؤسّسة العلم الحديث، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

10.كارل غوستاف يونغ، جدليّة الأنا واللّاوعي، تر: نبل محسن دار الحوار للنّشر والتّوزيع اللّاذقية، سورية، ط1، 1997.

المعاجم والقواميس العربيّة:

1. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدّين)، لسان العرب، مادة (الجدل)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1374هـ-1955م.

2. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح "تاج اللّغة وصِحاح العربيّة"، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2009.

3. أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي "لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته"، سطور، الرياض، السّعودية، ط1، 2002.

4. أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

5. جبران مسعود، الرّائد "معجم ألفبائي في اللّغة والأعلام"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

6. صلاح الدّين الهوّاري، المعجم الوجيز المدرسي، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

7. علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الغربي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ.

المجلّات والدّوريات:

1. المناعي، الأنا والآخر ومقتضيات العبارة: الشّرق والغرب في مؤلفات الشّابي، مجلّة الآداب، العدد العاشر، م41، 2013، ص 83/82.

2. جمال مباركي (جامعة بسكرة/الجزائر)، المحمول الثّقافي الغربي في الرّواية العربيّة المعاصرة "نماذج مختارة" مجلّة القراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، العدد الخامس، 2013، ص8/7.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

الشّكر

الفهرسّ: **الصّفحة**

مقدّمة .....أ-هـ

الفصل الأوّل: الشّرق والغرب وملامح تشكّلهما.....**10-81**

المبحث الأوّل: مفهوم الشّرق والغرب وعلاقة الجدل القائم بينهما.....**10-47**

1- مفهوم الجدل.....**10-21**

1-1 لغة.....**10-15**

1-2 اصطلاحًا **16-20**

2- مفهوم الشّرق.....**21-27**

1-2 لغة.....**21**

2-2 اصطلاحًا.....**22-27**

3- مفهوم الغرب.....**28-33**

1-3 لغة.....**28**

2-3 اصطلاحًا..... **29-33**

4- مفهوم الأنا والآخر..... **34-46**

1-4 في علم الاجتماع.....**-40**
34

2-4 في علم النّفس.....**41-46**

المبحث الثاني: صورة الشّرق والغرب في الدّراسات الحديثة والمعاصرة.....47-80

1- صورة الشّرق في الدّراسات الغربيّة الحديثة والمعاصرة.....47-65

1-1 في الأدب.....47-48

1-2 الصّورة البشريّة.....48-55

1-3 المعتقد الإسلامي.....55-58

1-4 الصّورة الاجتماعيّة.....59

1-4-1 صورة الأسرة.....59

1-4-2 صورة المرأة.....60-62

1-5 الشّرق الرّوحاني.....63-65

2- صورة الغرب في الدّراسات الشّرقية الحديثة والمعاصرة..... 66-81

2-1 في الأدب.....66-67

2-2 الصّورة البشريّة.....68

2-3 المعتقد..... 68-72

2-3-1 اليهودية.....68-69

2-3-2 المسيحيّة.....70-72

2-4 الصّورة الاجتماعيّة.....72-74

2-4-1 صورة الأسرة.....74-75

2-4-1 صورة المرأة..... 76-79

2-5 الغرب المادّي.....79-81

الفصل الثاني: صورة الشّرق في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

و*Boussoule* de Mathias Enard.....82-157

المبحث الأوّل: الصّورة البشريّة.....83-107

1- الصورة البشريّة للشرق في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....83-90

2- الصورة البشريّة للشرق في رواية ***Boussoule* de Mathias Enard**.....91-108

المبحث الثاني: الصّورة النّفسية "المعتقد".....109-128

1- صورة المعتقد الإسلامي في رواية"لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....109-116

2- صورة المعتقد الإسلامي في رواية ***Boussoule* de Mathias Enard**.....117-128

المبحث الثالث: الصّورة الاجتماعيّة.....129-157

1- صورة الأحوال الاجتماعيّة للشّرق.....129-146

1-1 صورة الأحوال الاجتماعيّة للشّرق في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....129-134

1-2 الصّورة الاجتماعية للشّرق في رواية***Boussoule* de Mathias Enard**.135-146

2- صورة الأسرة الغربيّة.....147-157

2-1 صورة الأسرة الغربيّة في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....147-154

2-2 صورة الأسرة في الشرق في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard..155-157**

الفصل الثالث: صورة الغرب في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي

و*Boussoule* de Mathias Enard.....156-218

المبحث الأوّل: الصّورة البشريّة.....159-183

1- الصورة البشرية للغرب في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....159-164

2- الصورة البشرية للغرب في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**.....165-183

المبحث الثاني: الصّورة النّفسية "المعتقد".....184-202

1- اليهوديّة.....184-192

1-1 اليهودية روايتي في رواية "لن أموت سدى".....184-185

1-1 اليهودية في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**.....186-191

3- المسيحية.....193-202

1-2 المسيحية رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....193-197

2-2 المسيحية في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**.....198-202

المبحث الثالث: الصّورة الاجتماعيّة.....203-210

1- الأوضاع الاجتماعيّة للغرب 203-210

1-1 الأوضاع الاجتماعيّة للغرب في روايتي في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....203-206

2-1 الأوضاع الاجتماعيّة في الغرب في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**

210-207...

2- صورة الأسرة الغربيّة.....220-211

2-1 صورة الأسرة الغربيّة في رواية "لن أموت سدى" لجهاد

الرّجبي.....**216-211**

2-2 صورة الأسرة الغربية في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**

220-217.....

الفصل الرّابع: التلاقح الحضاري والقيمي بين الشّرق والغرب في روايتي "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي و*Boussoule* de Mathias Enard.....285-221

المبحث الأوّل: روحانيّة الشّرق.....242-222

1-1 روحانيّة الشّرق في رواية في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....**227-222**

2-1 روحانية الشّرق في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**.....**241-228**

المبحث الثاني: مادّية الغرب.....263-243

2-1 مادّية الغرب في في رواية "لن أموت سدى" لجهاد الرّجبي.....**251-243**

2-1 مادّية الغرب في رواية ***Boussoule*** **de Mathias Enard**.....**263-252**

المبحث الثالث: القيم الإنسانية والحضارية بين الشّرق والغرب.....285-264

1-1 القيم الإنسانية والحضارية بين الشّرق والغرب في رواية "لن أموت سدى" لجهاد

الرّجبي.....**271-264**

2-1 القيم الإنسانية والحضـــارية بين الشّـــــــرق والغـــــــــرب في رواية

***Boussoule* de Mathias Enard**.....**285-272**

خاتمة.....**292-286**

الملاحق.....**306-293**

قائمة المصادر والمراجع.....**315-307**

فهرس الموضوعات.....**322-316**

الملخّص **324-323**

SUMMARY

Summary:

This study tries to reveal pictures of East and West forming in the imagination of the other, as this study aims to introduce the East and West in the old and contemporary concept. In addition to knowing the mechanisms and images that constitute the dialectic of East and West today. In order to broaden the horizon of culture and define human and social features ... for both the East and the West, and thus the imperative to recognize the legitimacy of the difference between humans; It is one of the tributaries of the legislation of the relationship with the other on the basis of communication, dialogue and acquaintance. In other words, to reveal the characteristics of the "human, civilizational ..." values that exist between East and West. The research also seeks to know the sources adopted by the novelist in drawing the image of the other, such as experience, hearing, reading, and direct coexistence ... through the linguistic formation of vocabulary.

Among the most important results that we reached was the call of the two accounts to activate the shared values between humans to establish serious bridges of constructive dialogue between the East and West, and to fold the past starting with correcting false history, and by recognizing the centrality of the East in establishing the first civilizations on the face of the earth, where man knew the first meeting of beliefs And visions witnessed changes and transformations from one generation to another, so the recognition by the West of its heinous acts that tore the East apart is one of the steadfast steps towards establishing serious human relations between the two parties. Peace and tolerance are also among the most important means of dialogue, as they are among the highest human values of coexistence to eliminate the currents of intolerance to the other and to overcome political crises out of historical animosity between the two parts. In addition to taking tourism and music as a means of getting to know the other, and from there there is an embodiment and the consolidation of the relationship with him.

The values of the East are fixed by virtue of the influence of religion on their behavior, contrary to the changing West, due to the spread of socialist ideas and its call to separate religion from the state. Orientalism also greatly influenced the depiction of the East in general with hostile exclusionary visions, and it depicted it in the minds of successive Western generations in a negative suffocating way of its truth.